إســـــرائيـــــل

البدايـة والنهايـة





تأليــف
يــوسـف محمـود يـوسـف
مـاجيسـتير العلــوم العسكـريــة
حـائـز على نـوط الشجـاعـة

إسـرائـيـل

البداية والنهاية

تأليــف

يــوســف محمــود يوســف

مــاجيستير العلــوم العسكريــة

حائــز على نوط الشجاعة

رقم الإيداع ٩٤/٩٣٠٠
الترقيم الدولى
I.S.B.N 977 - 00 - 1678 - 3

الطبعة الأولى   أكتوبر ١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــداء

الى ملوك ورؤساء المسلمين
إتقوا الله
إتقوا الله فى إسلامكم
إتقوا الله فى أوطانكم
إتقوا الله فى شعوبكم
وإذكروا قول الله تعالى : وإعتصموا بحبل الله جميعاً
وقوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم

والى شعوب الأمة الإسلامية
أفيقوا..إنتبهوا..إصحوا
إنزعوا الخوف من صدوركم فعيش الذل لا يستحق الحياة
كنتم خير أمة أخرجت للناس..فكيف أصبحتم ؟
هل تريدون أن تعودوا كما كنتم ؟
حافظوا علي الحرية والحق والعدل والشوري..
وإعبدوا الله كما أمركم

اللهم قد بلغت.. اللهم فإشهد ،،،

يــــوســـف محمــود يــوســـف

تقـــــــديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى هدانى لموضوع هذا الكتاب وأسأله تعالى بتوفيقه وفضله أن يعيننى ويوفقنى ليخرج جامعاً شاملاً لموضوعه.. موضوع إسرائيل منذ االنشأة الأولى.. منذ الجذور حتى يومنا هذا.. وقد راودتنى فكرة هذا الكتاب منذ فترة أثناء قراءتى فى سورة الإسراء ؛ ويحسن أن أبدأ بشرح كيف بدأت لى الفكرة والأساسَ الذى بنيت عليه .

لقد كان والدى عليه رحمة الله رجلاً صالحاً عرف بين أهله وعارفيه و أصدقائه بالطيبة وحب الخير والإحسان للجميع ، وكان يعود بعد أدائه صلاة العشاء فى المسجد مع خاصة أصدقائه المرحومين الأستاذ الحاج محمود قاسم و الحاج سيد طعيمه والحاج منصور عامر – عليهم جميعاً رحمة الله ورضوانه – حيث يجلسون فى المضيفة فى الدور الأرضى يناقشون المسائل الدينية أو يفسرون أحد المواضيع بالإتفاق أو الإشتباه مع آية معينة.. وفى أحيان كثيرة كانوا يضيّفون بعض الشاكين و إصلاح ما بينهم و كنت طفلاً أحب الإستماع لجلستهم وكان والدى يكن لى حباً كبيراً – فأنا إبنه الأكبر وفرق السن بينى وبينه أكثر من أربعين سنة – يأنس لوجودى بينهم ولذلك رسخت فى نفسى العقيدة الإسلامية عميقة وثابتة .

وفى دراستى الثانوية تعرفت بزميل - المرحوم وديع شاكر روفائيل - وتوثقت علاقتنا جداً وتوطدت صداقتنا جداً وكان العجب بيننا كيف أكون أنا مسلماً وهو قبطياً وكان كل منا يحاول - بعاطفة الشباب - أن يجذب صديقة إلى ديانته ، فأهديته مصحفاً وأهدانى الكتاب المقدس ، وكنت كثيراً ما أقرأ فيه ومنذ الصغر وأنا مندهش من تاريخ اليهود من جذورهم : الخيانة والغدر فى دمهم : خيانة رفقة زوجة إسحق حين خدعت زوجها و قدمت له يعقوب ليأخذ بركته على أنه الإبن الأكبر عيسو بعد أن كبر سنه وضعف بصر إسحق (١) جداً أو خيانة أولاد يعقوب شمعون ولاوى حين إتفقوا مع حمور صاحب الأرض حيث يسكنون فى فلسطين و إبنه شكيم حين حضرا لخطبة " دينه " إبنة يعقوب وإتفقوا معها على أن يختتنوا هم و كل أهل بلدهم كشرط لإتمام الزواج و فى اليوم المحدد أخذ شمعون ولاوى كل منهما سيفه و دخلا البلد و جميع الذكور موجوعون وقتلوا الجميع بالسيف (٢) ، وفى كل حروبهم مع الكنعانيين يقول لهم الرب : سأدفع البلد إلى أيديكم فاقتلوا الرجال والصبيان وخذوا النساء والفتيات والحمير والبغال والبقر والبهائم والذهب والفضة والمعادن غنيمة... وكنت أتعجب أى رب هذا الذى يحب القتل وسفك الدماء.. وكيف يؤمن بعض الناس بهذه المقتلة... ولم أكن أعلم بعد أن التوراة كتبت بعد وفاة موسى - عليه السلام - بأكثر من ألف سنة وأنه ليس فيها من كلام الله إلا الوصايا العشر و الأحكام .

---

(١) تكوين إصحاح ٢٧ .

(٢) تكوين إصحاح ٣٤ .

وفى هذه الأثناء فى الثلاثينات قويت الحركة الصهيونية وكانت فلسطين تحت الإنتداب البريطانى وكانت بريطانيا تنفذ ما خططته هى والصهيونية لإنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين... وعرب فلسطين يثورون من حين لآخر وتتصدى لهم القوات الإنجليزية بقسوة و تقمع ثوراتهم بعنف والدول االعربية والإسلاميه لاتملك لهم نصراً أو مساعدة – فكلهم تحت الإحتلال الإنجليزى أو الفرنسى و بريطانيا تخدع الجميع فأحيانا تصدر كتاباً أبيض وأحياناً تشكل لجاناً ودائماً لا تنفذ إلا التوصيات التى تخدم اليهود وهى مستمرة فى تشجيع هجرة اليهود وتهويد فلسطين .

وقامت الحرب العالمية الثانية ووضعت جميع البلاد العربية والإسلامية فى خدمة بريطانيا والحلفاء وفى نهاية الحرب كان جزاؤهم جزاء سنمار و أعلنت بريطانيا نهاية إنتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وفى نفس التاريخ أعلن اليهود إنشاء دولة إسرائيل واعترفت بها على الفور الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى وباقى دول العالم تباعاً . وأعلن العرب الحرب على إسرائيل ، ولولا غفلة حكام وقادة العرب وخيانة بعضهم وإنحياز القوى الكبرى لإسرائيل.. لولا هذا لكان النصر من نصيب العرب.. ولكن القوى الكبرى تدخلت وفرضت الهدنة تلو الهدنة وأمدت إسرائيل بالأسلحة حتى تم ترسيخ إسرائيل كحقيقة دولية .

ومن عادتى أن أقرأ كل صباح جزءاً أو أكثر من القرآن الكريم ، وأثناء قراءتى فى أحد الأيام توقفت طويلاً أمام سورة الإسراء عند الآيات :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم و أمددناكم بأموال وبنين و جعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم و ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة و ليتبروا ماعلوا تتبيرا . ﴾

وخطر لى تفسير.. أن الله سبحانه و تعالى يقول أن بنى إسرائيل سيكون لها سلطة عالية كبيرة أو دولة كبيرة مرتين – و ليس مرة واحدة أو ثلاث أو أربع ... بل مرتين إثنتين – وفى المرتين سيكونون مفسدين . وفى المرة الأولى – بعد إفسادهم – سيبعث الله عليهم قوماً أشداء يقضون على دولتهم و يخربون ديارهم . ثم يعيد الله لهم القوة والمكانة ويمدهم بالأموال و يجمع رجالهم ويجعلهم أعلى صوتاً وأكثر عدة وسلاحاً ، ويندرهم الله تعالى بالإحسان ... أو إن أفسدوا حق عليهم العذاب ، فإذا تم إفسادهم حان موعد التدمير الثانى .

وبالرجوع إلى التوراة و التاريخ القديم أقام بنو إسرائيل دولتهم على جزء من أرض فلسطين سنة ١٠٢٠ ق. م. بقيادة الملك شاؤول ثم سيدنا داود ... الخ الى أن كانت سنة ٥٨٦ ق.م. حين أغار عليهم نبوخد نصر ملك بابل وحطم دولتهم وخرب ديارهم ومعبدهم وقادهم أسرى وعبيداً إلى أرض فارس شرق الفرات .

ولم تقم لهم دولة بعد إلا سنة ١٩٤٨ ، وها نحن نرى الأموال تنهال عليهم من الولايات المتحدة الأمريكية و اليهود يتجمعون فى فلسطين بعد شتاتهم فى أنحاء العالم وقد جعلتهم أمريكا وأوروبا أقوى من الدول العربية والإسلامية جميعاً . ولكن إفسادهم مستمر فهذه طبيعتهم لايملكون لها تغييراً ، ولذلك فإن عذاب الله عليهم واقع ، فالله غالب على أمره . و سنتناول تفسير تلك الآيات بالتفصيل فى الفصول التالية .

وقد حظيت الحركة الصهيونية منذ نشأتها بعطف ودعم لا يضاهى من الغرب المسيحى مما أدى الى قيام دولة إسرائيل والعمل على إقتلاع الشعب الفلسطينى من أرضه التاريخية ، ويعزى هذا الدعم الكبير إلى الأسباب التالية:

- إلتقاء المشروع الإستيطانى الصهيونى مع المشروع الإستعمارى الغربى الهادف لخلق قاعدة متقدمة له فى المنطقة العربية لتكون جسراً للعودة إليها حينما تتهدد مصالحه وتكون محرقة تستنزف طاقات الأمة العربية وإبقائها رهينة التخلف ورهينة االهيمنة الغربية وتشغلها عن إستعادة دورها القيادى فى العالم ، كما تكون العصا الغليظة التى تشهرها القوى الاستعمارية الغربية فى وجه الدول و الحركات التحررية التى تسعى للوحدة و التقدم .

- سيطرة الصهيونية على دوائر المال والأعمال ووسائل الإعلام ومراكز النفوذ وصناعة القرار السياسى فى العالم الغربى .

- العداء المشترك ضد الإسلام من اليهود والمسيحيين وعقدة الحروب الصليبية والخشية من البعث الإسلامى الجديد .

- عقدة الذنب فى الضمير الغربى تجاه المظالم التى حاقت باليهود خاصة فى عهد النازية .

هذا فضلاً عن رياح التغيير الدينى المسيحى تجاه اليهود منذ ظهور الحركة الإصلاحية البروتستانتينية فى القرن السادس عشر وبداية تفسير حرفى جديد يختلف عن تفسير الكنيسة الكاثوليكية تجاه اليهود : وبدأت النظرة تتغير تدريجياً وبدأ التهويد يشق طريقه إلى المسيحية الغربية ، وأخذ البروتستانت يعتقدون أن عودة اليهود إلى فلسطين شرط لتحقيق المجئ الثانى للمسيح – عليه السلام – كل هذا أدى إلى تشجيع وتقوية الحركة الصهيونية .

وفى عام ١٩٦١ أصدر مجلس الكنائس العالمى الذى يضم الكنائس البروتستنتينية والأرثوذكسية المنعقد فى نيودلهى بياناً جاء فيه : " العداء للساميه خطيئة ضد الله ، ضد الإنسان.. علينا فى التعليم المسيحى ألا نلقى الأحداث التاريخية التى أدت إلى صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودى ، فالمسئولية تقع على إنسانيتنا المشتركة وليست محصورة فى جماعة معينة أو قوم."ونسوا قول اليهود " دمه علينا وعلى أولادنا ."

وفى مارس ١٩٨٢ أصدر الفاتيكان وثيقة خاصة حول القضية الفلسطينية

والكيان الصهيونى جاء فيها "إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ متواصل وإن إنتشار إسرائيل فى الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب وهى تحتفظ دائماً فى قلبها بذكرى أرض الأحرار ، وإن وجود الدولة الإسرائيلية أمر تاريخى وهو علامة للتفسير فى إتجاه واضح للرب."

وأخيراً إعترف الفاتيكان بإسرائيل وعاصمتها القدس ولم يعد يطالب بتدويل القدس وإقتصرت مطالبه على حرية ممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان فى القدس .

نبوءة حزقيال – ورؤيا يوحنا فى الكتاب المقدس :

نشطت الحركة الصهيونية المسيحية الجديدة فى العالم الغربى وعلى الأخص فى الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى دعم الكيان الصهيونى من أجل تحقيق مشروع " إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل " وتمكين الصهاينة من السيطرة على القدس وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى لأن ذلك فى إعتقادهم شرط لازم لمجئ المسيح . وتؤكد هذه الحركة أن تأييد الكيان الصهيونى ليس إختياراً بل هو قضاء إلهى . ويعتقد أتباع هذه الحركة أنه مالم تقم حرب نووية فى "هرمجدون" فى فلسطين بين قوى الخير ممثلة فى الولايات المتحدة و حلفائها و قوى الشر الممثلة فى القوى الأخرى المقاومة فلن يعود المسيح ولن يكون هناك سلام على الأرض و معنى ذلك أن سعى العالم لنزع السلاح مضيعة للوقت ، بل هو ضد إرادة الرب الذى يريد من الإنسان أن يدمر الكرة الأرضية

"سبحانه وتعالى عما يقولون" وبنسى هؤلاء صلاة المسيح على جبل الزيتون " مبارك أولئك الذين يصنعون السلام . "

ويمضى العالم - الذى يسمونه المتقدم - ينتج السلاح ويكدسه و قول كتاب " ساحات المعارك النووية " أن مجموع الرؤوس النووية الجاهزة فى الولايات المتحدة ١٤٥٠٠ أربعة عشر ألف وخمسمائة رأساً وفى المانيا ٣٣٩٦ سلاحاً نووياً أمريكياً وفى بريطانيا ١٢٦٨ وفى إيطاليا ٥٤٩ وفى تركيا ٤٨٩ وفى اليونان ١٦٤ وفى كوريا الجنوبية ١٥١ وفى هولندا ٨١ وفى بلجيكا ٢٥ . وفى المقابل أعلنت روسيا أن لديها من الأسلحة النووية ما يكفى لتدمير العالم ثلاث مرات ! وهل يبقى بعد التدمير الأول أى شئ أو أى إنسان !

وقالت صحيفة واشنطن بوست فى ١٩٨٦/٢/٣ أن ميزانية وزارة الدفاع سنة ١٩٨٦ كانت ٢٥٨,٤ مليار دولار إرتفعت سنة ١٩٩١ إلى ٣٥٦,٦ مليار دولار ، وأمام هذا التسليح الرهيب تساءل كليفورد وزير دفاع أمريكا الأسبق : ماذا نفعل ؟ وأجاب : نمضى قدماً فى صناعة المزيد !

فهل أصبح العالم تحت سيطرة وحكم الشيطان ؟!

وفرنسا لديها قوتها النووية الخاصة بها .. وإسرائيل لديها ٢٠٠ رأس نووى ومختلف أسلحة الدمار الشامل والولايات المتحدة تمدها بالأموال وبالأسلحة المتطورة والقنابل الخطيرة المدمرة ، وقد أتحفتنا بعينة منها فى حرب ١٩٧٣

كشفت عنها الإصابات الغريبة والفظيعة التى أصابت جرحانا فى الأيام الأخيرة من هذه الحرب وتهديد إسرائيل للدول العربية وللأمة الإسلامية جميعاً لا يخفونه ، وقد صرح رابين وهو فى المعارضة وقبل وصوله للحكم بفترة قصيرة بأن إسرائيل تملك السلاح النووى وأن ذراعها الطويلة تمتد من باكستان شرقاً حتى المغرب على المحيط الأطلنطى غرباً .. كل هذا والدول العربية والإسلامية محرم عليها السعى لإمتلاك السلاح النووى ومختلف أسلحة الدمار الشامل وها هى الأمم المتحدة تفتش وتدمر أسلحة العراق .. وتغمض العين تماماً عما تملكه إسرائيل والتى حولتها أمريكا إلى مخزن لأسلحتها خطيرة التدمير. بل بلغ الأمر بأمريكا أن تفتش السفن المتجهة إلى بعض الدول العربية والإسلامية فى عرض البحر حتى تمنع وصول السلاح إليها. إنما ذلكم الشيطان يخوف المسلمين فلا تخافوهم وخافوا الله القوى القدير .

إزاء ذلك أردت تقديم هذا الكتاب يضم قصة إسرائيل من البداية ، من الجذور حتى يومنا هذا وما يهدفون إليه هم وحلفاؤهم الأمريكيون الذين يتظاهرون بالعلمانية وطغت عليهم المادية والذين زرعوا الكيان الصهيونى فى قلب الوطن العربى ويسيرون بالعالم كله نحو الدمار .

والكتاب فى الحقيقة رسالة تبصرة للأمة الإسلامية والشعب العربى وكلمة هادية لقادة وحكام المسلمين أن يتقوا الله ويرعوا أمانته ،

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .﴾

أدعوا الله أن أكون أديت الأمانة وبلغت الرسالة لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

يوسف محمود يوسف

القاهرة – ذو القعده ١٤١٤

مايو ١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الدكتور أحمد شلبى

أصبحت " إسرائيل " حقيقة واقعة فى منطقتنا وإمتدت يدها الأثيمة إلى سيناء أكثر من مرة مما يدل على تطلعاتها خارج حدود فلسطين ، وعندما دخلت سيناء سنة ١٩٦٧ أقامت الحواجز العتيدة بين سيناء ومصر لتقطع سيناء عن الوطن الأم ، ودخل الجيش المصرى معركة التحرير بجسارة فائقة ، وبعد أن حقق النصر إتجه الزعيم المصرى صاحب قرار العبور إلى المفاوضة وكما حقق أنور السادات النصر فى المعركة العسكرية حقق النصر فى المفاوضات ، وتمت عودة سيناء إلى الوطن الأم .

هذه حقائق حديثة عن علاقة مصر والعالم العربى بإسرائيل ، وهى حقائق يعرف الجيل الحالى خطواتها ، ولكنه لا يعرف تفاصيلها وخباياها ، كما أن أكثر الجيل الحالى والكثيرين من الأجيال السابقة لم يعرفوا التاريخ القديم الذى يربط بين إسرائيل وبين فلسطين ، ذلك التاريخ الذى إتخذه الصهاينة وسيلة لدخولهم فلسطين وإحتلالها والتى أسموها أرض الميعاد ، وهل أقام الصهاينة فى هذه الأرض فترة تجعل من حقهم أن يدّعوا أن لهم بها جذوراً تتيح لهم الحق فى العودة إليها ؟

وما هو خطر اليهود فى هذا الموقع على البلاد العربية كلها وكذلك على البلاد الإسلامية وعلى دول إفريقية .

كل هذه الموضوعات دفعت عدداً من المؤلفين لكتابة كتب وبحوث عن اليهود والصهيونية ، وقد إضطررت لقراءتها جميعاً و أنا أكتب كتابى "اليهودية "وهو الجزء الأول من موسوعة "مقارنة الأديان " وأشهد أن أكثر هذه الكتب ليس فيها شئ جديد ولم تسهم بقليل أو كثير فى بناء كتابى عن اليهودية الذى ظهرت الآن طبعته العاشرة .

ومعنا ضابط عظيم بالجيش المصرى أولع بالقراءة حول هذا الموضوع ، وتتبع جذوره ، كما عاصر و إشترك فى بعض المعارك الحربية بيننا وبين إسرائيل ، وهو بالإضافة الى ذلك كاتب يجيد التخطيط والأداء ، هو اللواء أركان حرب يوسف محمود يوسف ، ومثل هذا الضابط يعتبر بخبراته و مشاركته فى المعارك مصدراً مهماً من مصادر المعرفة عن هذا الموضوع وقد كتب هذا الضابط كتاباً رائعاً عن : "إسرائيل : البدايه والنهايه"

إسرائيل فى التاريخ القديم والوسيط والحديث

وقد ألم فيه إلماماً دقيقاً بجذور بنى إسرائيل بدءاً من الحديث عن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء ، وتتبع الكاتب هذه الجذور من قرن الى قرن حتى العهد الحاضر .

وأجاد الكاتب وهو يسجل تجاربه ، فنقلنا إلى ميدان المعركة لنشاهد خفايا كنا نجهلها تماماً ، وكانت معلوماتنا عنها غير موثقة وغير أصيلة ، فقدم لنا عن طريق قلمه ما لا نعرفه من خفايا هذه الحروب وأسباب نتائجها من هزائم أو إنتصار .

إنه كتاب مهم للمكتبة العربية والإسلامية ، أعتقد أنه سيسد فراغاً كبيراً بهذه المكتبه ، وجدير بكل عربى أن يطلع عليه ليعرف منه كثيراً مما كان يجهل

شكراً لسيادة اللواء يوسف محمود يوسف أن أتاح لى الفرصة لأكون أول قارئ لهذا الكتاب ، لأقدمه إلى القراء ، وأرجو أن ينال هذا الكتاب الثمين ما يستحقه من عناية القراء والدارسين .

وبالله التوفيق ،،،

دكتور أحمد شلبى
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
ومقارنة الأديان بجامعة القاهرة

الفصل الأول

سيدنـا " إبراهيـم " أبو الأنبيـاء

مقدمـــة :

نشأت الحضارة القديمة فى أحواض الأنهار الكبيرة فكانت الحضارة المصرية فى حوض نهر النيل والحضارة السومرية فى حوض نهر الفرات – الحضارة البابلية نسبة الى بابل العاصمة وتقع جنوب العراق ويسكنها الشعب السومرى– . وكانت أرض كنعان تقع بين هاتين الدولتين الكبيرتين اللتين إزدهرت فيهما أرقى حضارات العصور القديمة – وكانت الحروب لا تنقطع بين هاتين الدولتين وكانت أرض كنعان هى مسرح هذه الحروب كما كانت تتأثر بنتائجها فتقع تحت سيادة الغالب منهما .

وقد أثبتت الحفريات التى قام بها الأثريون فى مطلع هذا القرن العشرين أن فيضاناً هائلاً قدمت أمواجه من أقصى الشمال وغمر تحته مدن العراق وأغرق كل شئ فلما إنحسرت المياه تركت كميات كبيرة جداً من الطمى غطت كل شئ وإرتفعت فوق المدن والنخيل وتعالى الركام فوقها أعلى من عشرين متراً ، ثم بدأت تنشأ مدناً جديدة وبدأ الانسان يعمر وهو لا يعلم أن حضارات ومدناً وخلقاً كانوا يعيشون أسفل ما يسير فوقه . وهذا الفيضان المروع الذى هبط من جبال أرارات شمال العراق هو ما حدثتنا عنه الكتب السماوية وعن الفئة القليلة المؤمنة التى أنقذها فلك "نوح" عليه السلام .

وقد كشفت الحفريات التى تمت فى مدينة أور إحدى مدن دولة بابل وهى تقع على نهر الفرات جنوباً وكانت مركزاً تجارياً هاماً هيأ لها ثروات مادية كثيرة ساعدت على إقامة المعابد وتماثيل الآلهة المعبودة وأشهرها "مردك" و "شمشى" وأور هى المدينة التى ولد فيها سيدنا "إبراهيم" عليه السلام وبدأ دعوته العظيمة إلى عبادة إله واحد أحد .

وكانت مملكة بابل تعيش فى هذا الوقت عصراً رخياً.. ترف مادى وثراء واسع وفكر ناضج وحكم عادل . فقد تعاقب عليها ملوك عظام سرجون وتلاه بعد حوالى ثلاثة قرزن حمورابى العظيم صاحب "شريعة حمورابى" الشهيرة العادلة والأمر الغالب أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ظهر فى عصر قريب من عصره .

نشأة سيدنا ابراهيم :

هو إبراهيم خليل الله بن تارح (آزر) بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفلشاز بن نوح عليه السلام هذا هو نسبه كما ورد فى التوراة .

وفى هذا الجو الحضارى كان رجال الفلك يسيطرون على البلاد والعباد فكانوا يتحدثون إلى النجوم ويسمعون لها وتنبئهم من أنباء الغيب ما يدونونه على ألواح من الطين المحروق حيث كانت تحفظ فى المعابد ، ولهذا لا نعجب إذا رأينا إبراهيم عليه السلام يبدأ تأملاته الروحيه بالنظر إلى السماء والحيرة بين النجوم

والكواكب وكان إصطدامه بثقافة عصره عنيفاً وحاسماً يقول القرآن الكريم فى سورة الأنعام :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . ﴾

بدء دعوة التوحيد :

وهكذا صدر الأمر الإلهى إلى إبراهيم بتبليغ رسالة الله . بنبذ عبادة الأصنام والنجوم وعبادة الله الواحد الخالق لكل شئ .

وعقد سيدنا إبراهيم عليه السلام العزم على تبليغ دعوته إلى قومه الكلدانيين بادئاً بأهل بلدته " أور" وكان قد بلغ من العمر الخامسة والسبعين (١) (أى رجلاً كهلاً) فأخذ يدعو إلى تغيير أفكار قومه وتصحيحها وكان أول من نادى بأن خالق الكون واحد هو " الله " بعد نوح عليه السلام وأنه هو الرازق وهو القادر وهو المحيى والمميت وأنه

---

(١) التكوين – اصحاح ١٢

علـى كل شئ قدير . وإن وجد كائن ينفـع النـاس فإنما ينفعهـم بإذن اللـــه وليس بقدرته هو وكذلك من يضـر فإنمـا يفعل بإذن الله وقد أثارت عليه هذه الأفكار والأقوال أهـل بلدتـه الكلدانيين الذيـن آذوه ، فعـزم الهجرة والرحيل .

مسيرة الخليل إلى فلسطين :

رحل سيدنا إبراهيم عليه السلام وأسرته – زوجته سارة إبنة أخيه ولوط إبن أخيـه – إلى فلسطين (أرض كنعـان) – والكنعـانيـون عرب هاجـروا من شبه الجزيرة العربية إلى شمـالهـا وإختلطوا بمن حولهـم – هاجر ناجياً بعقيـدته من عسف بابل يلتمس راحة نفسه ومزيداً من التعمق فيما هداه الله .

تقـول التـوراة " أنه إتخذ سكنه فى شكيم (نابلس الحاليـة) إلى بلوطة مـورة وفيـهـا الكنعانيون وظهر له الـرب وقال " لنسلك أعطى هذه الأرض" فبنى هناك مذبحاً للـرب ثم إنتقل إلى الجبـل ونصب خيمته شرقاً من "بيت ايل" ثم والى رحلتـه إلى الجنوب وحدثت مجاعـة فى الأرض فإنحـدر ابـرام إلى مصر". (١)

---

(١) تكوين اصحاح ١٢

يقول القرآن الكريم : (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) – الأنبياء ٦٠

المسيرة إلى مصر :

سار سيدنا إبراهيم إلى مصر – بلد الرخاء والنيل الفياض بمائه وزرعه ونباته وخيره الوفير – وكان ذلك فى أيام حكم الهكسوس لمصر (من ٢١١١ : ١٥٨٣ق.م) وخاف إبراهيم على نفسه من التلف من حاكم مصر وأعوانه من العملاء والمنافقين فقد كانت زوجته سارة جميلة جداً وجمالها ملفت للنظر فزعم لمن سأله أنها أخته وأوصاها أن تقول أنها أختة ودعا الله أن ينجيها من الطامعين ، وكذلك حدث فقد عصمها الله من إعتداء ملك مصر فى هذا الزمان .

وقد حدث ما خشاه إبراهيم فقد وشى بها أحد بطانة السوء إلى الملك وأفاض فى وصف جمالها فدعا الملك إبراهيم وسأله عنها ففطن إبراهيم إلى مقصده وقال إنها أخته فأمر الملك بإحضارها ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة وشلّت عن الحركة فطلب منها أن تدعو ربها أن يطلق يده ولا يمسها بضرر ففعلت ولكنه عاد ومد يده إليها فقبضت قبضة أشد فطلب منها أن تدعوا الله أن يطلق يده ولن يمسها بضرر ففعلت وأطلقت يده . وهكذا عصمها الله من السوء ومنع عنها العدوان وأمر الملك بعودتها إلى ذويها وليسترضيها أهداها جارية مصرية هى " هاجر " – أم العرب – وقال هذه الجميلة لا تخدم نفسها .

العودة إلى فلسطين :

ولم يجد إبراهيم مجالاً لدعوته فى مصر فعاد بقبيلته إلى فلسطين إلى بيت ايل حيث كانت خيمته قبل ذهابه إلى مصر . وكان إبراهيم ولوط وقبيلتيهما وماشيتهما ورعاتهما يقيمون وحولهم سكان فلسطين من الكنعانيين والفريزيين فأشار إبراهيم لإبن أخيه لوط أن يختار كل منهما مكاناً بعيداًعن إزدحام أرض فلسطين فاختار لوط أرض الأردن لخصبها وإرتحل شرقاً إلى سدوم و أهلها أهل فسق جد أشرار و بقى إبراهيم فى أرض كنعان ونقل خيامه من بيت ايل إلى حبرون (الخليل حالياً) .

وتقول التوراة أن الرب قال لإبراهيم : " إرفع عينيك و أنظر فى الموضع الذى أنت فيه من مشرقه إلى مغربه من شماله إلى جنوبه فإننى معطيك جميع الأرض التى تراها ولنسلك من بعدك وأجعل لك نسلاً كتراب الأرض لا يحصيه إلا من إستطاع أن يحصى ترابها ، فاضرب فى الأرض طولاً وعرضاً كما تشاء . " (١)

إن هذه الأمنية اليهودية التى أضيفت إلى أحداث التوراة نراها تتكرر وتزداد على طول الزمن لتشمل ما بين النيل والفرات ثم يكتشف المحدثون من اليهود أن هذا ليس كافياً فيضيفون شبه الجزيرة العربية ويعدون الخرائط لتشمل الشرق

---

(١) تكوين إصحاح ١٣

الأوسط كله من جنوب جبال طوروس حتى المحيط الهندى ولا يستبعد طبع طبعات جديدة من التوراة يعدلون فيها نطاق المطالب حتى تتطابق التوراة مع خرائطهم .

وقد أصبحت الأمم المتحدة أداة طيعة تأتمر بأمرهم ، بل هى من صُنعهم ، وكما تقول التوراة فقد شكا إبراهيم لربه أنه لا يوجد من نسله من يرثه فتنبأ له الرب بذهاب قبيلته إلى مصر وتقيم ٤٠٠ سنة ثم تخرج على المصريين ولا ينسى التوراتيون عقد معاهدة بين الرب وإبراهيم تقول " وفى ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقه قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . "(١)

واستجاب الرب لشكوى إبراهيم فولد له من هاجر المصرية إبنه إسماعيل وكانت سِنُّه ٨٦ سنة وبعد ولادة إسماعيل غير الرب إسم ابرام إلى إبراهيم وغير إسم زوجته ساراى إلى سارة ووعده أنه سيرزق منها إبن وهى فى سن ٩٠ ويكون قد بلغ ١٠٠ سنة و إسماعيل ١٤ سنة .

.و هنا دبت الغيرة فى قلب الشيخة سارة فطلبت من إبراهيم أن يبعد هاجر و إبنها إسماعيل بعيداً... وكانت الرحلة المشهورة إلى الحجاز التى تنكرها التوراة ووقفت بها عند بير سبع فقط .

---

(١) تكوين إصحاح ١٥

وتروى التوراة أن سارة توفيت فى سن ١٢٧ فى مدينة حبرون (الخليل) من أرض كنعان وإشترى إبراهيم قطعة أرض دفع ثمنها ٤٠٠ مثقال من الفضة ودفنها فيها .

و بشهادة التوراة نفسها نرى أن إبراهيم لم يكن يملك فى فلسطين إلا قطعة أرض فيها مغارة يدفن فيها زوجتة وتكون له مدفناً بعد وفاته .كل ما كان يملكه خياماً له ولأسرته ولقطيع الماشية التى يملكها على نحو ما تفعل القبائل الرحل .

وعلى الرغم من إقامته بالقرب من المدن العامرة ، الخليل والرملة ونابلس لم يفكر أن يكون صاحب مزرعة أو يستقر فى مكان بعينه... ومع ذلك فقد أجرى التوراتيون على لسانه وعلى لسان الرب تملك الأرض... أرض فلسطين كلها ثم أرض الشرق الأوسط كله... وإبراهيم برىء من هذا كله .

وفى قراءة التوراة تستوقف النظر نقطة جديرة بالنظر والإمعان ، فقد عنى كتاب التوراة بتملك الأرض والسيطرة ونسوا مهمة إبراهيم التى كلفه الله بها وهى دعوة التوحيد ونبذ عبادة الأصنام وهى أساس رسالته ومن أجلها هاجر من أرض بابل إلى فلسطين... فقد عنوا فقط بأرض الكنعانيين والمدينيين واليبوسيين والفلسطينيين وغيرهم من سكان الأرض التى هاجر إليها إبراهيم ولم يتخذ فيها داراً غير بعض الخيام ومغارة يأوى إليها جسده وجسد زوجته بعد الممات .

وبعد وفـــاه السيدة ســارة تزوج إبراهيم من سيدة كنعانية "قطورة " أنجب منها ستة أبناء على مدى ٧٥ سنة فيكون عدد أبناء إبراهيم ثمانية كوّن كل منهم أسرة أنجب أولاداً وأحفاداً إختلطوا بسكان فلسطين مع نمو أعدادهم ولكن التوراة لا تعترف لأحد من نسل إبراهيم أنه يحمل رسالة التوحيد إلا أسرة حفيده يعقـوب بن إسحق ، فقد سكتت التوراة تماماً عما حدث لإسماعيل أو إخوته الستة وإن كانت إعترفت بأسرة عيسو الأخ الأكبر ليعقوب .

إلـــى الحجـــاز :

ذكرنا من قبل أن إسماعيل ولد ووالده سنه ٨٦ سنة ولما بلغ إبراهيم١٠٠ عام ولد له إبنه إسحق وفى طفولة إسحق دبت الغيرة فى قلب الشيخة سارة وطلبت من إبراهيم أن يبعد هاجر وإبنها عنها وأوحى له الله أن يذهب بهما جنوباً إلى الحجاز حيث ينشئ فرعاً مستقلاً للأسرة الإبراهيمية بعيداً عن فلسطين والقبائل الفلسطينية حيث الحروب بينها لا تنقطع ولحكمة يعلمها الله لحفظ رسالته ، رسالة التوحيد ، أوحى الله إلى إبراهيم أن يتجه جنوباً إلى الصحراء إلى واد غير ذى زرع بعيداً عن المطامع والقتال وقد كانت الأرض شمال شبه الجزيرة العربية – أرض مدين – شديدة الخصوبة تغطيها الزراعات والأعناب بينما نجدها الآن صحراء أكثر مواتاً من الموت نفسه.

تعددت الأقوال عن عمر إسماعيل عندما قدم مع والده إلى أرض الحجاز... ولكن بناء الكعبة بوحى من الله سبحانه وتعالى وإشتراك إسماعيل مع

أبيه فى إقامتها الدليل القاطع على أنه كان شاباً قوياً قادراً ولم يكن طفلاً لا يقدر علىٰ شيء كما أنه كان الإشارة التى لا تخطئ على أن فىٰ هذا المكان سر الإله الأعظم وهو وحدانية الله .

يقول القرآن الكريم فى سورة البقرة :

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا وإجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أُمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وإبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد إصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين.﴾ (١)

النهايـــــة :

لكل أجل نهاية... ولما إقتربت رحلة إبراهيم فى هذه الحياه إختار قطعة أرض مغارة فى حبرون أودع فيها جثمان زوجته سارة ولما حل أجله دفن فيها وقد إتسعت المغارة فيما بعد لجثة رفقة زوجة إسحق ثم جثة إسحق ثم جثة يعقوب حفيد إبراهيم الذى سمى إسرائيل ثم أقفلت قروناً طويلة حتى جاء الرومان وأقاموا كنيسة ما لبثت أن هدمت وحل محلها مسجد .

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٢٧ – ١٣١ .

وقد حث الإسلام على الإحتفاء بالخليل إبراهيم . وكان نبى الإسلام أكثر الناس تأثراً بإبراهيم . عن أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبى محمد عليه الصلاة والسلام وقال له "يا خير الناس" فرد عليه : "ذلك إبراهيم عليه السلام" وقال عليه الصلاة والسلام "من لم يمكنه زيارتى فى المدينة المنورة فليزر قبر أبى إبراهيم الخليل عليه السلام."

وحفاوة المسلمين بإبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام – لا تقف عند حد ، ففى الصلوات الخمس كل يوم يتلوا المسلمون "التحيات"ويوجهون دعاء خاصاً إلى إبراهيم وآل إبراهيم وذلك إيماناً وإعتقاداً بأن دعوة الإسلام إحتوت الرسالات السابقة كلها ، فكلها من نبع واحد تدعو إلى التوحيد ولا تعرف التعصب وتدعو إلى الخير لكل البشر.

ومن تمام الزيارة لمسجد إبراهيم زيارة قبر إسحق وإبنه يعقوب (الذى سمى إسرائيل) ، ويقول الزائر "السلام عليكم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ."

ولعل خير ما نذكر به سيدنا إبراهيم قول القرآن الكريم فى سورة البقرة : "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وإتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال إبراهيم رب إجعل هذا بلداً آمنا وأرزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله وإليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير." (١)

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٢٥-١٢٦ .

الفصل الثانى

إسحق – يعقوب (إسرائيل) – يوسف فى مصر

مولد إسحق – وأولاده :

قـال اللـــه تعالى فى سورة هود : بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وإمرأته قائمة فضَحِكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب . قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشئ عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حَميد مجيد ﴾.

وتتفق التوراة مع بشرى الملائكة (١) وقد حملت سارة وهى عاقر فى التسعين من عمرها وزوجها إبراهيم – عليه السلام – قد بلغ المائه . وذكر القرآن مع قصة البشارة بالوليد أنه غلام عليم وأنه نبى من الصالحين وأن الله باركه بقوله ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ .

وكبر إسحق وشاخ إبراهيم – عليهما السلام – وأوصى ألا يتزوج إسحق من بنات الكنعانيين بل يتزوج من عشيرته وأهل أبيه وفعلاً تزوج من " رفقة " إبنة عمه ناحور أخى إبراهيم وكانت زوجة طيبه خففت من حزن إسحق

---

(١) سفر التكوين

بعد موت أمه (١) وقد ولدت له توأمين هما عيسو ويعقوب وقد نزلا من بطنها بهذا الترتيب . وكان عيسو فى شبابه مغرماً بالصيد وكان يحظى بمحبة أبيه ، بينما كان يعقوب هادئاً وديعاً وكان أثيراً لدى أمه .

وان إسحق لما كبر ضعف بصره جداً وقد أراد أن يبارك إبنه عيسو ويدعو له وهو الأثير لديه وهو البكر – وكان للبكر فى هذا الزمان إمتيازاً فى الميراث بحق البكورية – فطلب منه أن يصيد صيداً ويهيئه للأكل حتى إذا أكل منه خصه بدعواته وبركته وسمعت رفقه حديثهما وأحبت أن تكون البركة ليعقوب الأثير لديها فأمرته أن يذبح جدياً وساعدته أمه وقربه الى أبيه وأوهمه أنه عيسو فأكلا ودعا إبراهيم له وباركه ولما حضر عيسو غضب وحقد على أخيه وهرب يعقوب الى خاله "لابان" فى فدان آرام . (٢)

تقول التوراة قصة ملخصها أن يعقوب هرب من بطش أخيه عيسو الى خاله"لابان" فى فدان آرام وأقام عنده يخدمه فى نظير أن يزوجه من إبنته راحيل ولكن خاله خدعه وأدخله على إبنته ليئه ولماعاتب يعقوب خاله على ذلك وطلب منه زواج راحيل قال له خاله إخدمنى عشر سنوات أخرى أزوجك من راحيل فقبل يعقوب ذلك وخدم خاله العشر سنوات وتزوج راحيل أيضاً ثم تزوج جاريتيهما " زلفا وبلها ".

---

(١) تكوين ٢٤

(٢) تكوين ٢٧

وعاد يعقوب بزوجاته وماشيته وأمواله الى فلسطين وكان يخشى من أخيه عيسو فأهدى إليه هدايا وأموال كثيرة وقابله عيسو مقابلة حسنة . وقد أخلف يعقوب إثنى عشر ولداً هم : رأوبين – شمعون –لاوى – يهوذا – يساكر – زوبولون من ليئه ، يوسف – بنيامين من راحيل ، دان – نفتالى من بلها جارية راحيل ، جاد – أشير من زلفا جارية ليئه .

ومن يهوذا أخذت كلمة "يهود ".

وهم جميعاً ولدوا فى فدان أرام وهو يرعى غنم خاله ماعدا بنيامين ولد فى أرض كنعان بعد عودة يعقوب .

كان يوسف جميل الصورة وكان أبوه يخصه بمحبته خصوصاً وهو ابن زوجته الأثيرة لديه وكان ذلك سبباً فى حقد إخوته عليه وكان سبباً فى محنته التى كانت خيراً وبركة عليه . يقول الله تعالى ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾.

وتقول التوراة أن يوسف كان سنه سبعة عشر سنة ومن كان فى هذه السن يصعب بل ويستحيل أن يتمكن منه إخوته ويصنعون معه ما صنعوا وإلقائه فى غيابة البئر بينما يستبين من قصة القرآن الكريم أنه كان طفلاً .

إجتمع الأخوة يأتمرون بيوسف وقرروا قتله حتى تفرغ لهم محبة أبيهم إلا أن الأخ الأكبر رأوبين رفض القتل وأشار برميه فى البئر.

"وجاؤا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون " .

لم يخفَ على يعقوب ما أضمره بنوه ليوسف فأخذ القميص لم يجد به تمزيقاً ولا قطعاً وعرف أن ما حدث هو من كيد أبنائه لأخيهم ففوض أمره لله وقال صبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

يوسف فى مصر:

تُرك يوسف فى البئر – وكانت قليلة الماء – وجاءت قافلة أرسلت واردهم فأدلى دلوه فى البئر فتعلق به يوسف وحسب صاحبه أن الدلو إمتلأت فسحبها فاذا غلام وسيم تعلق بها فقال "يا بشرى هذا غلام" و أسروه بضاعة وإستمروا فى سيرهم حتى وصلوا مصر فباعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين .

بِيعَ يوسفُ فى مصر وإشتراه رئيس الشرطة . وكانت مصر فى هذا الوقت تحت حكم الهكسوس الذين كانوا يحكمون الدلتا وحتى قريباً من بنى سويف الحالية وكانت عاصمتهم صان الحجر فى الشرقية قريباً من بحيرة المنزلة التى

كانت تمتد جنوباً عما هى عليه الآن . وكان الهكسوس يحكمون مصر من سنة ٢١١١ : ١٥٨٣ ق.م - قبل حضور سيدنا إبراهيم الى مصر - بينما كان فرعون فى طيبة يحكم مصر العليا .

كان رئيس الشرطة وإسمه "فوطيفار" ولم يكن عنده أولاد وقد ألقى الله عليه محبة يوسف فقال لامرأته " أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً " وجعله صاحب الأمر والنهى والرئيس على خدمه والمتصرف فى بيته وكانت له الكلمة العليا فى البيت على الجميع ما عدا سيده وسيدته . وتولى الله تعالى يوسف بالهداية والتوفيق وعلمه من لدنه الحكمة والعلم العظيم فقال تعالى فى كتابه الكريم ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين. ﴾

كان جمال يوسف الرائع منّة من الله عظيمة كما كانت محنة كبيرة وكما قال ابن عطاء الله السكندرى "ربما كمنت المنن فى المحن" وكانت تلك المحنة أن يوسف لما إكتمل شبابه زاد جمالاً وروعه فشغفت به امرأة العزيز حباً خصوصاً وهى ترى كمال خلقه وطباعه السوية الى أن غلبها حبها على حيائها فأخذت تداعبه علّه يفهم قصدها وأخيراً ولما هاج بها غرامها دعته الى نفسها دعوة صريحة بعد أن أزينت وغلقت الأبواب وقالت له "هيت لك" وهمت به وهم بها ولكنه قاوم بشريته ثم اتجه الى الباب ناجياً بنفسه من غواية شيطانها وهى تجذبه من قميصه حتى تمزق من ظهره واستبقا الباب هو يريد الهرب بنفسه

وهى تحول بينه وبين أن يفلت دون أن تشفى صبابتها فإذا زوجها لدى الباب .

ويقول الله تعالى : ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسها وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ، واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب . قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . ﴾

والقصة فى التوراة تختلف عنها فى القرآن فتقول أنها لما أمسكت يوسف من قميصه خلعه لها ليتخلص منها فصرخت ونادت خدمها وقالت أنه خلع قميصه استعداداً ليضاجعها فصرخت فلما سمع صراخها هرب وترك قميصه . (١)

رأت إمرأة العزيز زوجها على الباب ومعه إبن عمها فبكت ولم يكن أمامها إلا أن تلصق التهمة بيوسف لتنجو من هذا الموقف ولتشفى غليلها من يوسف الذى أبى أن يطاوعها ويشبع صبابتها فقالت "ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم" وأفهمته أنه راودها عن نفسها وانها أبت عليه .أما يوسف فى هذا الموقف الحرج لم يكن أمامه لينجو إلا الصدق فقال "هى راودتنى عن نفسى" وأنا أبيت فشذت قميصى وأنا أحاول الهرب منها .

---

(١) تكوين ٣٩.

وقال إبن عمها " إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين" لأن الهجوم على المرأة وهى تدافع عن نفسها إنما تمزق قميصه من الصدر بينما الهارب من المرأة وهى تجذبه إنما تمزق قميصه من الظهر . وهنا ظهر صدق يوسف وكذب إمرأة العزيز ولتحاشى الفضيحة أمر الزوج يوسف بكتمان الخبر ورجع على إمرأته باللوم وأمرها بالإستغفار لذنبها .

ولنقرأ قول الله تعالى ﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.. يوسف أعرض عن هذا وإستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين. ﴾

ولما شاع خبر إمرأة العزيز ويوسف فى المدينة وأخذت النساء تلمنها على هذا الغرام دعت طائفة من النساء صاحباتها العازلات وأعدت لهن مكاناً وأتت لهن بفاكهة وأعطت كلاً منهن سكيناً وأمرت يوسف أن يدخل عليهن فبهرن بجماله وشغلن بمطالعة حسنه وغفلن عن السكين والفاكهة وقطعن أيديهن وهن لا يدرين وقلن "ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ."

حينئذ باحت إمرأة العزيز لهن بحبها ولوعتها وقالت لهن "فذلكن الذى

لمتُننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ وليكوناً من الصاغرين ."

ولما شاع الخبر بذلك رأى العزيز أنه لا يقطع ألسنة الناس ويعزز براءة زوجته إلا أن يسجن يوسف نظير إثمه وكذبه وهكذا دخل يوسف السجن على غير جريمة أتاها .

ودخل مع يوسف السجن شابان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك والثانى رئيس السقاه . وفى أحد الأيام جاءه الساقى وأخبره أنه رأى فى منامه أنه يعصر فى كأس الملك خمراً وجاءه الخباز وقال أنه رأى أنه يحمل فوق رأسه طبقاً من الخبز والطير تأكل منه وطلبا منه أن ينبئهما بتفسير الرؤى .

فرأى يوسف الفرصة سانحة ليعلن عن دينه ودين آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب وسأل أصحابه " أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ " وقال للساقى أنه سيفرج عنه ويسقى الملك خمراً أما الخباز فيصلب وتأكل الطير من رأسه " قضى الأمر الذى فيه تستفتيان . " وظن يوسف أنه قد يجد الفرج من السجن على يد من ظن أنه ناج منهما وقال له " أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ."

الحرية بعد السجن :

بعد بضع سنين حين قضى الله بالفرج هيأ الأسباب وذلك أن الملك رأى

فى منامه سبع بقرات سمان جميلات يخرجن من النهر ترتع فى روضة ثم رأى سبع بقرات عجاف قبيحات يخرجن من النهر ويأكلن البقرات السبع السمان الأولى . وأستيقظ الملك من النوم ثم عاد الى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة وإذا بسبع سنابل يابسات خلفها لفحتها الريح فعدت على السنابل الخضراء وأكلتها .

إنزعج الملك من هاذين المنامين فدعا السحرة وذوى العلم يسألهم تأويل الرؤى ولكنه لم يجد عند أحد جواباً " قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. "

حينئذ إنتبه رئيس السقاة وأخبر الملك عن حلمه وحلم زميله رئيس الخبازين وتفسير غلام عبرانى لهما فى السجن وتحقق التفسير كما قال فأمره الملك أن يذهب الى يوسف فى السجن ويأتى بالتفسير . وذهب الساقى الى يوسف وقص عليه المنامين قال يوسف أن مصر يأتى عليها سبع سنين خصبة تجود الأرض فيها بغلات وفيرة يعقبها سبع سنين مجدبة تأتى على المخزون من السنين السبع السابقة ثم تأتى بعد ذلك سنين الخصب والوفرة وأن عليهم أن يقتصدوا ويحفظوا ما يزيد من قوتهم فى السنين السبع الأولى فى سنبله حتى إذا حلت سنين الجدب وجدوا ما يغنيهم ويحفظ الحياة الى أن يأتى الخصب .

وجد الملك هذا التفسير متفق مع رؤياه وسر به وقال الملك إئتونى بيوسف أستخلصه لنفسى فلما أبلغوا يوسف بذلك أبى أن يخرج من السجن حتى تعلن

براءته وطلب من الرسول أن يرجع الى الملك ويسأل عن النسوة اللآتى قطعن أيديهن فلما أحضرهن الملك وسألهن عن شأن يوسف " قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء . قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين.. "

خرج يوسف من السجن بريئاً مستقيم الحجة وقابل الملك الذى سر به وأعجب بعقله وسأله أى عمل يرضاه فقال يوسف "إجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم. "

لم تذكر التوراة فى الإصحاح الحادى والأربعين من سفر التكوين رفض يوسف الخروج من السجن حتى تظهر براءته بل ذكرت أن رئيس السقاة أخبر فرعون أن يوسف قادر على تعبير الرؤيا وإنه عبر له – كما ذكرنا من قبل – وقال له لابد من إدخار خُمس غلة الأرض فى السنوات الخصبة حتى إذا جاءت سنوات القحط كانت البلاد مستعدة لمكافحة الجوع وأن يقوم على ذلك نظار فى أرجاء البلاد . فقال فرعون لجنوده.. هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله ؟ ثم إلتفت الى يوسف وقال له : بعد ما أعلَمكَ الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك أنت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى إلاّ أنّ الكرسى أكون فيه أعظم منك وقال له أيضاً : قد جعلتك على كل أرض مصر وخلع خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا على الناس أمامه بالركوع له وجعله على كل أرض مصر وصاحب الأمر والنهى والأمر المطاع

والكلمة النافذة وسمى يوسف " صفنات فعنيح " وأعطاه " أسنات بنت فوطى فارع " كاهن أون زوجة وكان له منها ولدين منسّى وإفرايم وكان يوسف إبن ثلاثين سنة حين كان هذا الحادث فخرج يوسف وإرتحل فى كل أرض مصر لتفقد الأحوال وتهيئة الأعمال اللازمة لمقاومة الجوع فى البلاد .

نظم يوسف أعماله وجمع الغلال فى مخازنه طوال السنوات السبع الخصبة وبعدها جاءت سنوات الجدب على مصر وبلاد المنطقة حولها فإتجه المصريون يشترون ما يحتاجونه من يوسف ولم يجد أهل فلسطين أمامهم إلا أن يذهبوا الى مصر يشترون حاجاتهم .

يعقوب وبنيه فى مصر :

وأرسل يعقوب أولاده بالجمال والحمير لشراء ما يحتاجون من الطعام لأهلهم فلما قدموا الى مصر رآهم يوسف وعرفهم ولم يعرفوه فقد فارقهم غلام صغير واليوم هو قارب الأربعين فضلاً عن مظهر الحكم وأبهته وإستدرجهم يوسف فى الحديث عن أحوالهم ومعيشتهم وأوهمهم أنهم جواسيس حضروا يضمرون العداء لمصر . وعرف أن لهم أخ صغير لم يحضر معهم – بنيامين أخوه الأصغر لأمه – وطلب منهم حضور أخيهم معهم فى المرة القادمة أن كانوا صادقين وإلا فلن يبيعهم شيئاً وإحتجز أخوهم شمعون ليتأكد من صدق قولهم وطلب من عماله أن يعيدوا لهم ثمن ما أشتروا فى أحمالهم دون أن يعلموا .

وعادوا الى أبيهم وقصوا عليه ما لاقوه من وزير مصر وأنه حسبهم أول الأمر جواسيس لأعداء مصر وحجز أخوهم شمعون وطلب منهم إحضار أخيهم الأصغر فى المرة القادمة إن أرادوا شراء الغلة كبرهان على صدقهم وإلا فلن يبيعهم شيئاً واليوم وجدوا نقودهم التى دفعوها موجودة معهم فى أحمالهم وإستجدوا أباهم أن يرسل معهم أخاهم بنيامين حتى يشتروا طعامهم وليردوا ثمن الغلة السابقة وليطمئن إليهم وزير مصر ولكن يعقوب تذكر ضياع يوسف من قبل وعاوده حزنه القديم وقال "هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل . "

ولكن شدة القحط فى أرض كنعان إضطرت يعقوب أن يرسل أبنه معهم الى مصر واشترط عليهم وقال لهم " لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتننى به إلا أن يحاط بكم "فأعطوه موثقهم على الوفاء وسافر أولاده جميعاً بعد أن أعطاهم الهدايا لوزير مصر . ولما وصلوا مصر ورآهم يوسف ومعهم أخوه بنيامين أمر عماله بأخذهم الى بيته وتجهيز الطعام وهناك وجدوا أخاهم شمعون وحضر يوسف وبعد أن أكلوا أمر عماله أن يملأوا أحمالهم بالطعام وأن يردوا إليهم فضتهم وأسر لهم أن يضعوا صاع الملك فى حمل أخيه الصغير وما بعدوا قليلاً إلا والمنادى يناديهم ويتهمهم بسرقة صاع الملك وفتش أحمالهم مبتدئاً بالكبير ثم الأصغر حتى وجد الصاع فى حمل أخيه بنيامين فإستعطفوا يوسف أن يأخذ أحدهم عبداً له بدل بنيامين – رحمة بأبيه الشيخ الكبير – ولكنه أبى "قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون." وقال كبيرهم لن أبرح مكانى إلا أن يأذن لى أبى أو يحكم الله لى ، إرجعوا الى أبيكم وقصوا عليه ما

حدث ، فلما سمع يعقوب قولهم لم يصدقهم وأحالهم إلى أمر دبروه كما دبروا ليوسف من قبل وزاد حزنه حتى إبيضت عيناه وعاوده الوجد إلى يوسف ولأمه ولأولاده "قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين . قال "إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون . يا بنى إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين. " وجهزهم يعقوب بجهازهم وأعطاهم الهدايا وأمرهم بالعودة الى مصر ليتحسسوا من أمر يوسف وأخيه فلما دخلوا على يوسف " قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاه فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين . قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه أذ أنتم جاهلون. قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد منّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين . قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . إذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً وأتونى بأهلكم أجمعين . "وعاد أبناء يعقوب إلى أبيهم وألقوا بقميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيراً وقال " ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون. "

قام يعقوب وآله جميعاً الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه – (يعقوب وزوجته خالة يوسف حيث أن والدته توفيت وهو صغير)– وسجد له أبوه وأمه وأخوته وقال يوسف لأبيه "يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً . "

تقول التوراة فى سفر التكوين الإصحاح ٤٥ : ٤٧ أن فرعون الهكسوس كلم يوسف قائلاً أبوك وإخوتك جاءوا إليك . أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ليسكنوا فى أرض جاسان (الشرقية حالياً)وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فإجعلهم رؤساء مواش على التى لى . وكانت هذه الوظيفة – رعى مواشى الملك – من نصيب لاوى أخو يوسف . وإستجاب آل يعقوب لهذه الدعوة السخية وعاشوا فى مصر آمنين ناعمين بحياتهم ولكنهم – كطبيعتهم – عاشوا منعزلين عن شعب مصر .

خيانة اليهود من الجذور :

يتبين من سرد هذا الفصل ما طبعت عليه نفس بنى إسرائيل من خيانة وغدر من أقدم الجذور وكانت الخيانة الأولى هى خيانة رفقة زوجة إسحق حين إنتهزت فرصة شيخوخته وضعف بصره حين قدمت إليه إبنه يعقوب على أنه إبنه الأكبر البكر عيسو... وكانت الخيانة الثانية هى خيانة أبناء يعقوب لأخيهم يوسف حين أئتمروا به ورموه فى غيابة الجب... أما الخيانة الثالثة فهى تدل على الغدر والنذالة والإنحطاط... فليس أحط من غدر الضيف بمضيفه.. فقد جاء يعقوب وعائلته وسكنوا بجانب الفلسطينيين.. وكان مفروضاً أن يعيشوا بجانب أصحاب البلاد الأصليين فى ود وأمن وسلام.. ولكن تقول التوراة فى سفر التكوين إصحاح ٣٤ : "وخرجت دينة إبنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها... وكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لى هذه الصبية زوجة.. فخرج حمور الى يعقوب ليتكلم معه.. فأجاب

بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر.. وقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف لأنه عار لنا . غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً .. وإختتن كل ذكر.. فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن إبنى يعقوب شمعون ولاوى أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم إبنه بحد السيف.. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة.. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه وسلبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت ."

وهذه هى طبيعة بنى إسرائيل وأخلاقهم حتى اليوم .

* * *

الفصل الثالث

بنو إسرائيل فى مصر

تقول التوراة فى سفر التكوين الإصحاح الخامس والثلاثون "ظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام وباركه وقال له الله إسمك يعقوب . لا يدعى إسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسمك إسرائيل . فدعا إسمه إسرائيل . وقال له الله أنا الله القدير . أثمر وأكثر ، أمة وجماعة آمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطى الأرض . ودعا يعقوب إسم المكان الذى تكلم الله معه بيت أيل ."

وجاء إسرائيل وأهله الى مصر – كما بينا فى الفصل الثانى – وكان عدد نسل إسرائيل سبعون نسمة بخلاف أبناء العمومة وعماله وعبيده وتكاثر بنو إسرائيل فى مصر تكاثراً سريعاً وكثيراً وقد عاشوا فى مصر أكثر من أربعة قرون وأحصاهم موسى عند خروجهم من مصر – كما تقول التوراة – فبلغ عدد الذكور الحاملين للسلاح ٦٠٣,٥٠٠ إلا أن هذا الرقم مبالغ فيه جداً – على حسب عادة التوراتيون – ولكن على كل حال زاد عددهم زيادة كبيرة وكانوا – كطبيعتهم – يعيشون فى عزلة عن المصريين ، وكانوا عوناً للهكسوس يعيشون فى حمايتهم . نالوا أطيب خيرات مصر وسكنوا أغنى الأراضى على حساب المصريين المغلوبين على أمرهم . وأخذوا عن المصريين صياغة الذهب والفضة

وبتجارتهما وبتنمية المواشى والرعى . لم يحرثوا الأرض ويزرعوها ولا يشتركون فى تشييد المبانى وإقامة العمران كغيرهم من المصريين وكانوا - كطبيعتهم - مصرين على عزلتهم يتعالى أغنياؤهم على المصريين ويحاولون دائماً السيطرة على جمهور شعب مصر عن طريق الضغط الإقتصادى لاسيما وهوايتهم الأولى حب المال وجمعه بأى طريقة والسيطرة به على الآخرين - يساعدهم فى ذلك عون الهكسوس وحمايتهم .

وقد حكم الهكسوس شمال مصر فى الدلتا لأكثر من خمسة قرون وكونوا أربع أسرات هى الرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر وعاش اليهود فى كنفهم وحمايتهم وكانوا عوناً لهم . وكان فرعون مصر فى طيبة مغلوباً على أمره الى أن تولى العرش البطل "سقنن رع" الذى قاد معركة التحرير ولما مات خلفه ابنه "كامس" فى قيادة الحرب فى شجاعة حتى حقق النصر وضرب على أيدى الغزاة ولكن الموت لم يمهله طويلاً فمات بعد ثلاث سنوات وخلفه شقيقه الأصغر "أحمس" فأستخفه الأعداء لصغر سنه وأرادوا أن يستردوا سيطرتهم وقوتهم ولكن تصدى لهم البطل أحمس حتى طردهم خارج مصر وأنهى وجودهم فيها للأبد ويعتبر أحمس بداية الإمبراطورية المصرية العظيمة التى سادت كل المنطقة .

بعد طرد الهكسوس إنتبه المصريون الى بنى إسرائيل وطالبوهم بالعمل والإنتاج بدلاً من العيشة الناعمة على حساب الشعب المكافح العامل فكلفوهم بزراعة الأرض وتشييد المبانى وإقامة العمران والخدمة فى المعابد وتقول التوراة أنهم

بنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس (١) وتأزمت العلاقات بين بنى إسرائيل والمصريين فكانت إذا حلت بالمصريين بعض المحن أو الشدائد تنكر لهم بنو إسرائيل وتربصوا بهم الدوائر وشاعت الكراهية بين بنى إسرائيل وشاع الحذر والحيطة بين المصريين .

فرعون مصر .. والنبوءة :

ومرت السنين والإمبراطورية المصرية تتسع ويعظم نفوذها وبنو إسرائيل قابعون فى عزلتهم يشكون التعب والجهد بعد الحياة الناعمة فى حماية الأغراب المستعمرين إلى أن تولى عرش مصر "رمسيس الثانى" أعظم حكام مصر الفرعونية القديمة وكان شاباً لا يتجاوز سنه العشرون وظل يحكم الإمبراطورية زهاء ثلاثة أرباع قرن وكان مزواجاً تزوج أخته وثلاثة من بناته ومن أشهرهن "أست نفرت" وهى أخته و"نفرتارى" وأنجب من الذكور مائة وعشرين ومن البنات ما يزيد على الستين وكان رمسيس الثانى مولعاً بالبناء فأقام المعابد الضخمة الباقية على طول الزمن والتماثيل الضخمة والمسلات العظيمة التى سجل عليها حروبه وإنتصارته . كما كان من عاداته أن يحتفل كل عام بعيد توليه العرش ويفتتح فيه أثراً يكون قد تم إنشائه فى خلال العام . وأنشأ رمسيس الثانى معابد كثيرة منها معبد الأقصر ومعبد الكاب ومعبد العرابة ومعبد منف ومعبد أبو سمبل الذى يعتبر آية ومعجزة فى فن البناء إذ أنه منحوت فى الصخر وعلى واجهة المعبد نحتت أربعة

---

(١) الخروج اصحاح ١ .

تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى إرتفاع كل منها عشرين متراً والمعبد كله منحوت داخل صخر الجبل . وفى مهرجان إفتتاح المعبد وأثناء قيام كبير الكهنة بحساب الطالع هاله ما كشفت عنه الأرقام وطالعه النجمى فى علم الفلك وهرول الى الفرعون رمسيس الثانى وقابله منفرداً وقال له إنه بينما يرصد النجوم ويحسب الطالع لإفتتاح معبد أبو سمبل ظهر في الآفق نجمان لم يكونا على البال وبمتابعة العمل فكان لأحدهما عمل عاجل وللأخر عمل مؤجل ليس فى الحال . فسأل فرعون عن العمل العاجل وأجاب كبير الكهنة أنه يرى حدثاً خطيراً على حياة فرعون ذى الجلال على يد طفل ذكر يولد من العبرانيين الأنذال فأمر رمسيس قائلاً "فليقتل كل طفل ذكر يولد للعبرانيين فى الحال" وسأل عن النجم الثانى ذى الآجال البعيدة فقال كبير الكهنة :يُقطّع المعبد والتماثيل والعمدان وترفع الى أعلى بعد ثلاثة آلاف عام وربع على يد رئيس ليس بملك ولكن صاحب سلطان . وقال رمسيس : " ليس يهمنا ما يحدث للمعبد فى آخر الزمان ولكن قتل أطفال بنى إسرائيل ينفذ من الآن وكذلك إستحياء النساء وذلتهم بلا إستئذان . بأمرنا نحن الآله ينشر هذا فى سائر البلدان . (١)"

قام جند فرعون ورجال الحكومة المسئولين بتنفيذ ما أمر به فرعون من قتل الأطفال الذكور العبرانيين من ذلك الوقت وكان هناك قابلتان تقومان بتوليد النساء العبرانيات ، وكان العبرانيون يحبون العزلة كما بيناً

---

(١) قصة موسى ص ١٠ : ١٢ .

ويسكنون فى إقليم الشرقية الحالى فكان من السهل تنفيذ أمر فرعون بمراقبة النساء الحوامل وإستحيائهن والتفتيش المفاجئ عن الأطفال الذكور حديثى الولادة وينتزعونهم قسراً من أحضان أمهاتهن ثم يذبحونهم أمام أعينهم بين حزن وعويل وجنون الأمهات .

وفى هذا الجو الحزين كانت تعيش عائلات العبرانيين فقد كانت مجازر فلذات الأكباد الرضع ظلماً فظيعاً وقسوة بالغة تفقد العقول وتورث الإنهيار الكامل ويوم الحساب يسأل فرعون عن هذه النفوس بأى ذنب قتلت؟ فما يدرى جواباً فيلقى جزاء عمله هذا من العدل الإلهى أن أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب جزاء ما إقترفت يداه من قتل وإرهاب .

نشـــأة موســـى :

هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام .

وكان عمران يشرف على إدارة مواشى الملك بالإرث عن أجداده منذ أن خصص يوسف الصديق أخاه لاوى لرعاية شئون ماشية الملك منذ حوالى أربعة قرون سابقة وكانت زوجة عمران "يوكابد" من سبط لاوى أيضاً – وهى عمة زوجها بمقتضى الآية ٢٠ من سفر الخروج ، ولم يكن زواج العمات محرماً فى هذا الزمان – وولدت له مريم وهارون – قبل أمر فرعون بالمذبحة – ثم ولدت موسى وخبأته عن عيون من يطلبون قتل ذكور بنى إسرائيل ثلاثة أشهر ولما

خافت إفتضاح أمرها أوحى لها الله أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالحمر والزفت وتلقيه فى النيل وأنه سبحانه وتعالى رادُه إليها وجاعله من المرسلين ، وكلفت أخته مريم أن تتبع أثره وترقب مصيره حتى إلتقطه آل فرعون وأدخلوه القصر فلما رأته زوجة فرعون ألقى الله عليها محبته فأبقته راجية أن يكون قرة عين لها ولفرعون أو يتخذاه ولداً . وهكذا تدبير الله العليم الحكيم .

إحتضنته زوجة فرعون وعرضته على المراضع ولكن الله تعالى زهده فلم يقبل على ثدى إحداهن – وكانت مريم بنت المشرف على مواشى فرعون مسموحاً لها بدخول القصر – فلما رأت إمتناعه عن ثدى المراضع عرضت على آل فرعون أن تدعوا لهم إمرأة عبرانية ترضعه وتكون له مقام الأم وصادف قولها قبولاً منهم ولما جاءت أقبل على ثديها فألقوا إليها بموسى لترضعه وهم لا يعلمون أنه موضع حبها ولهفتها وعنايتها وقرروا لها أجراً وأن تحضره الى القصر بين الحين والحين لتسعد برؤياه زوجة فرعون .

يقول الله تعالى فى سورة القصص : ﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنبٍ وهم لا يشعرون وحرمّنا عليه المراضع من قبل فقالت هل

أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون – فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون .﴾

إستمرت "يوكابد" ترضع الطفل حتى بلغ من العمر سنتين تقريباً وكانت أخته مريم الخادمة الخاصة له ثم ردته الى أمه " أست نفرت زوجة فرعون " وكان نموه غير طبيعى فكان جسمه أكبر من سنه وألقى الله عليه محبته فشب مدللاً محبوباً تحوطه العناية والرعاية يتزلفه الخدم والحرس ويتقرب إليه موظفو القصر ، وكلما كبر زاد قوة وبسطة فى الجسم وتعلقت به أمه " أست نفرت "حتى لم تعد تطيق أن يبتعد عنها وأخذ موسى يتردد على يوكابد مرضعته وأمه الحقيقية بصحبة خادمته مريم ولما بلغ السادسة ونضج عقله أخذت يوكابد تلقنه بحذر أنها والدته الحقيقية التى ولدته وأن هارون أخوه وهو يكبره بثلاث سنوات وأن مريم أخته وتكبره بعشر سنين وتحذره أن يبوح بذلك لأحد وكلما كبر سنه تلقنه هذه الأسرار دائماً حتى أستقرت هذه الحقيقة فى ذهنه ووعاها عقله الباطنى وتحذره أن يبوح بها لأحد .

وعندما بلغ السابعة من عمره كان يحضر اليه مؤدب من رجال الدين يعلمه القراءة والكتابة وكلما مرت السنين زادت الدروس نوعاً وعدداً فأخذ يدرس علوم الفلك والحكمة والحساب وتفوق فيها أكثر من إبن الملك الذى كان يزامله فى الدراسة أما الدروس الدينية وتعاليم الكهنوت فقد حماه الله من نفاذ معتقداتهم الدينية الى قلبه ولما بلغ العشرين من عمره وأصبح شاباً قوياً مفتول العضلات آتاه الله الرشد والحكمة وأخذت تشرق فى قلبه أنوار الإيمان وتلهمه

عقيدة التوحيد وتطرد عنه وساوس الشيطان وأخذ يتأمل ويفكر فى صنع الرب الذى خلق الأرض والسماء والمخلوقات وينبذ ما يتبعه آل فرعون من عبادة فرعون أو رع أو أمون أسماء لا تملك أن تخلق شيئاً . وكان والده "عمران" يلقنه بين الحين والحين نبذات عن عقيدة التوحيد وهو يحذره دائماً أن يبوح بشئ لأحد .

موسى يتعرف على أصل إسرائيل :

سأل موسى والده عمران عن أصل إسرائيل فقص عليه والده تاريخاً مختصراً بدءاً من إبراهيم خليل الرب عليه السلام لما آمن بالله وكسر الأصنام فأمر الملك النمرود بحرقه ولكن الرب أمر " يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم " وأمام الإضطهاد هاجر إبراهيم من بلده بابل بدلتا الفرات الى فلسطين حيث دفن هناك إلى أن جاء إلى قصة يوسف عليه السلام – ابن يعقوب وحفيد إبراهيم – وقصته فى مصر ثم حضور إسرائيل وأهله الى مصر منذ حوالى أربعة قرون وإشتغالهم أولاً برعى الأغنام والماشية وبتقادم الزمن أشتغل العبرانيون بالحرف الأخرى كصياغة الذهب والفضة وأعمال البناء والتجارة والخدمة لدى المصريين فى المعابد والبيوت وما آل إليه أمرهم من ذل وإستعباد . والعبرانيون عقيدتهم التوحيد والإيمان بالله خالق كل شئ أما المصريون فهم عبدة أوثان وأرباب مختلفة ، ثم طمأنه أبوه وزاد شعلة الإيمان فى قلبه حين أخبره أن ملاك الرب قد بشر والدته " يوكابد " وهو طفل صغير بأنه سيكون من المرسلين . وتعلق قلب موسى بهذا الأمل وأن ينشر دعوة التوحيد ويخلص بنى إسرائيل من الذل والعبودية والله قادر على كل شئ . وعاهد أبوه أن يكون ظهيراً للعبرانيين.

موسى يقتل مصرياً :

عُرف موسى بين المصريين والعبرانيين بالشجاعة والشهامة ونصرة المظلوم بجانب نفوذه الملكى فكان يلقب ب"موسى ابن فرعون " وفى أحد الأيام خرج من القصر الى المدينة فرأى رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاث به الذى من شيعته لأن المصرى يريد أن يسخر العبرى ليحمل حملاً ثقيلاً فتدخل موسى بينهما ليقنع المصرى بعدم إستطاعة العبرى على حمل ذلك الثقل الكبير فلم يقبل المصرى وأبى أن يتركه فأمسك موسى بالمصرى ليخلص منه العبرى ووكزه فقضى على المصرى ومات فواراه التراب ولم يره (١) أحد ولكنه ندم على فعلته فلم يكن يقصد قتله وقال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ثم تاب الى الله وقال رب إنى بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين . فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب خشية أن يكتشف أمره فيحاكم أو يقتل .

وفى اليوم التالى إذا الذى إستنصره بالأمس يستصرخه فنهره موسى غاضباً وقال له انك لغوى مبين فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما ظنه العبرى أنه سيبطش به نفسه فقال له يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١) .

---

(١) قصة موسى – ص ١٢.

وجرى المتشاجران من أمام موسى خوفاً على حياتهما وذهب المصرى فنشر الخبر فى المدينة بأن الذى قتل المصرى بالأمس هو موسى أبن فرعون (١) وجاء رجل من شيعته عندما سمع بالخبر يتناقله المصريون وتجمهروا مطالبين بإنزال القصاص بالقاتل . وقال الرجل يا موسى إن الملأ يتآمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين ، فخرج منها خائفاً يترقب وقال رب نجنى من القوم الظالمين. ولم يذهب الى قصر فرعون بل ذهب الى بيت عمران ليختبئ فيه حتى الليل ويجهز نفسه للرحيل والهرب بعيداً عن المدينة وعند منتصف الليل خرج موسى من دار أبيه عمران متخفياً فى ملابس أخيه هارون وركب حماره وغادر المدينة متجهاً جهة الشرق وهو لا يعرف لنفسه هدفاً إلا النجاة من فرعون وقومه طالباً من الله أن يهديه سواء السبيل وأن يؤيده بالروح القدس الذى أمّن إبراهيم وسط النيران وآنس يوسف فى الجب وأنقذ إسماعيل من الذبح .

هذه قصة موسى كما أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بينما تقول التوراة : "وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج الى إخوته لينظر فى أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته فإلتفت الى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل . ثم خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك . فقال من جعلك رئيساً وقاضياً علينا . أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى . فخاف موسى وقال حقاً قد عُرف الأمر . فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن

---

(١) قصة موسى ص ٢٥ ، ٢٦ .

يقتل موسى . فهرب موسى من وجه فرعون . وسكن فى أرض مديان . وجلس عند البئر . " (١)

لم يشعر موسى بخوف بل سار بقلب مطمئن ثابت وقد أنزل الله عليه السكينه وهدوء النفس حتى وصل الى طريق القوافل عبر سيناء وهو يقطع الفيافى والجبال فى صبر كامل وينزل عند بعض الأعراب حيث يستريح قبل أن يعاود سيره وكانوا يكرمونه ويقدمون له بعض ما عندهم من طعام وماء ثم يتابع سيره حتى حفيت أقدام حماره وسقط صريعاً من التعب فتركه موسى حيث مات وصار منفرداً على قدميه على غير هدى إلا هدى الله حتى وصل الى وادى مدين وهو المكان الذى حول العقبة الحالية .

ولما وصل الى بئر مدين وجد جمعاً من الناس يسقون أغنامهم ووجد من دونهم إمرأتين تحوطان أغنامهما وتنتظران حتى يفرغ الرعاة وينصرفوا فسألهما موسى ما خطبكما فقالتا لا نستطيع مزاحمة الرجال وننتظر حتى يصدر الرعاة وأبونا شيخ كبير لا يستطيع أن يحضر معنا فقام موسى وسقى لهما ثم آوى الى الظل وقال فى نفسه رب لما أنزلت إلىّ من قوة فأنا فقير .

موسى والشيخ الصالح (النبى شعيب إحتمالاً) :

وبينما موسى يشغل نفسه بموقفه الجديد يطلب من الله العون والهدى إذا

---

(١) الخروج الإصحاح الثانى .

بإحـدى المرأتين تأتـى على إستحياء وتقول له إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيـت لنا فنهض وسـار معهـا حتى وصل الى بيت الشيخ وهو " سيدنا شعيب " الذى أكرمه وأحسن مثواه وبعد أن تناولوا طعام العشاء سأل شعيب ضيفه عن اسمـه وحالـه فقصّ عليه قصته فقال الشيخ الكبير " نجوت من القوم الظالمين " . وبعد بضعة أيام تعرف الشيخ على شجاعة موسى وقوته ومروءته وعفتـه ، قالت لـه إحدى إبنتيه : " يا أبت إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الأمين . " وصادف هذا القول القبول من شعيب فقال لموسى : " يا بنى إنى أريد إن أنكحك إحـدى إبنتى هاتين على أن تأجرنى ثمـانى حـجج فـإن أتممت عشراً فـمن عندك ومـا أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين . "

زواج موسى :

قبل موسى أن يتزوج إحدى إبنتى شعيب وأن يخدمه صداقاً لهاحيث لا يملك مالاً وقال للشيخ : ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علىّ والله على ما نقول وكيل .

أخذ موسى يعمل فى بيت شعيب وحقله يزرع ويحرث ويحصد ويرعى الغنم ويجمع الثمار بكل الأمانة والإخلاص وفاء لمهر زوجته حتى أتم السنوات العشر وتزوج من إبنة شعيب التى طلبت من أبيها أن يستأجره وعاش معها سعيداً وأنجب منها ولدين أحدهما يدعى " جرشوم " والثانى " اليعازر " .

وقضى موسى عشر سنوات أخرى مع شعيب وأهله يرعى مصالح الشيخ ويقـوم على كل شئونه ثم عاوده الحنين الى بلده مصـر واشتـاق لرؤية والديه وإخوته وتاقت نفسه لمشاهدة الأرض الطيبة والمزارع والبساتين الفيحاء وليشرب من ماء النيل المقدس فضلاً عن إحساسه بنداء يناديه بإستمرار " إرجع يا موسى الى مصر فقد حان موعد الخلاص . "

* * *

الفصل الرابع

موســـى وفرعـــون

قص موسى عل صهره "الرجل الصالح" (١) رغبته فى العودة الى مصر وحنينه الى أهله والهاتف الذى يحسه ويناديه بإستمرار "إرجع يا موسى الى مصر فقد حان ميعاد الخلاص"وتذكر حديثه مع والده "عمران" قبل عشرين عاماً فى مصر بأن الله قد بشر أمه وهو طفل صغير بانه سيكون من المرسلين كما تذكر عهده مع والده بأن يكون ظهيراً للعبرانيين .

وبعد تقليب الرأى والتفكير قال له شعيب "أبشر يا ولدى فانها إرهاصات النبوة" ودعا له الله أن يبارك رحيله ويرعى إقامته وينصر جهاده .

أخذ موسى يعد زاده ويجمع متاعه ويجهز راحلته له ولعائلته وماشيته وأغنامه ولما حان موعد الرحيل جاءه شعيب يودعه وأخبره أنه جاءه فى المنام من يأمره بتسليم عصاته الى موسى وقال له " يا موسى أُسلمك هذه العصاة وانها قد توارثتها الأنبياء من سيدنا إبراهيم الى اسحق الى يعقوب الى يوسف وإنى كنت أحتفظ بها عندى حتى جاء الأمر بتسليمها إليك ."والله يجعل لكل شئ سببا فاستلم موسى العصاة شاكراً وقال الحمد لله تبارك الذى بيده الملك .

---

(١) قصة موسى : أصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

فى طريق العودة الى مصر :

غادر موسى مدين متجهاً جنوباً محاذياً ساحل البحر (خليج العقبة حالياً) حتى وصل الى أسفل شبه جزيرة سيناء (رأس محمد حالياً) ثم إتجه شمالاً بمحاذاة خليج السويس حتى وصل تجاه جبل الطور مساءً وكان متعباً وكانت ليلة ظلماء باردة من ليالى الشتاء قارس البرودة . أراد موسى أن يشعل ناراً يصطلى بها هو وزوجته وأولاده ولم يوفق ثم رأى موسى ناراً على الجبل فقال لأهله "امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون." وأسرع موسى فى إتجاه النار ولما أتاها وقف مبهوراً حيراناً اذ وجد النار فى وسط الشجرة ذات الورق الأخضر وهى لا تطفأ ولا تشتعل وبينما هو فى لحظة التأمل والتفكير ألقى فى قلبه أنها ليست ناراً تحرق ولكنها أنواراً قدسية وتذكر النار التى ألقى فيها سيدنا إبراهيم فكانت برداً وسلاماً وما لبث أن سمع النداء الكريم من قبل الله عز وجل فى البقعة المباركة من الشجرة "أن بورك من فى النار ومن حولها يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا إخترتك فإستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى" فخر موسى ساجداً شاكراً يسبح بحمد ربه ويقدس له ووجد نفسه قد لفه النور الالهى من كل جانب لأنه فى مقام القرب وأصبح كلام الله له محيطاً بجميع أجزائه تستشعره حواسه بلا صوت ووعى عقله وفؤاده معانى الألفاظ والكلام بغير لغة أو نطق . وأنه لموقف ليس لبشر أن يعبر عنه بقلمه لأنه فوق قدرة البشر . وفقط يحس بهذه القدرة النورانية وينعم بجمال هذه المواقف الالهية فى حضرة قدسه الكريم بعض الخاصة من المؤمنين الذين أختصهم الرحمن

بالقرب من أوليائه المفضلين والعارفين المكرمين .

كلام الله لموسى :

ولقد دار الحديث بين موسى وربه على الوجه التالى :

قال الله : وما تلك بيمينك يا موسى

قال موسى : هـــى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى

قال الله : ألقِ عصاك

موسى : ألقاها فاذا هى حية تسعى

فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولىّ مدبراً ولم يعقب

قال الله : يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . انى لا يخاف لدى المرسلون خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى

قال موسى : غفرانك ربى فلم يكن لى به علم من قبل ولن أخافه من بعد

قال الله : أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه .

مــوسى : يضم يده الى جناحه فتخرج بيضاء للناظرين سبحانك يا ذا الجلال والإكرام إنك على كل شئ قدير .

قال الله : ذانك برهانان مــن ربــك الى فرعــون وملئه . انهــم كانوا قوما

فاسقين . لنريك من آياتنا الكبرى . أذهب الى فرعون إنه طغى

موسى : رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون . رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمره ، فهو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى . انى أخاف أن يكذبون.

قال الله : لقد أوتيت سؤلك يا موسى . سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما . أذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى . إذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى .

قال موسى : ربنا انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى .

قال الله : لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى . فاتياه فقولا إنّا رسولا ربك فارسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى .

قال موسى : انّ هذا لهو البلاء المبين .

قال الله : لقد مننا عليك مرة أخرى . اذ أوحينا الى أمك ما يوحى آن أقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم .فليلقه اليم بالساحل . يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتُصنعَ على عينى .

اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ثم قتلت نفساً فنجيناك من الغم . وفتناك فتوناً . فلبثت سنين في أهل مدين . ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي .

موسى : خر ساجداً شاكراً واستأذن من ربه راجعاً

وتقول التوراة عن القصة في سفر الخروج الإصحاح الثاني والإصحاح الثالث - بعد حادث قتل موسى للمصري - : فخاف موسى وقال حقاً قد عرف الأمر . فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر .

وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن فأتى الرعاة وطردوهن . فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن فلما أتين الى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن أسرعتن في المجئ اليوم . فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة . وأنه أستقى لنا أيضاً وسقى الغنم . فقال لبناته وأين هو ولماذا تركتن الرجل ادعونه ليأكل طعاماً . فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل ، فأُعطِي موسى صفورة ابنته فولدت ابنا فدعى اسمه "جرشوم" . لأنه قال كنت نزيلا في أرض غريبة .

وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من

العبودية وصرخوا . فصعد صراخهم الى الله من أجل العبودية (١) . فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم واسحق ويعقوب . ونظر الله بنى إسرائيل وعلم الله . وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن ماديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب من نار وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى . فقال هاأنذا فقال لا تقترب الى ههُنا . اخلع حذاءك من رجليك . لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة .

ثم قال أنا اله أبيك إبراهيم واله اسحق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله . فقال الرب انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم . إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة الى أرض تفيض لبناً وعسلاً . الى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد أتى الى ورأيت أيضاً الضيقة التى يضايقهم بها المصريون . فالآن هلم فأرسلك الى فرعون فتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر .

---

(١) الخروج الإصحاح الثالث .

فقال موسى لله من أنا حتى أذهب الى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر . فقال إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل . فقال موسى لله هانذا آتى الى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى اليكم فاذا قالوا لى ما أسمه فماذا أقول لهم . فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آباكم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا إسمى الى الأبد وهذا ذكرى الى دور فدور . إذهب وإجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم إله آبائكم إبراهيم واسحق ويعقوب ظهر لى قائلاً انى قد افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر . فقلت أصعدكم من مذلة مصر الى أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين الى أرض تفيض لبناً وعسلاً .

رجع موسى من فوق الجبل ولما رأته زوجته "صفورة" عجبت عما لحقه فقد كان وجهه يشع نوراً وبهاء ولما سألته عن طول غيابه قص عليها ما سمع وما رأى من الله عز وجل فأخبرته أن أباها أخبرها أنه رجل مبروك وأن العصى التى أعطاها له لا يقوى على حملها إلا نبى مرسل وشجعته على مهمته وأنه مؤيد بقوة الإله العظيم الجبار وإستأنف موسى وأهله السفر الى مصر حتى غادروا سيناء ثم تابعوا السير حتى دخلوا أخيراً الى عاصمة فرعون الثانية "بر رعمسيس" ولم يتعرف عليه أحد بعد غياب عشرين سنة وتوجه الى بيت أبيه عمران وكانت مفاجأة سارة لعائلته تعلقوا به يتحسسونه ويمطرونه بالقبلات وإحتفلوا بزوجته وأولاده بفرح عظيم لم يعكره على موسى إلا معرفته بوفاة أبيه منذ عدة سنوات .

وقص عليهم موسى قصته منذ خرج هارباً من مصر ووصوله الى مدين حيث آواه الرجل الصالح شعيب وكفله وزوجه إبنته وأخيراً ما حباه به الله بأن بعثه نبياً ورسولاً لبنى إسرائيل . وإنه عازم على القيام بمهمته التى كلفه بها الرب وأن يذهب هو وهارون الى فرعون يطلبان منه أن يأذن لبنى إسرائيل بالخروج من مصر الى أرض فلسطين ليعبدوا الله فى البرية فإذا قبل كان خيراً وإذا رفض سلطنا عليه آيات الله ومعجزاته وإذا تمادى فى الرفض والعناد سلط الرب عليه العذاب ألواناً من الجراد والقمل والضفادع والدم وهلاك الحرث والنسل حتى يخضع لأمر الله .

تنفيذ رسالة الرب :

إنفرد موسى وهارون وأخذا يتشاوران فى خطوات تنفيذ الرسالة وقررا أولاً الإجتماع مع شيوخ بنى إسرائيل وإبلاغهم برسالة الرب بالخروج من مصر الى أرض فلسطين حيث تفيض لبناً وعسلاً ليقفوا خلفهم وليتخلص الشعب من الذل والعبودية ويعبدوا الله وأوكل موسى الى أخيه هارون الإتصال بشيوخ بنى إسرائيل وترتيب الإجتماع بهم وأن يهيئ له زيارة الملكة "إست نفرت" زوجة الفرعون رمسيس نظراً لأن هارون كان يشغل وظيفة أباه – بعد وفاته – وهى رئيس إدارة مواشى القصر وبحكم هذه الوظيفة يستطيع دخول القصر فى أى وقت كما كانت أخته مريم تعمل فى جناح الملكة الخاص . وحين علمت الملكة منهما بعودة موسى فرحت كثيراً وطلبت منهما أن يحضراه فوراً . ودخل موسى وهارون جناح الملكة وكان لقاء موسى والملكة مؤثراً جداً وأخذ موسى

يقبل يدها حباً وشوقاً فلها عليه حقوق التربية وكانت الملكة قد قاربت الثمانين شيخة عجوز ووصل نبأ موسى الى فرعون الشيخ الهرم اذ كان قد ناهز مائة عام فأخذتهما الملكة الى جناح فرعون وإستأذن موسى من فرعون أن يسمح لهما بالمثول بين يديه لأمر هام وأذن فرعون بالمقابلة فى الأسبوع التالى فى يوم المظالم فى قاعة العرش وإنصرف موسى وهارون مسرورين بهذا اللقاء الأول وذهب هارون وقابل شيوخ بنى إسرائيل وشرح لهم أن الله قد إختار أخاه موسى نبياً لبنى إسرائيل ليخلصهم من العذاب ويخرجهم من مصر الى فلسطين ليعبدوا الله فى البرية فإستجابوا للدعوة وأعطوا المواثيق والعهود أن يطيعوا موسى وهارون ولا يخالفون لهما رأياً .

وفى الموعد المحدد ذهب موسى وهارون الى قصر فرعون وهو جالس فى قاعة العرش فى أبهة وعظمة يحيط به كبار رجال الدولة والجند المدججون بالسلاح . سأله فرعون ما خطبه فأخبره برسالة رب العالمين لخروج بنى إسرائيل من مصر الى فلسطين ليعبدوا الله فى البرية وحاجّة فرعون وإنه هو الإله الأعظم وأن موسى لو إتخذ إلهاً غيره ليكون من المسجونين ولما رأى موسى عناد فرعون وكبرياءه ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى وأدخل يده فى جيبه وأخرجها تشع نوراً وبهاء ، ورغم ذلك لم يؤمن فرعون ومن حوله – إلا رجل مؤمن يكتم إيمانه – وقال ان موسى لساحر عليم ولنأتينه بسحر أكبر وحدد يوم الزينة ليجمع له السحرة حاشرين .

يوم الزينة :

وكان يوم الزينة هو يوم الإحتفال بوفاء النيل حيث يقام مهرجان دينى كبير يزدحم فيه النيل بالسفن تحيط بسفينة فرعون حيث يجلس فرعون والكاهن الأكبر وعروس النيل وهى الفتاة الجميلة يلقى بها فى النيل فى هذا اليوم جزاء وفائه بالفيضان. وبعد إنتهاء هذا الحفل الدينى المقدس أقيم الحفل الكبير للسحرة وتصدر الحفل الفرعون الإله يحيط به الأمراء ورجال الدولة وجاء – أساطين السحرة وبعد أن إتخذوا أماكنهم قالوا لفرعون "أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين "وقال فرعون"نعم وانكم اذاً لمن المقربين" ولما تجهز القوم قال موسى للسحرة "ألقوا ما أنتم ملقون" فلما ألقوا سحروا أعين الناس وإسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وإمتلأت الساحة بثعابين وحيات كثيرة مختلفة الأشكال والأحجام. وقال موسى "ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لايصلح عمل المفسدين" وألقى موسى عصاه فإذا هى ثعبان مبين أخذ يلقف تلك الثعابين والحيات حتى أتى عليها وقال موسى "لمن الملك اليوم" وتردد فى الجنبات صدى الإجابة "لله الواحد القهار" وصاح السحرة "إنا آمنا برب موسى وهارون" وقال فرعون "آمنتم به قبل أن آذن لكم . إنه لكبيركم الذى علمكم السحر" وتوعدهم بالقتل والصلب وبالفعل تم قتل السحرة وصلبهم فى جزوع النخل.

بعد يوم الزينة إجتمع فرعون بكبار رجال الدولة ووجهاء الشعب وتدارسوا أمر موسى وإستقر رأيهم على المزيد من العذاب على بنى إسرائيل بقتل أطفالهم وتسخيرهم دون أجر فأخذوا قسراً لأعمال البناء وتطهير الترع والمساقى وزراعة

الحقول والخدمة فى بيوت المصريين . وبلغت أحوال العذاب حداً يعجز عن الوصف وصرخ بنو إسرائيل لموسى قائلين "أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا . إدعوا الله أن ينزل بآل فرعون أشد العذاب" وكان صبر موسى قد نفذ فعلاً فدعا الله على آل فرعون.

وفى صباح اليوم التالى أمطرت السماء مطراً شديداً أضر بالزرع وأتلف الحرث ثم إنتشر الجراد فأكل كل أخضر وأتلف الثمار والزروع . هرع آل فرعون الى موسى يسألونه أن يرفع عنهم هذا البلاء وسيؤمنون به فدعا ربه فرفع الجراد ولكنهم لم يؤمنوا . ثم إنتشرت فى مصر كلها الضفادع والقمل وملأت البيوت والطرقات وآذت الجميع فلجأ آل فرعون الى موسى يطلبون منه ثانية أن يرفع عنهم هذا البلاء وليؤمنن به ويرسلون معه بنو إسرائيل فلما رفع عنهم القمل والضفادع إذا هم ينكثون . ثم أنذرهم موسى أنه سيصيب المصريين الدم إن تمادوا فى عنادهم وفعلاً سالت دماء المصريين من أنوفهم وساءت صحتهم وهزلت أجسامهم ولما هرعوا الى موسى يطلبون منه رفع هذا البلاء إشترط عليهم أن يأتوه بكتاب خطى من فرعون بالموافقةعلى خروج بنى إسرائيل من مصر . فلما وافق فرعون صاغراً وتسلم موسى الإذن دعا ربه فرفع الدم عن المصريين .

تقول التوراة : "فحدث (١) فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الأسير الذى في السجن

---

(١) سفر الخروج الإصحاح ١٢

وكل بكر بهيمة فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين وكان صراخ عظيم فى مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت فدعا فرعون موسى وهارون ليلاً وقال لهما قوموا اخرجوا من بين شعبى أنتما وبنو إسرائيل جميعاً وإذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم خذوا غنمكم أيضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركونى أيضا وألح المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلاً من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات .

فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم . وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين ."

* * *

الفصل الخامس

الخروج

أوحى الله الى موسى " أن أسر بعبادى ليلاً " فأمر قومه بالأستعداد للرحيل فجهزوا متاعهم وماشيتهم وأغنامهم . وفى الليلة الموعودة غادروا مصر بعد أن قضوا فيها أكثر من أربعة قرون . غادروها الى فلسطين حيث أمرهم الله أن يعبدوه فى البرية . غادروا مصر بعد أن استعبدوا وذاقوا الظلم والذل ليعبدوا الله ويعيشوا فى أمن وسلام ، لا أن يعتدوا ويقتلوا ويشردوا غيرهم من عباد الله وكان عددهم حوالى أربعمائة ألف نسمة ، وتقول التوراة أكثر من ستمائة ألف على عادة التوراتيون فى المبالغة .

إتجه موسى بقومه فى منتصف الليل متجهاً شرقاً ، متبعاً نفس الطريق الذى سلكه فى عودته من مدين حتى يصل الى جبل الطور وذلك على موعدة من ربه حتى يكلمه مرة ثانية ويتلقى التوراة والتكليف بالرسالة.

وبعد يومين من رحيل بنى إسرائيل تنبه المصريون أن بنى إسرائيل قد إستعاروا منهم حليهم وزينتهم من الذهب والفضة وثيابهم الغالية ورحلوا بها دون أن يردوها . كما تنبه فرعون والمسئولون الى الفراغ الذى تركه العبرانيون فى أعمال السُّخره والخدمة والأعمال الدنيا التى كان المصريون يتعففون من القيام بها فقرر فرعون أن يعيدهم ثانياً بالقوة الى أعمالهم فجمع جمعاً من جنوده فى

ستمائة عجلة حربية (منفتاح ابن رمسيس) وسار بهم شرقاً متبعاً أثرهم . ووصل بنو إسرائيل الى خليج السويس الى الجنوب من مدينة القلزم (السويس الحالية) وتراءى الجمعان على بعد فقال أصحاب موسى إنا لمدركون فقال موسى كلا إن معى ربى سيهدين. وعندئذ تلقى موسى الوحى من الله أن أضرب بعصاك البحر فإنفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأرسل الله ريحاً عاتية على البحر جففت قاعه وعبر موسى وقومه من الشاطئ الغربى الى الشاطئ الشرقى ووصل موسى وقومه سالمين الى سينا . وفرعون وجنده يجد فى أثرهم ورآهم على بعد والطريق فى قاع البحر يابساً فدخل وراءهم ليلحق بهم ولما توسطوا البحر انطبق شقا الماء عليهم وغرق فرعون وجنوده أجمعون وقال فرعون "آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين." فأسمعه الله صوتاً يقول "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون."

فرح بنو إسرائيل بنصر الله فأقاموا الصلاة شكراً ، ثم قضوا الليل يغنون ويضربون الدف ويرقصون . ورقصت مريم (أخت هارون وموسى) كما تقول التوراة ومعها جميع نساء إسرائيل كما لم يرقصوا من قبل. (١)

سار بنو إسرائيل بحذاء ساحل البحر جنوباً ثلاثة أيام وما أن أحسوا بالعطش حتى علا عويلهم وصراخهم فما زال عهدهم قريباً بماء النيل العذب وذهبوا الى

---

(١) خروج ١٥ – وقصة موسى.

موسى صارخين يطلبون الماء لهم ولمواشيهم فأوحى الله إليه أن أضرب بعصاك الحجر فإنفجرت منه إثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم (حسب عدد أسباط بنى إسرائيل) وهذه العيون موجودة للآن جنوب السويس بحوالى عشرة كيلو مترات وتعرف بعيون موسى.

وتابع موسى السير بقومه جنوباً والماء فى الصحراء فى عيون قليلة لا تكفى بنى إسرائيل ومواشيهم وتكرر تفجير المياه بعصا موسى كلما تنقلوا فى سينا.

الغمامة تظللهم والمن والسلوى :

بنو إسرائيل قوم لا يتحملون الجهد الشديد إلا غصباً وقسراً وقد رأوا معجزات موسى تترى ، فتسع آيات ضد فرعون وقومه والعصا وبياض اليد وفلق البحر وعيون الماء كل هذا جعلهم قليلى الصبر يطالبون موسى بما يعن لهم كبيراً كان أم صغيراً ، قد هبوا يشكون له من شمس الصحراء المحرقة فأوحى الله له أن قد سخر لهم الغمام يظللهم أينما يكونون . وما أكثر ما ضاق بنو إسرائيل بنبيهم لما عانوه من مشقة وقالوا له ليتنا متنا فى مصر عند قدور اللحم ونأكل خبزاً للشبع وراحوا يسألونه أن يدبر لهم أمر طعامهم فقال لهم أن الله أوحى إليه أن الله نزل عليكم المن والسلوى "كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيحل عليكم غضبى" وأمرهم ألا يدخروا من طعامهم هذا الى اليوم التالى لأنه سيتلف وأن الله سيكفل لهم هذا الرزق صبيحة كل يوم بما يكفيهم جميعاً ..

وتقدمت القافلة جنوباً وإذا هم أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم

فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال موسى إنكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبرما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين . وغضب موسى وأشتد غضبه من قول قومه رغم المعجزات الكبرى التى أظهرها الله على يديه.

الوادى المقدس :

أستمرت القافلة فى طريقها جنوباً يقودها رسول الله موسى عليه السلام حتى وصلوا الى الوادى المقدس طوى وحطوا رحالهم فى سفح جبل الطور . وإجتمع بنو إسرائيل جميعاً ليستمعوا لموسى الذى أخبرهم أنه صاعد الى الجبل فقد واعده ربه ثلاثين ليلة يقضيها على الجبل يتلقى فيها التوراة ووصايا وحكم الله . وإختار سبعون مؤمناً من شيوخ الأسباط وإستخلف أخاه هارون على بنى إسرائيل وقال له "أخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين"

صعود الجبل :

وحضر ملاك الرب جبريل ليصحب موسى الى الشجرة المقدسة ويرافقه فى مهمته العظمى . وتعجّل موسى شوقاً الى لقاء ربه وأسرع مع ملاك الرب جبريل ولم يلحقه قومه ولما وجدوا أن موسى قد وصل الى المكان المقدس من البقعة المباركة من الشجرة وقد غمره النور الإلهى توقف السبعون شيخاً فليس ذلك مقامهم .

بقى موسى على قمة الجبل فى ذلك المكان المقدس حسب ميقات ربه "وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة" وكان موسى طوال هذه الأيام صائماً لا يأكل ولا يشرب وهى مواقف ربانية يصدق بها ولا تناقش ولا تجادل .

الحضرة القدسية والتوراة :

وسط الأنوار الإلهية وفى حضرة ذات الجلال والإكرام كلم الله موسى تكليما وهو موقف ذو جلال ورهبة وقداسة وتلقى موسى من ربه التوراة فيها هدى ونور لبنى إسرائيل وكتب له فى الألواح تبياناً للناس لعلهم يتقون . وشاء الله أن تتحرك فى نفس موسى رغبة جامحة لرؤية ربه بالعين وإشتعلت فى قلبه نار الشوق فقال الله لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فان إستقر مكانه فسوف ترانى "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق ... قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ."

قال الله: "يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ." "وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأأمر قومك يأخذوا بأحسنها " .

ثم قال الله تعالى : " ما أعجلك عن قومك يا موسى "

قال موسى : " هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى "

قال الله : " انا فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى . "

عندئذ خجل موسى أمام ربه وغضب غضباً شديداً أن يضل قومه بعد المعجزات الكبيرة التى رأوها بأعينهم وبعد النعم الكثيرة التى منحهم الله وتمتعوا بها وأنقذتهم من كل ضيق تعرضوا له من حرارة الشمس المحرقة ومن العطش والجوع فى الصحراء المجدبة فإستأذن موسى من ربه وأخذ الألواح ونزل من الجبل مسرعاً الى قومه غضبان أسفاً .

قصة موسى على الجبل فى التوراة :

تقول التوراة فى سفر الخروج الاصحاح التاسع عشر أن ذلك كان فى الشهر الثالث من ذخولهم سينا بعد إجتياز البحر .

"... أما موسى فصعد الى الجبل فناداه الرب من الجبل قائلاً : هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل .. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا جعلتكم على أجنحة النسور . وجئت بكم اليَّ . فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى ملكه كهنة ، وأمة مقدسة ..."

قالت التوراة أن الرب أمر اليهود أن يغسلوا ثيابهم ويستعدوا لليوم العظيم ويبدأ الرب يتكلم بالوصايا العشر :

الوصية الأولى : "أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكون لك آلهة أخرى أمامى " أى اقرار بمبدأ التوحيد" .

الوصية الثانية : "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأ نى أنا الرب الهك اله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبغِضِىّ وأصنع احساناً الى ألف من محبىّ وحافظى وصاياى" أى الإنتقام من الذرية حتى الجيل الرابع. "

الوصية الثالثة : لا تنطق بإسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق بإسمه باطلاً ." أى لا تحلف بالله باطلاً ولا تدعى على الله باطلاً ."

الوصية الرابعة : "أذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملاً ما أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وأمتك ، وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه." أى راحة يوم السبت ، نهاية الأسبوع بعد العمل ."

الوصية الخامسة : "أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك ." أى البر بالوالدين ."

الوصية السادسة : "لا تقتل ..."

الوصية السابعة : "لا تزن ..."

الوصية الثامنة : "لا تسرق ..."

الوصية التاسعة : "لا تشهد على قريبك شهادة زور ."

الوصية العاشرة: "لا تشتهى بيت قريبك ، ولاتشتهى إمرأة قريبك ولاثوره ولاحماره ولاشئ مما لقريبك ." أى لا تنظر ولا تحسد ما بيد غيرك ."

وقد فهم اليهود من هذه الوصايا أنهم لا يقتلون ولا يسرقون ولا يزنون ولا يشهدون الزور ولا يحلفون الباطل بالنسبة لليهود وللقريب فقط أما بالنسبة لباقى البشر فمسموح به وسنرى كيف إفتتحوا أيامهم فى فلسطين بمذبحة أريحا الفظيعة فى التاريخ القديم ومذبحة قبية ومذبحة دير ياسين فى تاريخهم القريب .

ذلكم وصاكم به فى القرآن الكريم "سورة الأنعام".

١ – ألا تشركوا بربكم شيئاً .

٢– وبالوالدين إحساناً .

٣– ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم .

٤– ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

٥– ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق .

٦– ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده.

٧– وأوفوا الكيل والميزان بالقسط .

٨- لا نكلف نفساً إلا وسعها .
٩- وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .
١٠- وبعهد الله أوفوا .

والملاحظ فى هذه الوصايا العشر التى وردت جميعها متعاقبة أنها تعنى خمسة حرمات بصيغة النهى وخمسة واجبات بصيغة الأمر

كما أمر الرب بالأحكام الأتية : (١)

١- إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حراً مجاناً .

٢- من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً .

٣- من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً . ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلاً .

٤- من سرق إنساناً وباعه أو وجد فى يده يقتل قتلاً .

٥- إذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حراً عوضاً عن عينه وإن أسقط سن عبده أو أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنه .

٦- اذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وان كان ثورا نطاحاً من قبل يرجم الثور ويقتل صاحبه . وان نطح الثور عبداً أو أمةً يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة ويرجم الثور

---

(١) سفر الخروج إصحاح ٢١.

٧- ان سرق انسان ثوراً أو شاةً وذبحه وباعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة غنم .

٨- إذا سرحت غنم فى حقل غير صاحبها يعوض صاحب الحقل من أجود حقول وكرم صاحبها .

٩- إذا حرقت نار زرع أو حقل فالذى أوقد الوقيد يعوضٌ.

١٠- إذا أعطى إنسان لصاحبه فضة أو أمتعة للحفظ وسرقت ، ان وجد السارق يعوض بإثنين وان لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت الى الله ليحكم .

١١- إذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضجطع معها يمهرها لنفسه زوجة وان أبى أبوها يزن لها فضة كمهر العذراء .

١٢- من ذبح لآلهة غير الرب يهلك .

١٣- لا تضطهد الغريب ولا تضايقه .

١٤- لا تسىء الى أرملة ما ولا يتيم .

١٥- إذا أقرضت لشعبى الفقير فلا تكن كالمرابى لا تضع عليه رباً .

١٦- لا تسب الله ولا تلعن رئيساً فى شعبه .

١٧- لحم فريسة فى الصحراء لا تأكلوا . للكلاب تطرحونه .

١٨- لا تقبل خبراً كاذباً ولا تضع يدك مع المنافق .

١٩- لا تجب فى دعوى وراء الكثيرين للتحريف ولا تحرف حق فقير فى دعواه . إبتعد عن الكذب .

٢٠ - لا تأخذ رشوة .

وتقول التوراة فى الإصحاح الثانى والثلاثون من سفر الخروج عن قصة موسى فوق الجبل وبعد أن أخذ التوراة والألواح :

" فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً . فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة . لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض . إرجع عن حمو غضبك وإندم على الشر بشعبك . أذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت أكثرُ نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه . "

وجاز لهم أن يقولوا أن موسى كلم ربه بهذا الكلام الخشن وأن الرب قد ندم على سابق قوله . كما نسبوا إلى الرب وصفه لهم أنهم شعب صلب الرقبة أى قساة وهذا وصف رقيق إذا قورن بما إقترفوه من صناعة وثن من ذهب يعبدونه من دون الله .

وبعد أن دمر موسى العجل وحرّقه وبعد أن هدأت نفسه من الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ، هى التوراة جاءت بالهدى والنور ، فيها الشريعة والأحكام على مدى الدهور وأمر موسى يوشع أن ينسخ منها أعداداً وأن توضع فى تابوت عند هارون .

الغفـــــــــران :

كان موسى على موعدة من ربه ليغفر لبنى إسرائيل خطيئتهم الكبرى بعبادة العجل واختار موسى سبعين رجلاً من المؤمنين وصعد بهم الجبل ليستغفروا ربهم ولما قاربوا المكان المقدس فى البقعة المباركة من الشجرة التى يتجلى فيها النور الإلهى توقف الرجال لأن هذا ليس مقامهم وتقدم موسى إلى مقامه وسجد لله شكراً وتلقى من ربه العفو عن قومه بقول الله " عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون " (١)

عندئذ تحركت فى قلوب السبعين رجلاً رغبة وشوقاً عارماً ليتمتعوا بالله مثل ما يرى موسى وقالوا لموسى" لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " فما أتموا قولهم حتى أخذتهم الصاعقة وماتوا . فقال موسى رب لو شئت لأهلكتهم من قبل واياى . أتهلكنا بما فعل السفهاء منا . إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا . وأنت خير الغافرين . واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة . إنا هدنا اليك ."

---

(١) قصة موسى .

السامرى :

هو من بنى إسرائيل وأمه تدعى "أبشيلة" من سبط يهوذا أحد أخوة سيدنا يوسف . وقد حملت فيه أبشيلة سفاحا بدون زواج شرعى لقلة ذكور بنى إسرائيل بسبب ذبح الأطفال الذكور بأمر فرعون ولما حان موعد الولادة استدعت جارتها يوكابد زوجة عمران وهى أم النبى موسى عليه السلام من سبط لاوى ولما وضعته ولداً حزنت وجزعت لأنه سيذبح لا محالة ولكن يوكابد هدأتها وخففت من جزعها وأخبرتها أنها حملت مثلها منذ عشرين عاما وألهمها الرب أن تضعه فى صندوق وتلقيه فى النهر فالتقطه آل فرعون وتربى فى بيته وهو "موسى " التى تعرفه وأخذتا تفكران فى مخرج من هذا المأزق فأشارت إليها يوكابد أن تذهب الى التل البعيد وتخفيه بين الخمائل الكثيفة وتذهب ترضعه كل يوم دون أن يراها أحد . ونفذت أبشيلة الفكرة وأسمته موسى تيمنا باسم موسى ابن يوكابد وكانت تذهب اليه كل ليلة لترضعه ولكنها تجده دائما شبعان ولايرضع الا قليلا جداً واحتارت لهذه الظاهرة ولكنها حمدت ربها أنه بصحة طيبة وكانت تدعو الله له أن يرعاه ويحميه من جند فرعون . وبقى حتى كبر ليحمل رسالة شيطانية كتبها الله عليه لأنه ابن سفاح وينحدر أصله من سفاح أيضاً فهو من عشيرة زارح سبط يهوذا الذى زنا فى كنته زوجة إبنه المتوفى فحملت منه وولدت زارح" . (١)

"ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا"

---

(١) قصة موسى ص ٢١ .٦

ولنعود لسابق قصتنا :

فتزل موسى من الجبل تحيط به هالة من النور فأسرع إليه القلة المؤمنة ترحب به أن جاءهم فى الوقت المناسب . ولما وصل موسى غضبان أسفاً ألقى الألواح وخاطبهم " يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً.. أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى... " . قال القوم : " ما أخلفنا موعدك ولكنا حمّلنا أوزاراً من زينة القوم... (الدهب الدى إستعاروه من المصريين ولم يردوه) فقذفناها فكذلك ألقى السامرى " فأخذ موسى برأس أخيه هارون يجره إليه وقال هارون " يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إن القوم إستضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء .

قال موسى " فما خطبك يا سامرى " قال " بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول الذى كان يصعد بجوارك على الجبل لأن موقع قدمه كان ينبت بالخضرة فأخذت حفنة من التراب المقدس الدى سرت فيه روح الحياه من أثره فنبذتها وألقيتها فى فم عجل من ذهب فصار عجلاً حياً له خوار فسأله موسى " وما حملك على ذلك " قال " كذلك سوّلت لى نفسى والنفس أمارة بالسوء وزينه لى إبليس فاغفر لى وارحمنى.. تبت إليك . "

وقام موسى بعد ذلك فألقى بالعجل على الأرض وذبحه وحرّقه وذرا رماده فى مياه البحر حتى لم يبق له أى أثر بين القوم وطرد السامرى عليه اللعنة إلى يوم الدين .

قال الله " عذابى أصيب به من أشاء . ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . والذين هم بآياتنا يؤمنون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . "

سجد موسى شكراً لله وعاد إلى السبعين من قومه وهم فى ذهول ونزلوا إلى بنى إسرائيل يبشرونهم بعفو ربهم وقبول توبتهم فسجدوا جميعاً شاكرين وعاهدوا موسى أن يكونوا مؤمنين صادقين .

إجتماع للتفقه فى الدين :

بعد ذلك طلب بنو إسرائيل من موسى أن يفقههم فى الدين ويعلمهم التوراة وما نزل فيها من المواعظ والأحكام ليعبدوا الله على بصيرة ويتعلموا أصول الشريعة ، وطلب منهم موسى أن يقيموا للرب خيمة الإجتماع بعيداً عن أماكنهم ليحل فيها ملاك الرب فى ذلك المكان الطاهر المقدس وحيث يقيمون للرب مذبح البخور ثم مذبح المحرقات لتحرق عليه المحرقات من ذبائح التقدمة والسلامة . وأقيمت خيمة الإجتماع كما أمر موسى (وعلي نموذجها بنى النبى سليمان هيكله بعد عدة قرون فى أورشليم) وإتفقوا أن يجتمعوا فيها كل يوم سبت بعد الصلاة للتشاور فى أمر دينهم ودنياهم . وخصص يوشع بن نون أن يقيم فى خيمة الإجتماع يكتب نسخاً من التوراة من الألواح التى إحتفظ بها فى " تابوت العهد " وكذلك يدون كل التعاليم والتفاصيل التى يمليها عليه موسى لتكون دستوراً للأزمان المتعاقبة ، ولو أن كهنة بنى إسرائيل إمتدت أيديهم بعد ذلك إلي التوراة بالتبديل والتغيير حسب أهوائهم وأغراضهم السياسية والدينية

قصة البقرة :

وقد حدث أن وجد بنو إسرائيل أحد رجالهم مقتولاً ولم يعترف أحد بالقتل وذهبوا إلى موسى يسألونه بما عهدوا عنده من المعجزات فأمرهم أن يذبحوا بقرة وبعد جدال طويل ذبحوا البقرة وقال موسى إضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . وهكذا ضرب القتيل بجزء من البقرة فأحياه الله وذكر إسم القاتل فحوكم ونال قصاصه .

وبعد وعظهم قال موسى : " يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين " . وقال قومه : " يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون" وقال هارون :" يا قوم هذه أرض الميعاد التى وعد الرب بها جدّنا إبراهيم وأبناؤه." قال القوم :" إنا كنا قوماً مستضعفين أذلاء ولم نكن فرساناً بل عبيداً أجراء فهل نذهب لغزو العمالقة الأعداء ونحن قوم كما ترى كلهم دَهماء . "

قال رجلان من الذين أنعم الله عليهما : " إدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين . "

قالوا : " إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . "

قال موسى : " رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . "

قال الله وحياً لموسى : " فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين . "

قال هارون : " أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . "

تفرق القوم بعد الإجتماع بعد أن عصوا أمر ربهم بدخول أرض فلسطين وعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة يضربون فى صحراء سيناء على غير هدى حتى فنى هذا الجيل . وقد مات موسى وهارون فى هذه الحقبة ولم يدخلا الأرض المقدسة .

* * *

الفصل السادس

بنو إسرائيل فى فلسطين

ظل بنو إسرائيل تائهين فى صحراء سينا أربعين سنة حتى فنى الجيل العاصى وتوفى هارون ودفنه موسى – عليهما السلام – فى جبل هور فى سينا . وتقدم موسى بالقافلة حتى مشارف مدين . وتقول التوراة فى سفر عدد الإصحاح الحادى والثلاثون أن الرب أمر موسى بتجنيد جيش من أثنى عشر ألف مقاتل لمحاربة مدين "فتجندوا على مدين كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مدين قتلوهم ... وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنها وجميع حصونهم وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب وأتوا الى موسى وإلعازار الكاهن (ابن هارون) بالسبى والنهب والغنيمة."

تقول التوراة أن موسى سخط على رؤساء الجيش .. وأمر بقتل الأطفال الذكور والنساء وأبقى على حياة الفتيات الصغيرات فقط ! وهل نسى موسى كرم ضيافة شيخ مدين له حين هرب من مصر ؟ وهل نسى موسى أن له نسباً وصهراً فى مدين ؟ ولكن الأصح هل نسى التوراتيون الذين كتبوا التوراة بعد وفاة موسى بأكثر من ألف عام.. هل نسوا تلك الحقيقة ؟

مقولة التوراة فى موسى :

تنسب التوراة الى موسى تصرفاً بالغ القسوة إذ تقول أنه غضب غضباً شديداً لأنهم لم يقتلوا كل الأطفال وأمر يذبح جميع الذكور منهم وكانت نقمة موسى على النساء أشد فأمر بقتل كل إمرأة كانت متزوجة لتلحق بزوجها ، وهذه القسوة البالغة ليست من أخلاق النبوة ، ولكنها فى تصور اليهود أمر مقبول وأمر به الرب . وما أمر دير ياسين وقبيه وغيرها وآخرها مذبحة المسجد الأبراهيمى بغريب على طبائع اليهود ... وقد قال الحاخام اليهودى بعدها أن قتل غير اليهودى عمل أخلاقى يرضى به الرب .

وموسى لم يكن كما وصفته التوراة قاتلاً وسفاحاً وغاصباً بل كان من أعظم شخصيات التاريخ ومن أكرم أنبياء الله وأحتفل به القرآن الكريم إحتفالاً كبيراً فى سرد سيرته والثناء عليه . ومن ذلك قول القرآن :

"... ثم جئت على قدر يا موسى . وإصطنعتك لنفسى."

" قال يا موسى إنى إصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين." "واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً. "

وإن ذكر موسى وسيرته فى القرآن الكريم من العلامات البارزة لعقائد البشر . ولدعوة الناس ، كل الناس ، الى الحق والخير .

وبعد مقتلة مدين تقول التوراة (١) "وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلاً .. إنكم عابرون الأردن الى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم ... وتخربون جميع مرتفعاتهم وتملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها " وترسم التوراة حدود إسرائيل - فتقول : "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان . من النهر نهر الفرات الى البحر الغربى يكون تخمكم ."(٢)

وبلغ الجهد والمشقة من موسى وهارون وقومهما ما تعجز عن وصفه الأقلام وقد سجل رب العزة لهما هذا الجهد العظيم بقوله تعالى : ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهم الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم . وتركنا عليهما فى الآخرين . سلام على موسى وهارون . إنا كذلك نجزى المحسنين . إنهما من عبادنا المؤمنين . ﴾

يشوع بن نون :

أوصى موسى قبل موته أن يكون فتاه يشوع بن نون قائداً لبنى إسرائيل لما كان يرى فيه من إخلاص وذكاء وتقول التوراة :"وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً موسى عبدى قد مات .

---

(١) سفر عدد إصحاح ٢٢ .
(٢) سفر تثنية ١١ .

فالآن قم أعبـر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات . جميع أرض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك."(١)

دخول أريحا :

فكر يشوع فى الدخول الى أرض كنعان وكانت العقبة أمامه هى عبور نهر الأردن والإستيلاء على بلدة "أريحا". وجعلت التوراة الحبل متصلاً بين الرب والقائد الجديد "يشوع بن نون" فكل تحركاته بأوامر ربانية ، هكذا تقول التوراة "لا أهملك ولا أتركك . تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب"

أرسل يشوع رجلين الى أريحا يتجسسان لكشف ثغرة فى أسوارها وساقهما القدر الى بيت إمرأة زانية إسمها "رحاب" قالت لهما أنها سمعت أنباء بنى إسرائيل منذ خروجهم من مصر وما صادفوه مع القبائل فى مدين وغيرها وزودتهما بالمعلومات وخبأتهما مقابل تعهدهما بسلامتها هى وأهلها عند إستيلائهم على المدينة وأخذت عليهما العهد بذلك.

---

(١) سفر يشوع الإصحاح الأول .

وكما صنع الله مع موسى إذ شق مياه البحر أمامه وقومه عند خروجهم من مصر كذلك صنع مع يشوع إذ أوقف جريان نهر الأردن الى مصبه فى البحر الميت "هكذا تقول التوراة ."وعبر يشوع وجنوده أربعين ألف النهر وحاصروا المدينة التى أقفلت أبوابها وشددوا الحراسة عليها ولم يحدث قتال ذو بال إذ وجد يشوع رجلاً واقفاً وسيفه مسلول بيده وقدم نفسه قائلاً : "أنا رئيس جند الرب "فسقط يشوع ساجداً وطلب منه هذا الرئيس القادم من السماء أن يخلع نعليه لأنه واقف فى مكان مقدس .

وتم حصار المدينة والنفخ فى الأبواق بين الحين والحين لِبَثِّ الرعب واذا أسوار المدينة تهدم وحصونها تتهاوى وحراسها يستسلمون لسيوف الإسرائيليين فذبحوا كل من فى المدينة من رجل وإمرآة وطفل وشيخ . حتى البقر والغنم والحمير وكل الشجر قطع والزرع اقتلع والمبانى حرقت ولم ينج من الحرق والتدمير غير الذهب والفضة والنحاس والحديد وأودعت فى خزينة بيت الرب ولم يبق على قيد الحياة غير الزانية رحاب وأسرتها وتقول التوراة : "وحلف يشوع فى ذلك الوقت قائلاً : "ملعون قدام الرب ، الرجل الذى يقوم ويبنى هذه المدينة أريحا . " (١)

ظن يشوع أنه قادر على مواصلة الزحف بنفس السهولة فأرسل جيشاً من ثلاثة آلاف رجل الى قرية صغيرة أسمها "عاى" ولكن أهلها تمكنوا من صد

---

(١) الإصحاح السادس من سفر يشوع .

الجيش المغير وأحكموا الدفاع عن بلدهم خصوصاً بعدما علموا بما صنعه الإسرائيليون فى أريحا وقتلوا من اليهود ستة وثلاثون رجلاً . وهنا قامت قيامة إسرائيل ضد قائدهم . تقول التوراة : "فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء . فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه الى الأرض أمام تابوت الرب الى المساء هو وشيوخ إسرائيل ، ووضعوا تراباً على رؤوسهم وقال يشوع "آه يا سيد الرب لماذا أعبرت هذا الشعب الأردن تعبيراً لكى تدفعنا الى يد الأموريين ليبيدونا . ليتنا أرتضينا وسكنا فى عبر الأردن . أسألك ياسيد ماذا أقول بعدما حول إسرائيل قفاه أمام أعدائه . فيسمع الكنعانيون وجميع سكان الأرض ويحيطون بنا ويقرضون اسمنا من الأرض."(١)

وظل يشوع يشكو الى الرب ويدعو حتى إستجاب له الرب وأخبره أن أحد رجال إسرائيل – عخان بن كرمى بن زيدى بن زارع من سبط يهوذا – قد سرق من أريحا بعض المتاع وذهباً وفضة . وذلك كان سبب غضب الرب وإلحاقه الهزيمة بإسرائيل فقام يشوع والشعب بإعدام السارق رجماً فرضى الرب وكلفه أن يرسل جيشاً من ثلاثين ألف وقال له "قد دفعت بيدك ملك عاى وشعبه ومدينته وأرضه . فتفعل بعاى وملكها كما فعلتّ بأريحا وملكها . غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم ."(٢) وأستولى اليهود على عاى وأحرقوها وقتلوا كل سكانها الرجال والنساء والأطفال وبلغ عددهم اثنى عشر ألف نفس

---

(١) سفر يشوع إصحاح ٧ .

(٢) يشوع إصحاح ٨ .

ولم ينج منهم أحداً وقُتِل الملك وعلقه على خشبة حتى المساء ثم دفنه وعلى سفح جبل وعلى قطعة من الحجارة كتب يشوع بن نون نسخة من توراة موسى "وقرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب فى سفر التوراة ."

حلف كبير ومعركة حاسمة :

جميع قبائل فلسطين تسامعت بما صنع اليهود ويشوع بأريحا وعاى فأجتمع ملوك الأموريين الخمسة ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموث وملك لخيش وملك عجلون وجمعوا جيوشهم لمحاربة اليهود ولكن أقرب مدينة الى عاى آثرت أن تحالف اليهود واسمها جعبون فلما هاجمها جيش الحلف الجديد أرسلوا الى يشوع يطلبون النجدة. فصعد يشوع وجميع رجال الحرب معه وكل جبابرة البأس وقال الرب ليشوع لا تخفهم لأنى بيدك قد أسلمتهم (١).

أ نفق يشوع وجنوده الليل فى تسلق الجبل الذى يفصل بين الفريقين وفاجأ أعداءهم وكانت السماء تسقط برداً ثقيلاً ومالبث شمل الحلف أن تبدد أمام الإسرائيليين وتقول التوراة أن هذا النصر لم يكن ليتم لولا معجزة من الله فقد طلب يشوع من الرب ألا تغرب الشمس ولا يأتى الليل "فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده ، سمع فيه الرب صوت انسان لأن الرب حارب عن إسرائيل."

---

(١) يشوع الإصحاح العاشر

وتقدم يشوع بسرعة مهاجماً القرى والمدن من حوله فاستولى عليها وأباد كل من فيها حتى لم يبق فيها شارد (على عادة الإسرائيليين فى التوراة) وكان منها عجلون ولخيش وحبرون وغزة ودماء الكبار والصغار تراق بغير حساب على نحو ما حدث فى أريحا "كما أمر الرب إله اسرائيل "وأخذ يشوع جميع أولئك الملوكوقتلهم وأخذ أرضهم دفعة واحدة لأن الرب إله إسرائيل قد حارب عن إسرائيل .

وتألف حلف جديد من ملوك شمال فلسطين حتى ساحل البحر ولكن يشوع وجنوده هزموهم أيضاً وطردوهم الى صيدون (جنوب لبنان) وتراجع أهالى غزة – وقد ذكرت التوراة من قبل أنها أبيدت – الى الشمال الى أشدود وأخذ يشوع يوزع الأرض التى استولى عليها وأخذ كل من الأسباط نصيباً "واستراحت الأرض من الحرب" .

وقد دونت هذه الأحداث فى التوراة بعد ألف سنة تقريباً من وقوعها وكما لعب الخيال بأولى المعارك من الأرقام الفلكية والإنتصارات الباهرة فيبدو أنه قام بدور مماثل فى هذه المرحلة فقد أوردت التوراة بعد ذلك قيام معارك لا تنتهى بين الأموريين والكنعانيين وبين والإسرائيليين فى المنطقة التى نزلوا فيها من أرض فلسطين وكيف تقوم المعارك بين قوم موجودين وآخريين أبيدوا عن آخرهم مع زروعهم وماشيتهم ومساكنهم . وهذا يفسر الكثير من التضليل والتحريف فى التوراة وهو الأمر الذى ذكرته الدعوة الأسلامية وتردد فى آيات كثيرة من القرآن الكريم .

وكما أوصى يوسف الصديق أسرة أبيه أن يعتزلوا حياة المصريين كذلك صنع يشوع بن نون فقد طلب من قومه أن يعتزلوا الكنعانيين والأدوميين والفلسطينيين وغيرهم ولا يدخلون عليهم ولا يسمحون لهم بدخول مساكنهم ولا يصاهرونهم وإلا كان إختلاطهم كما قال لهم "فخاً وشركاً وسوتاً على جوانبكم وشوكاً فى أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة ." (١)

وكان يشوع يعلم عن قومه أن إيمانهم كان ضعيفاً فما أن وجدوا فى سينا عجلاً من ذهب حتى سجدوا له . بل لمح فى كلماته الأخيرة الى أن الوثنية ماتزال فى قلوبهم : "الآن إنزعوا الآلهة الغريبة التى فى وسطكم وأميلوا قلوبكم الى الرب إله إسرائيل." (٢) ومات يشوع وكذلك إلعازار بن هارون الكاهن . وكان المصريون قد سمحوا بنقل جثة يوسف الصديق من مصر الى حيث دفنت فى شكيم .

إن حملات الإبادة التى تحدثت عنها التوراة لم تحدث بالصورة التى ذكرتها ولا بالأرقام الفلكية التى عددتها وذلك لأن حروب الإسرائيليين مع سكان المنطقة التى نزلوا بها من أرض فلسطين أستمرت بعد وفاة يشوع ولكن كان اليهود يحاربون بغير قيادة عامة ولكن بقيادات متفرقة فى قبائلهم وهم من أسمتهم التوراة "القضاة"

---

(١) يشوع ٢٣.

(٢) يشوع ٢٤.

وفى الحروب التى قامت بين اليهود وسكان المنطقة التى نزلوا بها من أرض فلسطين قتل اليهود من سكانها أكثر من أستطاعوا قتلهم وسبوا من بقى من نسائهم وفتياتهم وجرت دماء القتلى أنهاراً وكما تقول نصوص التوراة كان هذا القتل فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى وليس معروفاً فى تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف فى القتل والإستمتاع به ، فقد كان موسى نبياً مرسلاً لهداية وإنقاذ بنى إسرائيل وكان متصفاً بالصبر وتحمل المشاق أما يشوع فكان جندياً فظاً

عهد القضاة :

كان حكام اليهود فى هذه الفترة "قضاة"من الكهنة ينتخبهم شيوخ الشعب وتقول التوراة – سفر القضاة الإصحاح الأول – "وكان بعد موت يشوع أن بنى إسرائيل سألوا الرب من منا يصعد الى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم فقال الرب يهوذا يصعد . قد دفعت الأرض ليده ." وقد بدأ سبط يهوذا بحرب الكنعانيين للإستيلاء على أورشليم وأشعلوا النار فيها ولكنهم لم يستطيعوا الإستيلاء عليها وكان يسكنها اليبوسيين اللذين سمحوا لبعض اليهود – من سبط بنيامين أخو يوسف – بالإقامة معهم ثم هاجموا حبرون (الخليل) وبيت ايل والذى دلهم أحد أهلها على ثغرة نفذوا منها وخلافاً لما أوصى به يشوع بن نون فقد ورد فى التوراة أن قبائل يهودية ساكنت الكنعانيين فى قراهم وفرضوا على أهلها الأصليين الجزية .

وكان بعض القضاة نساء فيقول الإصحاح الرابع أن دبورة قاضية إسرائيل سارت مع جيش إسرائيل من عشرة آلاف رجل لمحاربة ملك كنعان حتى تم

القضاء وسقط جيش الكنعانيين "بحد السيف ولم يبق ولا واحد."

وتقول التوراة أنه بعد وفاة يشوع بن نون وجيله قام بعدهم جيل جديد لم يعرف الرب "وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب" وعبدوا البعليم وتركوا الرب وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى ساكنوها وسجدوا لها"وأغاظوا الرب"وعبدوا البعل وعشتاروت . وبدأت تتوالى عليهم الهزائم ويحاصرهم الفلسطنيون فى كل مكان . وكانت تظهر فيهم أحياناً بعض الزعامات تلم شملهم وتصلح من أحوالهم وهم القضاة وقد ذكرت التوراة منهم اثنى عشر قاضياً . وعند موت القاضى كان اليهود يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم ويعبدون آلهة أخرى ويسجدون لها"فحمى غضب الرب على إسرائيل وقال : من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدى الذى أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتى فأنا أيضاً لا أعود أطرد انساناً من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته."(١)

وكانت قبائل فلسطين ولبنان تناوئهم وتشن الغارات عليهم باستمرار فاضطر اليهود لمعايشتهم أو السكنى فى الكهوف والمغارات وتقول التوراة "واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وبناتهم لبنيهم . وعبدوا آلهتهم ." وتخطفتهم القبائل وبيع اليهود عبيداً وإماء .

---

(١) قضاة ٢ .

وكان تعبير التوراة فى فترات الصحوة والتماسك بعد الهزائم المتوالية تعبيراً وثنياً لا يليق .. كله تجديف .. تقول "لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم ومزاحميهم ."

وكان من هؤلاء القضاة "شمشون" الملقب بالجبار لما امتاز به من قوة بالغة حتى أن التوراة تنسب إليه الخوارق فى القتال فتقول أنه قتل ألف رجل من الفلسطينيين بلحى حمار . وأنه عشق إمرأة فلسطينية عرفت سر قوته فى شعر رأسه فتمكن منه أعداؤه وحلقوا شعره فتهاوت قوته فسحلوا عينيه وداروا به فى طاحونة السجن وقادوه مرة أخرى الى عرض فى معبد الآلهة فى غزة كان غاصاً بألوف المشاهدين وما أن نما شعره حتى هدم الأعمدة الرئيسية ومات هو وألوف المشاهدين تحت الأنقاض . (١)

وقاض آخر هو جدعون جمع ٣٢ ألف من قومه لحرب المديانيين وما أن وصلوا الى ساحة المعركة حتى تبين أن معظم قومه قد تخلوا عنه ولم يبق معه غير ٣٠٠ ثلاثمائة وكان جيش المديانيين "كالجراد كثرة" وتمكن جدعون من قتل مائة وعشرين ألفاً .. هكذا تقول التوراة .

وتروى التوراة أن معارك كثيرة قد دارت بين الإسرائيليين بعضهم وبعض فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم وتتوسع التوراة فى الأعداد والأرقام بشكل

---

(١) قضاة ١٥ – ١٦

غير مقبول فتقول أن أسباط إسرائيل جمعوا ٤٠٠,٠٠٠ رجل لعقاب بنى بنيامين من أحفاد يوسف من أجل جريمة عرض أرتكبوها .. وكان بنو بنيامين قد جمعوا ٢٦,٧٠٠ رجل وتغلبوا فى أول الأمر على الإسرئيليين اللذين قتل منهم أربعون ألف رجل ثم لجأ الإسرائيليون الى تابوت الرب الذى حارب معهم وأهلك من بنى بنيامين فى يوم واحد ٢٥,١٠٠ رجل وفى اليوم الثانى ١٨٠٠٠ رجل "جميع هؤلاء ذوو بأس"ثم قتلوا سبعة آلاف آخريين كانوا فارين "فى السكك "ثم إستداروا على مساكن بنيامين وقراهم وقتلوا ما بقى من نساء وأطفال القبيلة حتى البهائم وأحرقوا مساكنهم بالنار . (١)

وعلينا ألا ندقق فى أرقام وأعداد التوراة وإلا فإن أعداد القتلى أكثر بكثير من أعداد كل القبيلة . وهذه المبالغات هى عادة كتبة التوراة دائما .

وفى عهد القضاة بدأت حياة اليهود تتغير رويداً رويداً فانتقلوا من حياة البدو الى حياة الإستقرار ومن حياة الخيام الى القرى البسيطة كما بدوأ يعرفون الزراعة بدل الرعى متأثرين فى ذلك بالكنعانيين ومما ورثوه عن الحياة المصرية كما تأثروا أيضا بعادات الكنعانيين وآلهتهم كما بينا سابقاً . ولكن عهد القضاة لم يطل أمام غزوات الفلسطينيين عليهم وكان خطر سيطرة الفلسطينيين عليهم عاملاً هاماً فى محاولة جمع الأسباط كلها فى وحدة شاملة تحميهم وتؤمنهم أمام الأخطار وبعدما شاع من فسق القضاة وأخذهم الرشوة ويحكى الإصحاح الثامن من سفر

---

(١) قضاة ٢٠

صموئيل الأول قصة الإنتقال من عهد القضاة الى عهد الملوك "لما شاخ صموئيل جعل إبنيه قضاة لبنى إسرائيل ولكنهما لم يسلكا طريقه ومالا وراء المكسب وأخذا الرشوة وعوّجا القضاء فاجتمع شيوخ بنى إسرائيل وجاءوا الى صموئيل وقالوا له : أنت قد شخت وإبناك لم يسيرا فى طريقك . فالآن إجعل لنا ملكاً كسائر الشعوب فصلى صموئيل الى الرب فقال له الرب : إسمع لصوتهم إنهم لم يرفضوك أنت ولكنهم رفضونى أنا. إنهم تركونى وعبدوا آلهه أخرى فاسمع لصوتهم ولكن أشهد عليهم. قال صموئيل لبنى إسرائيل : إن الملك الذى سيملّك عليكم سيأخذ بنيكم ويجعلعهم لنفسه ، لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه ويحرثون له ويحصدون ويأخذون بناتكم عطّارات وخبّازات وطباخات ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم ويأخذ جواريكم وشبانكم الحسان وحميركم .. فأبى الشعب أن يسمع لصموئيل وقالوا : لا بل يكون علينا ملك ، مثل سائر الشعوب يخرج أمامنا ويحارب حروبنا ."وهكذا بدأ عهد الملوك .

وقبل أن ننتقل من عهد القضاة يحسن أن نلقى نظرة على فلسطين والوجود الإسرائيلى فيها . يقول برستد فى كتابه تاريخ مصر: تقول ألواح تل العمارنة ، فقد كتب والى جبيل(راب– آوى) رسالة الى اخناتون فرعون مصر يقول له : "منذ رجوع والدك من صيدون وقعت البلاد فى أيدى الخابيرى "ووالد اخناتون هو أمنحوتب الثالث وقد قام فعلاً بحملة عسكرية على فلسطين وسوريا فى أواخر أيامه . والخابيرى هم العبرانيون ولم تكن تحركاتهم بعد خروجهم من مصر ذات أهمية حتى لقد وصفت بأنها"غارات أشبه بالهجره." ومن ذلك يتضح لنا أن ما وصفته التوراة من حروب يجتمع لها مئات الألوف من

حاملى السيوف مبالغة لا شك فيها وإلا لتحركت جيوش مصر وسحقتها وهذا ما حدث فعلاً بعد أن هدأت ثورة اخناتون الدينية وعادت مصر الى طبيعتها .

لقد حكمت الأسرة الثامنة عشرة المصرية حوالى ٢٥٠ سنة بدأت بطرد الهكسوس من مصر وإنتهت بهذه الصحوة الدينية التوحيدية فى النظر الى الكون وخالقه وكان آخر ملوك هذه الأسرة أزواج بنات اخناتون ومنهم الشاب توت عنخ آمون صاحب الآثار المشهورة وفى أوائل عهد هذه الأسرة ظهر موسى الكليم فى مصر الذى قاد القبيلة الإسرائيلية الى سينا ثم الى فلسطين . وكانت أحوال مصر فى آخر عهد هذه الأسرة قد اضطربت وشاع فيها الفساد الى أن تولى حورمحب الملك فوطّد أركان الحكم فى مصر وقضى على الفساد وكان حكمه تمهيداً طيباً للأسرة التاسعة عشرة التى أرتفع فيها أسماء رمسيس . وقد بدأ حكم هذه الأسرة بسيتى الأول وقد تلقى رسالة من واليه فى فلسطين جاء فيها "لقد إتحد رؤساء البدو معا وأخذوا يضعون أيديهم على فلسطين وهم الآن يفتكون بالناس ويلعنونهم ويضربونهم . فصار كل منهم يقتل جاره غير مكترثين لقوانين القصر الملكى المصرى ."

ويعقّب برستد على هده الرسالة بقوله :"فى أثناء هذه الغارات البدوية أخذ الإسرائيليون يستعمرون فلسطين ، وكانوا يدفعون الجزية لفرعون ويطيعون أوامره ولذلك لم يهتم بهم . أما الآن فتغيرت الأحوال وامتنع هؤلاء القوم عن دفع الجزية وهنا زحف سيتى الأول على فلسطين وأخضع أهلها جميعاً وقد حاولت بعض القبائل البدوية المقاومة فمزقهم شر ممزق وواصل زحفه الى كنعان (غرب

سوريا وفلسطين) فاستولى عليها ووصل الى سهل مَجدو . ولم يكن سكان هذه المناطق قد رأوا زحفاً مصريا يقوده فرعون منذ أيام أمنحوتب الثالث أبو اخناتون " وقد تم إخضاعهم جميعاً وعاهدوا مصر على دفع الجزية وهكذا تم إقرار الأمن وإستقرار الأحوال فى سوريا وفلسطين .

وهنا نأتى الى عصر رمسيس الثانى أشهر اسم بعد أحمس وتحتمس الثالث وقد أكد مجده بحروبه الضخمة فى فلسطين وسوريا. وقد أكد برستد فى دراسته عن تاريخ مصر إن جيش رمسيس الثانى الذى بدُأ غزواته عام ١٢٨٨ق.م كان مكوناً من أربع فِرق قوام كل فرقة خمسة آلاف جندى وقد إجتاح رمسيس هذه المناطق كلها وفتك بأهلها فى عدة غزوات على مدار سنوات حكمه . وأين هذا العدد من الجيش المصرى من الأرقام الفلكية (مئات الألوف) التى تحدثت عنها التوراة . وقد خلف منفتاح أباه رمسيس ونَجده قد سجل فى آثاره لأول مرة نصاً عن إسرائيل وقد حلت هذه الكلمة محل قبائل البدو (الخابيرى) وفى هذا النص أن بنى إسرائيل إشتركوا فى ثورة ضد السيادة المصرية على فلسطين وسوريا فذهب منفتاح بجيش كبير ونكل بالعصاة تنكيلاً شديداً وكان الإسرائيليون ضمن من وقع عليهم القصاص .

ولذكر إسرائيل للمرة الأولى على الآثار المصرية فى عهد منفتاح تسربت شبهة لدى بعض الدارسين أن منفتاح هو فرعون موسى وهذا وَهم باطل وما حدث هو حملة تأديبية مصرية وجهت الى هناك بعد خروج بنى إسرائيل من مصر بوقت طويل فقد مات منفتاح عام ١٢١٥ق.م . بينما كان خروج بنى

إسرائيل وعبورهم الى سينا عام ١٤٤٠ق.م .

ومما يلفت النظر النص الذى ورد فى المدونات المصرية القديمة بمناسبة هذه الحملة التأديبية . يقول النص "إن إسرائيل دمرت وبذرتها محيت ... ويستطرد برستد قائلاً : وقد كان هذا الحادث فى عهدالقضاة" اللذين قادوا إسرائيل وقت أن كانت حياة العبرانيين القومية لازالت خاملة لا تعرف شيئاً عن الحكم المركزى أو النظام القومى وأن بعض تقاليدهم كانت وحشية مثل ذبحهم الولد البكر قرباناً لإله القبيلة ... ويذكر برستد "أن الإسرائيليين أطلقوا على معبودهم إسم "يهوه" إله البراكين والرعود والظواهر الطبيعة الخارقة تأثراً بما حدث أمامهم فوق جبال سينا – عندما صعد موسى للقاء ربه – فاستعاروا هذه الأوصاف وجعلوها علماً للرب الغضوب ."

ومن الغريب أن فلسطين فى هذا الوقت كانت واسعة وسكانها قلائل وكان فى وسع الإسرائيليين الإستقرار والتعمير والعيش بجوار السكان الأصليين ولكن الإسرائيليين آثروا أن يأخذوا ما فى أيدى غيرهم بحجة أن الرب قادهم إليها . والرب لا يدعو الى إنتهاك الحرمات وأخذ ما فى أيدى الغير . لقد أراد الرب خلاصهم من حياة ذل كانوا فيها فى أرض مصر . وفلسطين التى هاجروا إليها واسعة وهم قلة من الناس يستطيعون الحياة آمنين سالمين أن حسن جوارهم. ولكن طبيعتهم الغادرة تغلب عليهم دائماً.

* * *

الفصل السابع

عهـــــد الملـــــوك

الدولة الأولى

"بســم اللـه الرحمــن الرحيـــم : وقضينـــا الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مره وليتبروا ما علوا تتبيراً "صدق الله العظيم .

وآيات كتاب الله الكريم واضحة وصريحة أن بنى إسرائيل قد كتب الله عليهم فى علمه أنه سيكون لهم سلطاناً كبيراً وسلطة عظيمة بمعنى الدولة حالياً مرتين على مدى التاريخ – ليست مرة واحدة أو ثلاث أو أربع أو ... الخ – وأنهم سيفسدون فى المرتين وأن الله سيبعث عليهم قوماً أشداء يقضون على سلطانهم ويذيقوهم سوء العذاب فى المرتين ويخربون ديارهم .

شاءول ملك :

وكما تقول التوراة إختار لهم صموئيل شاءول ليكون أول ملك عليهم – وكـانت دولة إسـرائيل الأولى عـام ١٠٢٠ق.م – ويسـمـيـه القـرآن الكريم "طالوت"وكـانت هذه هى المرة الأولى أو الدولة الأولى وقد قـادهم شـاءول فى

المعارك ضد الفلسطينيين بشجاعة ، وكان داود أحد رجاله ويحكى الإصحاح السابع عشر من سفر صموئيل الأول بروز "جليات" قائد الفلسطينيين الذى يسميه القرآن الكريم "جالوت" ودعوته بنى إسرائيل للمبارزة . وقد إستطاع داود أن يتغلب عليه لسخرية جالوت به وعدم تأهبه لمنازلته . ومنذ ذلك الحين أخذ داود يملأ عين الناس وأذهانهم وقلوبهم فأثار ذلك غيرة شاءول منه وحقده عليه فعزم على قتله حتى لا يزاحمه على الملك . ومن ثم أخذ يطارده وينصب له شباك القتل أمداً طويلاً واضطر داود الى اللجوء الى الفلسطينيين مرتين هرباً من شاءول وإنتهز الفلسطينيون هذا الخلاف وهاجموا بنى إسرائيل وهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا شاءول وثلاثة من أبنائه ومعظم جيشه إلا من هرب بوادى بزرعيل وأخذوا دروعه وسلاحه الى بيت عشتاروت الفلسطينى ودقوا جسمه بالمسامير على أسوار بيت شان . (١)

داود :

وبعد موت شاءول قام صراع بين داود وإيشبوشت بن شاءول يساعده "ابنين" قائد جيش أبيه وتغلب داود عليهما وذبحهما فاستقر له الملك وأصبح داود ثانى ملك على إسرائيل لمدة أربعين سنة وبقى الملك وراثياً فى عقبه .

ويحكى الإصحاح الخامس من صموئيل الثانى : وجاء جميع أسباط إسرائيل الى داود وتكلموا قائلين "... قد قال لك الرب أنت ترعى شعبى

---

(١) صموئيل الأول – ٣١ .

إسرائيل . وأنت تكون رئيساً على إسرائيل .. فقطع الملك داود معهم عهداً أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل."

وشن داود الحرب على الفلسطينيين وضرب المؤابيين واليبوسيين- ساكنى يبوس التى هى فيما بعد أورشليم - وأخضع جميع الشعوب ودخل أورشليم واتخذها عاصمة لمملكة إسرائيل ونقل إليها التابوت وشيد بيت الرب "الهيكل المقدس" وكذا أسوار أورشليم بمعاونة حليفه "حيرام" ملك الفينيقيين.

وبناء على ما جاء فى العهد القديم كان عهد داود غارقاً فى دماء الضحايا شديد القسوة فيروى أن داود جمع كل شعب إسرائيل وذهب الى ربّه (عاصمة عمون وهى عمان الحالية) وحاربها وأخذها وأخذ تاج ملك عمون عن رأسه ووزنه وزنه (أى قنطار) من الذهب مع حجر كريم ووضعه على رأسه وأخذ غنيمة المدينة كثيرة جداً وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد وأمّرهم فى أتون آخر . وهكذا صنع بجميع مدن عمون ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم .(١)

ويقول WELLS فى كتابه The Outline of History أن قصة داود بما تحويه من قتل وسفك دماء وإغتيالات متلاحقة أشبه بتاريخ أحد الرؤساء المتوحشين منها بتاريخ ملك متحضر . ويقول أيضاً أن مما وطد ملك داود

---

(١) سفر صموئيل الثانى - وسفر الملوك الثانى .

وهيأ له شيئاً من الإتساع أن أمور مصر فى هذا الوقت كانت مرتبكة فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام كما كانت أمور دولة أشور مرتبكة أيضاً . وقد منح هذا لداود حرية الحركة والنشاط وممارسة السيادة . ولكن يحب ألا نبالغ فى تقدير سعة ملك داود فلم تزد مملكة إسرائيل فى عهده عن التلال غرب الأردن وكان الساحل لفينيقيا .

وقبل ختام عهد داود نورد قصة زوجة "أوريا الحثى" كما جاءت فى العهد القديم : "... وتَمشّى على سطح بيت الملك فرأى إمرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد "أليست هذه بشثبع بنت اليعام إمرأة أوريا الحثى ؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة . (١)"وتستمر القصة ويرسل داود زوجها الى الحرب ويأمر قائد الجيش أن يجعل أوريا فى المقدمة ويموت أوريا فعلاً وتلد المرأة ولكن المولود يموت ويتوب داود الى ربه ويستغفر عن ذنبه ويضم المرأة الى نسائه وتكون هى أم إبنه سليمان .

ويعجب قارئ التوراة من كثرة القصص الجنسية فيها فإن قصة إمرأة أوريا هى واحدة من قصص كثير ... وتروى أيضاً أن ابن داود "أمنون" إغتصب أخته من أبيه فانتقم أخوها الشقيق "أبشالوم" وقتل مغتصبها . وهنا تفاجئنا التوراة بأن داود قد بلغ السبعين من عمره وأن ابنه أبشالوم قد صار ضده فهرب الأب الى

---

(١) سفر صموئيل الثانى الإصحاح الحادى عشر .

جبل الزيتون مع فريق من قومه وطارده ابنه بفريق آخر وأصيب الأبن وقتل وتقول التوراة أن داود هلع هلعاً شديداً ورثى ابنه رثاء فتت القلوب وراح يصرخ يا ابنى... ياليتنى مت عوضاً عنك ... وقد لامه قائد جيشه على جزعه وقال له لو كان ابنك حى وكلنا اليوم موتى لحسن الأمر فى عينيك وهدده إذا لم يخرج ويطيب خاطر أتباعه فإن أعظم الأخطار والشرور سوف تحيق به من جنده . وصدع داود الملك بأمر قائده. (١) وفى الأعوام الأخيرة لحكم داود أصابت قومه مجاعة طاحنة دامت ثلاث سنوات هاجمهم الفلسطينيون وأوقعوا بهم الهزائم حتى أن القوم لم يعودوا يتفاءلون بخروج داود المقاتل الشجاع وخطر لداود أن يحصى عدد الشعب وتم التعداد بعد معارضة شديدة وكانت الأرقام: أن إسرائيل ثمانى مائة ألف رجل "ذوى بأس !" يهوذا نصف مليون رجل (٢) وهذه الأرقام تعنى أن اليهود بنسائهم وأطفالهم قاربوا أن يكونوا خمسة ملايين وهو سخف من القول غير مقبول فموارد فلسطين لا يمكن أن تطعم هذا العدد خصوصاً لو أضفنا الكنعانيين والفلسطينيين والمؤابيين والعمونيين والآدميين والمديانيين والعماليق فيصل تعداد سكان فلسطين الى أكثر من عشرة ملايين . وهذه خرافة واضحة ومبالغة شديدة على عادة التوراتيون .

وتقول التوراة أن داود ندم على هذا الإحصاء وعاقبه الرب بوباء أهلك سبعين ألف يهودى في يوم واحد (بذنب ملكهم)فندم الرب (تعالى عما

(١) صموئيل الثانى – ١٩ .

(٢) صموئيل الثانى ٢٤ .

يصفون) وقال للملاك المهلك للشعب كفى ." (١)

ولما كان داود فى الثمانين من عمره وصفت له "وصفه" تدفئ أطرافه وكانت فتاة عذراء أجمل من فى إسرائيل وكلفت بالإضطجاع فى حضن الملك وخدمته ولكنه لم يعرفها .(٢)

ومات داود بعد أن حكم أربعين سنة ودفن فى أورشليم وخلفه فى الملك ابنه سليمان . وقبل أن نختم صفحة داود نذكر ما قاله القرآن الكريم .

داود فى القرآن :

كان داود نبياً ورد ذكره فى القرآن الكريم أصبغت عليه العناية الإلهية العطف والرعاية وصورة داود فى الإسلام مكرمة لا تتفق فى شئ مما نسبته إليه التوراة من أفعال لا تليق بمقام النبوة وقد قال القرآن عن داود :".... وآتاه الله الملك والحكمة." وفى سورة الإسراء :"ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا." وفى سورة الأنبياء :"... وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ، والطير ، وكنا فاعلين." "أصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد ، إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب." وكذلك جاء فى هذه

---

(١) صموئيل الثانى ٢٤ .

(٢) الملوك الأول – ١ .

السورة :"... وظن داود أنما فتناه ، فاستغفر ربه ، وخر راكعاً وأناب. فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب . يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ." وهكذا نسب الأسلام لسيرة أنبياء التوحيد إبراهيم ومن جاء بعده ، نسب لهم العفة والصدق والعدل والبعد عن المعاصى وكل ما يشين الخلق كما جاء فى الوصايا العشر وما جاء فى القرآن الكريم وما صار عليه خاتم الأنبياء . وشتان بين ذلك وبين ما ورد فى التوراة من أقوال وأفعال .

الملك سليمان :

ونعود الآن لسيرة خليفة الملك داود ، سيدنا سليمان – عليهما الصلاة والسلام – تقول التوراة أن سليمان بدأ عهده بقتل أخيه الأكبر أدونيا وقتل يوآب قائد جيش أبيه وعزل إبيانار الكاهن وأمر بقطع رؤوس من عارضوا توليه الملك حتى هؤلاء الذين إلتجأوا إلى خيمة الرب وتعلقوا بأستار تابوته (١) . وأمر كاهن المعبد بأن يقيم فى أورشليم لا يبرحها وأمر بقتل كل من يخالف أمره .

وعلى الرغم مما ورد من وصية يشوع وتعاليم أنبياء إسرائيل من عدم الزواج من نساء أجنبيات – حفظاً للدم الإسرائيلى – فقد تزوج سليمان كثيراً من

---

(١) الملوك الأول – ٢

بنات القبائل ومن بنت فرعون مصر شيشنق الأول الذى أسس الأسرة الثانية والعشرين الذى لم يجد بأساً أن يصاهر ملك أورشليم ليعزز نفوذه على فلسطين وما وراءها . ومنذ خروج القبائل الإسرائيلية من مصر لم تخرج عن السيادة المصرية وظلت تدفع لها الجزية لتعيش فى حمايتها . وقد ضم شيشنق لسليمان الولاية على مدينة جازر ، وتقول التوراة أن هذه المدينة أستعصت على إسرائيل – وكانت تحت يد الكنعانيين – فاستولت عليها القوات المصرية وأحرقتها ثم سلمتها لسليمان لإعادة بنائها .

ترك داود لسليمان ملكاً وسلطاناً على إسرائيل لا ينازع ، وإستقراراً تم بعد حروب طاحنة قبل داود وفى أيامه ، والإستقرار يؤتى ثماره من الإزدهار والتعمير وكتب سليمان الى ملك صور يطلب منه كميات من خشب الأرز اللبنانى وعدد من الصناع المهرة النجارين والبنائين والحجارين والحدادين ليبنى بيتاً للرب لأن أباه لم يستطع بسبب الحروب الكثيرة التى شغلته طويلاً . وتزعم التوراة أن مائة وخمسين ألفاً من العمال إشتغلوا فى بناء المعبد لمدة أربع سنوات . وتذكر التوراة أبعاد المعبد : ٦٠ طولاً × ٤٠ عرضاً × ٣٠ إرتفاعاً – ذراعاً أى $\frac{٣}{٤}$ متر تقريباً – وهو بناء لا يحتاج الى هذا الحشد الهائل من العمال ، ولكنها عادة التوراتيون فى المبالغة . وقد كسيت جدران المعبد بالخشب المنقوش ووضعت فى الهيكل زينة الذهب فكانت هدفاً لكل غاز وصل الى أورشليم فنهب الذهب وخرب المعبد .

وبنى سليمان لنفسه قصراً فخماً يليق بعروسه الأميرة المصرية ابنة شيشنق

فرعون مصر إستغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً وساعده فى تشييده حيرام ملك صور وعلى عادة التوراتيون فقد بالغت التوراة فى وصف مبانى المعبد والقصر فقالت أن الحجارة الكريمة إستخدمت فى البناء !

وأقام سليمان حفلاً عظيماً دعا إليه كل أبناء إسرائيل مع شيوخهم ليشهدوا نقل تابوت الرب وألواح موسى "ولم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر . وكان مما أخرج الكهنة من أورشليم أن السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب . حينئذ تكلم سليمان . وقال الرب أنه يسكن الضباب . إنى قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكناك الى الأبد . "(١)

وواضح من سياق الروايات أن التوراة كانت تعد إله إسرائيل واحداً من بين الآلهة ولكنه أكبر وعلى حد تعبيرهم يقول سليمان " ليس إله مثلك فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل . " وهناك عبارات أخرى تدل على أن الله موجود فى مكان آخر غير التابوت كأن تقول التوراة على لسان سليمان : " واسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء أو أن تقول :"هل يسكن الله حقاً فى الأرض ؟ هوذا السماوات وسماء السموات لا تسعك ، فكم بالأقل هذا

---

(١) الملوك الأول – ٨ .

البيت الذى بنيت." (١)

ويجب التنويه بأن أنبياء إسرائيل التى تحدثت عنهم التوراة ليسوا أنبياء بالمعنى الذى نفهمه بل هم على أحسن الوجوه عرافون أو كاشفى طوالع .

وتمكن سليمان من توسيع رقعة ملكه وبسط نفوذه على القرى والمدن القريبة حول إسرائيل بعد مصاهرته فرعون مصر وزاد فى توثيق صلاته أن اتخذ من كل القبائل قريبها وبعيدها زوجات ... وكانت له سبعمائة زوجة وثلثمائة من السرارى (الإماء) ولم ترضَ التوراة عن سياسة سليمان بإتخاذه زوجات غير يهودية وقالت أن قلبه فى شيخوخته مال الى معبودات غير إله إسرائيل مثل "عشتاروت" إله صيدا "وملكوم" إله عمون وتضيف التوراة :"وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً" كما ذكرت التوراة أن سليمان بنى فوق الجبل معبداً للوثن المعبود فى مؤاب .(٢)

وكان حرّياً أن يترفع كتاب التوراة عن نسبة الشرك لسليمان نبى الله ، وإن نسبوا هذه الردة الى تأثير نسائه عليه لأن حكمة النبوة هى التوحيد وهى رسالة إبراهيم الجد الأكبر لهذه الأسرة وكل من جاء بعده من رسل الله . وسليمان هو فخر إسرائيل الأكبر فهو الذى بنى أول معبد يهودى فى أورشليم وبسط

---

(١) الملوك الأول – ٨ .
(٢) الملوك الأول – ١١ .

سلطانه على أرض واسعة بحكمته وجهاده وهابته القبائل وصاهره فرعون مصر وقدمت للقائه ملكة الجنوب العربى بلقيس التى حكمت منطقة سبأ فى اليمن... ولما بهرها سليمان بقصوره ونظام حكمه قالت له حسب ما روت التوراة : "صحيحاً كان الخبر الذى سمعته فى أرضى عن أمورك وعن حكمتك ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناى... زدت حكمة وصلاحاً ." (١)

ونحن إذ ننكر على مدونى التوراة هذا الأسلوب الفج فى الإساءة الى نبى الله سليمان فلأن تفكيرنا الإسلامى لا يقبل على أنبياء الله مثل ما ذكره اليهود ... ولكنهم فى وقت التدوين كانوا غارقين فى عبادة الأوثان وما من مرة ردهم عنها واحد من صلحائهم حتى عادوا إليها مرة أخرى.. بل يمكن أن نؤقت إشراك اليهود بالله بعد موسى بفترات تتعاقب كل ثلاثين أو أربعين سنة . فلما ظهر السيد المسيح عليه السلام كانت الأوثان اليونانية والرومانية مقامة فى معابد اليهود ، زلفى وتقرباً لحكامهم . والمعبود الأكبر لليهود حتى اليوم... الذهب!

وتروى التوراة أن الرب غضب على سليمان وعاقبه بأن أنذره بتمزيق مملكته بعد وفاته وتولى إبنه "رحبعام" الحكم من بعده ، وإنما أبقى الرب وحدة هذه المملكة ـ لا من أجل سليمان ـ ولكن لذكرى والده داود وهى ذكرى طيبة لدى الرب .(٢)

---

(١) الملوك الأول – ١٠ .

(٢) الملوك الأول – ١١ .

سليمان فى القرآن :

لقد أوتى سليمان فى القرآن من قبل ربه علماً مثل ما أوتى أبوه داود كما أوتى أدباً رفيعاً وخضوعاً . وقد ناجى ربه سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى سورة النمل "وقال ربى أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ." وقد وعده الله سبحانه بالقرب والتأييد بقوى لم تسخر لأحد :"هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ." والقوى التى سخرت لسليمان هى الريح وطاقة الجن ومعرفة لغات الطير والحيوان والحشرات وروى القرآن الكريم قصة سليمان مع الهدهد الذى كشف له عن ملكة سبأ وقومها وعبادتهم للشمس وقصة سليمان مع النمل حينما همست نملة تحذر قومها من قرب وصول سليمان وخيله ليسرع النمل الى مخابئه حتى لا يهلك فسمع سليمان هذا الهمس فتبسم ضاحكاً . ولم يكن سليمان جباراً ولا مرتداً ولا كافراً ولا طاغياً كما صورته التوراة وقد قال وتحت يده كل هذه القوى مسخرة لخدمته : "هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم ."

إنقسام الدولة :

ومات سليمان حوالى سنة ٩٣٥ ق.م. بعد أن حكم أربعين سنة ، وأعلن إبنه "رحبعام نفسه ملكاً على دولة إسرائيل وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين فى أورشليم وكان أخوه يربعام ـ الذى كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته فهرب

الى مصر ـ قد عاد بعد وفاة أبيه وذهب الى شكيم (نابلس الحالية) وإجتمع مع شيوخ بنى إسرائيل فلما ذهب رحبعام الى الشمال ليأخذ البيعة لنفسه من باقى الأسباط إجتمع به شيوخ بنى إسرائيل وكلموه قائلين :"إن أباك قسى نيرنا، وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا ." ولكن رحبعام رفض وأعلن للقوم إن "خنصره أغلظ من متن أبيه وأن أباه أدبهم بالسياط وهو سيؤدبهم بالعقارب . " ولذلك رفض شيوخ إسرائيل فى الشمال أن يبايعوه وبايع الأسباط العشرة يربعام ملكاً . وأراد رحبعام أن يحارب أخاه ولكن النبي شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب . وهكذا إنقسمت المملكة إلي مملكتين جنوبية إسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم وشمالية إسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم (السامرا) . (١)

ومن مطالعة سفر الملوك الأول والثانى نجد أن عقيدة التوحيد لم تكن ثابتة في نفوس بنى إسرائيل فقد قام الملك يربعام بسبك عجلين من الذهب – مثل ما صنع أجداده الأول بعد خروجهم من مصر – وأقام معبدين وطالب بتقديم الضحايا والقرابين لهذين المعبودين . ولم تثبت أيضاً عقيدة التوحيد فى المملكة الجنوبية يهوذا وتقول التوراة :"وعمل جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التى أخطآوا بها وبنوا هم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاب ، وسوارى على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء.. فعلوا كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل" (٢)

---

(١) الملوك الأول : ١٢ – ١٣ .

(٢) سفرى الملوك الأول والثانى .

وفى وسط هذه الفوضى قام شيشنق فرعون مصر بغزو فلسطين واجتاح أورشليم دون مقاومة تذكر وإستولى على أكداس الذهب والتحف والنفائس التى جمعها سليمان وعاد بها إلى مصر فهى حق للأميرة المصرية التى عاشت ردحاً من حياتها فى أورشليم . ووضع رحبعام تيجان النحاس بدلاً من الذهب الذى ذهب !

وأخذت السنين تمضى والحروب مستمرة بين الأخوين أو بين أحدهما وجيرانه الى أن مات ملك أورشليم ، وجاء من بعدهم خلف إلى أن تولى الملك عليهم فى أورسليم " آسا " وهو إبن إمرأة وثنية " ونزع جميع الأصنام التى عملها آباؤه... أما المرتفعات فلم تنزع تماثيلها . "

واستمرت الحروب مشتعلة بين المملكتين يهوذا وإسرائيل . بل إن إسرائيل إنقسمت إلى قسمين يحارب بعضهم بعضاً فضعفوا وهانوا ووصل بهم الهوان إلى أن إختاروا للإله الوثنى " بعل " ٤٥٠ نبياً . فقام النبى الموحد الوحيد بينهم ودبر كميناً للأنبياء الوثنيين ودبحهم جميعاً... على عادة أهل التوراة فى دبح أعدائهم !

وتستمر هذه المعارك وتتغلب آرام (سوريا) علي إسرائيل ويسومونهم سوء العذاب أما يهوذا فكان المعبد فى أورشليم قد تلف وتهدم وكانت عطايا اليهود من الذهب والفضة مخصصة لإعادة الترميم وزخرفة البناء ولكن الكهنة كانوا يستولون عليها فخصصوا " حصالة " يودع فيها الزائرون نذورهم ، ولكن جيش آرام أطبق عليهم فأسرعوا بما جمعوه من ذهب وفضة إلى الجيش الغازى فقنع بهذه الغنيمة ونجت المدينة ونجا المعبد من التدمير والحرق .

وتدل هذه الوقائع على أن القوة الحربية لليهود قد ذابت وأن عقيدة التوحيد قد

ضعفت إلى حد ترك الأصنام الآلهه الوثنية فوق المرتفعات توقد لها النار وتقدم لها الذبائح .

ونجد فى سفر الملوك الثانى وصفاً لاذعاً لبعض العقوبات التى حلّت بأورشليم من القبائل المجاورة لهم . وقد كانت هذه المدينة تعيش بأهلها اليبوسيين فى هدوء وأمان قبل أن ينزل بها اليهود بطبائعهم الغريبة... وما أشبه اليوم بالبارحة .

ففى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الثانى تقول التوراة أن " منسى " الذى حكم أورشليم إثنين وخمسين سنة (تولى الحكم وعمره ١٢ سنة) نافس ملك إسرائيل الشمالية فى كثرة الأصنام والمذابح لإله الكنعانيين بعل بل وأدخل هذه الأصنام المعبودة فى معبد سليمان " وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته " أى رب هذا الذى يغيظونه ؟ !!

وتقول التوراة : " ... وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلاً : من أجل أن منسى ملك يهوذا... ها أنا ذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع تطن أذناه... وأمسح أورشليم كما يمسح واحداً الصحن ، ويمسحه ويقلبه على وجهه ، وأرفض بقية ميراثى ، وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم . لأنهم عملوا الشر فى عينى وصاروا يغيظوننى من اليوم الذى فيه خرج آباؤهم من مصر إلى اليوم... "

وكانت الحروب بين سلالة سليمان صورة لإنحلال هذا المجتمع وكان أول ما انهار فيه العقيدة الدينية ، عقيدة التوحيد التى بنى عليها أساساً مجتمع الإسرائيليين الأول . فهذا أحد ملوكهم " أمصيا " - الثامن بعد سليمان - تقول عنه التوراة أنه

عمل المستقيم فى عينى الرب ولكن ليس بقلب كامل . ولما استقر له الملك
الذين قتلوا الملك أباه . وجند جيشاً واستأجر جنوداً من مملكة إسرائيل الشمال
الأدوميين وأخذ منم عشرة آلاف أسير وتقول التوراة أنه ألقى بهم من فـ
فتكسروا جميعاً !! دائماً الموت ، والقتل أو الذبح أو الإلقاء من فوق الجبل !
وبغلٍ لا يهدأ .

واغتر هذا الملك فقاد جيشه لمحاربة أبناء عمومته فى الشمال (إسرائيل
السامرا) ولكنه وقع أسيراً فى يد ملك شكيم الذى تقدم إلى أورشليم وهد
ونهب كل الذهب والفضة الموجود فى بيت الرب . وأما أمصيا فقد قتله أ
أورشليم .

وتوالى الحكم فى أورشليم فى أحفاد أمصيا إلى أن تولى الملك " آجاز
" البعليم " وثن القبائل المجاورة وارتكب كل رجس وهاجمه جيرانه من ا
وأخذوا كثيراً من يهود أورشليم أسرى وقادوهم إلى دمشق . كما هاجمته مملكة
(السامرا) وتقول التوراة أن قتلى هذه المعركة الأخيرة من أبناء أورشليم كـ
وعشرين ألف فى يوم واحد أما الأسرى والسبايا من النساء والبنات فكانوا مائتى
على عادة التوراتيين فى المبالغة) وساقوهم من قراهم إلى شكيم فى الشمال .

ومن قراءة العهد القديم والمراجع التاريخية يمكن إيجاز تاريخ هاتين المـ
كما يلى :

أولاً : ضعفت مملكة سليمان فى آخر أيامه خصوصاً بعد ثورة إبنه يربعام علي
كثير من الشيوخ له تحت تأثير الضغط والضرائب الثقيلة ، التى

سليمان فى الوقت الذى بدأت مصر تستعيد قوتها ونفوذها .

ثانياً : بعد موت سليمان وإنقسام الدولة بين ولديه رحبعام ويربعام غزا شيشنق فلسطين وصعد على أورشليم ونهب ذهبها وكنوزها وبسط سيطرته على مملكة يهوذا ثم على دولة إسرائيل وامتد سلطانه الى الجليل .

ثالثاً : تعرضت هاتان الدولتان إلى الضغط الشديد من الشمال من آشور وبابل ومن الجنوب من مصر .

رابعاً : كانت دولة إسرائيل الشمالية أوسع رقعة وتمثل عشرة أسباط ولكنها كانت مضطربة كثيرة الإنقلابات وتغيرت عاصمتها عدة مرات وتقلب على عرشها ملوك متعددين بينما دولة يهوذا كانت أكثر هدوءاً وظل الملك بها فى سلسلة متصلة من ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم . وتساوى عدد الملوك هنا وهناك (١٩ ملكاً) .

خامساً : تحدثت التوراة فى سفر الملوك الأول والثانى وسفر الأيام بإفاضة عن الحروب التى تكاد تكون متصلة بين دولتى اليهود أو بين إحدى الدولتين وجيرانها . وإستعانة إحدى الدولتين بجيرانها لمحاربة شقيقتها . كما كان وقوع الدولتين بين آشور وبابل من الشمال ومصر من الجنوب مثار حروب كثيرة طويلة كانت فلسطين ميدانها. وكذلك كان عهد الإنقسام عهداً دموياً . كما أن موت حيرام ملك صور منع العون الكبير الذى كانت تقوى به أورشليم ، فقد كان حيرام حليفاً لداود ولسليمان وكانت تجارته تمر فى أرضهما وكانت الرسوم التى تجبى تمد أورشليم بمدد كبير وفر لسليمان أسباب العظمة والأبهة

ويوجز وصفه Wells لعهد الإنقسام فى كتابه History of the World (P.93) أبلغ وصف بقوله : " هى قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج . "

القارعة ونهاية دولتى إسرائيل :

نشأة دولة إسرائيل وعاصمتها شكيم تحت حكم الملك يربعام بن سليمان بعد وفاة أبيه حوالى سنة ٩٣٥ ق.م. وتوارث الملك من بعده ثمانى عشر ملكاً وكانت أحوالها مضطربة وفى حروب مستمرة كما بينا وفى سنة ٧٢٢ ق.م . أغار عليها سرجون الثانى ملك آشور واستولى عليها واعتقل " هوشع بن أليه " آخر ملوكها ونفاه مع الأسرى إلى مملكته وأحل محلهم سكاناً جدد وإنتهت دولة إسرائيل (السامرا) وأقام عليها والياً من قبله يحكم بإسمه . وفى سنة ٦٠٨ ق.م. زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا وإستولى عليها وإستمر فى زحفه شمالاً وإستولى على مملكة إسرائيل التى كانت قد سقطت تحت سلطان الأشوريين كما سبق القول . وقد ثار ملك بابل نبوخذ نصر (بختنصر) الذى آل إليه السلطان على أشور فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل واستمر فى زحفه وحاصر أورشليم سنة ٥٨٨ ق.م. حتى سقطت سنة ٥٨٦ ق.م. بعد حصار دام سنتين واحتل مملكة يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان ووقع جميع سكانها فى الأسر فساقهم سبايا وعبيداً الى شرق الفرات . وأقام نبوخذ نصر على فلسطين والياً يحكم بإسمه وإنتهى بذلك ملك اليهود على فلسطين .

وهذا هو التدمير الأول للدولة والمعبد .

يقول القرآن الكريم فى سورة الإسراء :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا . **فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار . وكان وعداً مفعولا** ﴾

وتم التدمير الأول ، الوعد الأول ، والله لا يخلف وعده . وسيتم التدمير الثانى ، الوعد الآخر ، كما قال الله فى كتابه الكريم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . ولكل موعد محدد ، " آتى أمر الله فلا تستعجلوه . "

وبذلك يكون عمر دولتى إسرائيل منذ عهد شاءول سنة ١٠٢٠ ق.م. كالآتى :

دولة إسرائيل ٢٩٨ سنة .

دولة يهـوذا ٤٣٤ سنة .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عما يروجه اليهود ويخدعون به جماهير الناس ، هل يمكن أن تعد فلسطين وطناً قومياً لليهود بسبب حياتهم أو وجودهم بها هذه الفترة ؟ هناك حقائق لا يمكن إنكارها نوجزها كما يلى :

أولاً : دخول بنى إسرائيل فلسطين غزاة ليس لهم جذور فيها أو تاريخ واستعملوا القسوة والوحشية ضد السكان الأصليين . ولو أحسنوا الجيرة مع السكان الأصليين لاختلفت النتيجة .

ثانياً : اقتصر الوجود اليهودى على التلال الداخلية ولم يمدوا سلطانهم إلى كل فلسطين .

ثالثاً : لم يعرف الإسرائيليون الإستقرار وظلوا فى حروب مستمرة مع السكان الأصليين حتى تم إخراجهم .

رابعاً : كانت مدة وجود بنى إسرائيل فى فلسطين منذ دخول يوشع حوالى خمسة قرون لم يهدأ فيه الصراع الوطنى حتى عاد الحق إلى أصحابه .

خامساً : جيران فلسطين من الشمال والجنوب إشتركوا فى الصراع حتى تم القضاء عليهم ، على العنصر الغريب .

* * *

الفصل الثامن

السبى البابلى والعودة الى فلسطين

بعد سقوط مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م. ودخول نبوخذ نصر أورشليم ومن قبلها سقوط دولة إسرائيل (السامرا) سنة ٧٢٢ ق.م. على يد سرجون الثانى وسيق اليهود أسرى وسبايا الى شرق الفرات خلت فلسطين تقريباً من اليهود . وعاش اليهود فى المنفى وقد إختفت بينهم الخلافات العقيمة والمنافسات فكان للوعاظ الذين ظهروا بينهم كأنبياء أو كهان تأثيراً محموداً جعلهم يعيشون فى تواد الى حد ما وظهرت بينهم حارات اليهود كما كانوا فى مصر من قبل وأخذوا يتوددون الى حكام بابل وينافقونهم . وكانت دولة الفرس تبنى قوتها وتتهيأ للظهور وكما كان اليهود فى مصر فى خدمة الهكسوس حين كانت لهم الغلبة على الدلتا ، كذالك راح اليهود يبحثون عن سيد يكونون فى خدمته سراً . وكان هذا السيد دولة الفرس التى أخذ ساعدها يشتد فقدموا لها كل المعلومات التى تساعدهم على الإستيلاء على دولة بابل . وهذه هى مهنة اليهود التى إحترفوها أينما كانوا – وما تزال – التجسس .

قورش ملك فارس :

وفى عام ٥٣٨ ق.م. إنتصرت دولة فارس بقيادة الملك "قورش"

وضمت دولة بابل إليها . وأقام الملك حفلاً كبيراً بهذا النصر وحدث خلاف بين الملك وزوجته فأشار عليه خلصاؤه أن يقيم حفلاً يضم أجمل عذارى فارس وفى الحفل قدم أحد اليهود – يعمل خادماً فى القصر إسمه مردخاى – ربيبته ابنة عمه استر فحسنت فى عين الملك قورش واتخذها ملكة وألبسها التاج وتحت تأثيرها سمح لمن يرغب من اليهود بالعودة الى فلسطين .

ومن هذا الوقت أطلق الفرس إسم اليهود – نسبة الى يهوذا – على بنى إسرائيل وأطلقوا على عقيدتهم اسم "اليهودية" . ورغم سماح الملك بعودة من يرغب من اليهود الى فلسطين فلم يقبل العودة منهم إلا القلة حيث أن أكثرهم آثروا البقاء حيث كانوا بالعراق أو فارس . وكانت عودة القلة كجماعة تحت حكم فارس وليست عودة دولة .

وتروى التوراة فى "سفر نحميا" أنه كان فى خدمة ملك فارس ساقياً رجل يهودى "نحميا" جاءه أحد اليهود الذين تخلفوا فى أورشليم فسأله عن أحوال القوم هناك فقال له :"هم فى شر عظيم وعار ، وسور أورشليم مهدوم ، وأبوابها محروقة بالنار . فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت أيامها ."ثم صلى وطلب من الرب أن يسمع له وأذناه مصغية وعيناه مفتوحتان ، ودعاه أن ينقذ شعبه . واستأذن الملك أن يذهب الى أورشليم ويعمل على تعميرها ، فأذن

له . ولم يكن يملك شيئاً إلا الدابة التى كان يركبها ، واجتمع مع بعض قومه وبدأوا فى ترميم وبناء الأسوار . وكان بناء السور بعد ١١٣ سنة من الإذن لليهود بالعودة الى أورشليم . ويذكر نحميا فى سفره أنه أتم هذا العمل فى ٥٢ يوماً فقط ـ ويقول أحدهم أنه كان بناء هزيلاً ـ وذكر أيضاً أن المدينة كانت واسعة وسكانها قليلون وهذا دليل على أن اليهود بعثروا وذابوا فى الأرض وأن هذه القلة هى نواة جديدة لليهود فى فلسطين . وقد أمر نحميا بإحصاء اليهود فإذا هم من كل قبيلة مئات أو عشرات وقليل جداً من وصل تعدادهم الى ألفين أو ثلاثة كما جاء فى سفر نحميا الإصحاح السابع وكان أكبر عدد ذكره وهو يحصى الدواب ٦٧٢٠ حماراً .

ودعا نحميا "عزرا" الكاهن لكى يترجم التوراة بلغة اليهود فى هذا الزمان ويقرأها على الجميع وإذا بهم يكتشفون أن موسى أمر ألا تقرأ التوراة داخل المبانى بل فى ساحات مكشوفة ، أى أنهم كانوا يجهلون ما أمر به موسى مدة ألف سنة .

وطلب نحميا من كل قبيلة أن تختار واحداً من كل عشرة ليسكن فى أورشليم وشدد ألا يسكن معهم غريب فى المدينة خصوصاً العمونيين والمؤابيين تنفيذاً لوصية قال أن موسى دونها فى التوراة :"لا يدخل أحد منهم فى جماعة الله الى الأبد لأنهم لم يلقوا بنى إسرائيل بالخبز والماء ." فى زحفهم الأول .

ولاحظ نحميا أن أولاد بعض اليهود لا يتكلمون لغة اليهود لأن أمهاتهم من الشعوب المجاورة لإسرائيل قال :"فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم إناساً ، ونتفت شعورهم وإستحلفت بالله قائلاً : لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم . أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل وكان أحد كبار الكهنة متزوجاً من إحدى الأمم الأخرى ، فطرده نحميا .

وكان نحميا خاضعاً لملك فارس يؤدى له الجزية ويتردد عليه ليثبت ولاءه ودون في التوراة ما رأه صالحاً لليهود ومات سنة ٤١٥ ق.م. بعد أن وضع أساس اليهودية الجديدة وكما شدد نحميا النكير على زواج اليهود من أجنبيات فإن عزرا الكاهن كان أشد نكيراً وهو يدون سفره لأن "الزرع المقدس" اخطلت بشعوب الأرض وبلغ انزعاج عزرا أن قال "مزقت ثيابى وردائى ، ونتفت شعر رأسى وذقنى وجلست متحيراً." وعد عزرا جميع المصائب والنكبات التى حلت بقومه الى هذا الرجس والخيانة . وبدأ فحص كل اليهود "وانتهوا من كل الرجال الذين إتخذوا نساء غريبات ." ولم يذكر عزرا كيف كانت هذه النهاية ، هل أعدم الخاطئين أم إكتفى بإبعادهم .

وبهذه العقلية اليهودية الجامدة عاش اليهود قديماً ويعيشون بها الى اليوم ... كراهية للأمم الأخرى التى تعد "نجاسة . ومحافظة على

الزرع المقدس وإذا اختلفت هذه القاعدة اليوم فبسبب أكثر من ألفين سنة عاشوها بين شعوب أخرى ، ولكن ما أن بدت لهم بارقة أمل بتجمعهم مرة أخرى فإنهم يعودون الى ما أوصتهم به توراتهم وعليهم منها حرس شديد البأس هم الحاخامات والأحزاب الدينية.

بعد العودة الى فلسطين :

ونعود الى القلة اليهودية التى عادت الى أورشليم تحت حماية ملك فارس وتدفع له الجزية ، فقد عادوا كجماعة تابعين للحكم الفارسى ولم يعودوا كدولة وبعد وفاة قورش وولاية من جاءوا من بعده انتهت فترة العسل بين اليهود والفرس وكانت المناوشات بينهما لا تنقطع حتى جاء الأسكندر الأكبر وزحف على سوريا وفلسطين سنة ٣٢٠ ق.م. وآل حكم فلسطين الى مصر فى عهد البطالمة ومن أبرز ثوراتهم فى هذا العهد الثورة التى قاموا بها بقيادة الكاهن ماتياس سنة ١٦٧ ق.م. وهزموا فيها ومات ماتياس فى العام التالى وتولى ابنه مكابياس قيادة الثورة وهزم ومات سنة ١٦١ ق.م. والى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابيين التى حاولت دون جدوى أن تحقق أى لون من ألوان الإستقلال لليهود وسقط كثير من قادة هذه الأسرة قتلى بيد السوريين . وفى سنة ١٠٤ ق،م، إستطاع القائد المكابى "أرستبولس" أن يأخذ لنفسه لقب "ملك" ولكن عهده كان قصيراً جداً وضعف مركزهم جداً .

تحت حكم روما :

كانت روما تأخذ دورها فى القوة ـ وتلك الأيام نداولها بين الناس ـ وتنشر نفوذها فاحتلت فلسطين ودخلت أورشليم بقيادة بومبى سنة ٦٣ ق.م. وفتك باليهود وإستباح الهيكل . وتعاقب على الحكم لحساب روما القادة الرومانيين وأشهرهم فى التاريخ "بيلاتوس" ـ من سنة ٢٦ : ٣٦ م ـ الذى تمت فى عهده حادثة صلب المسيح عليه السلام . وفى سنة ٧٠ م تولى الحكم القائد الرومانى "تيطس" الذى دمر أورشليم وهيكلها وذبح اليهود فيها وأسر من أسر من شعبها ، وذاق اليهود على يد تيطس الذل والهوان . وأمر بطرد من بقى من اليهود من أورشليم .

وفى عهد الإمبراطور "تراجان" عاد بعض اليهود الى أورشليم وأخذوا يعدون للثورة وأعمال الشغب من جديد . فلما تولى أدريانوس عرش روما ـ ١١٧ : ١٣٨م ـ حول المدينة الى مستعمرة رومانية وحظر على اليهود الإختتان وقراءة التوراة وإحترام يوم السبت فثار اليهود بقيادة "باركوخيا" سنة ١٣٥م. فأرسلت روما قائداً حازماً هو "يوليوس سيفيروس" فاحتل المدينة وقهر اليهود وقتل باركوخيا وذبح من اليهود فى تلك الموقعة ٥٨٠ ألف نسمة وتشتت من استطاع الهرب من اليهود فى أنحاء الأرض ولكى ينسى اليهود أورشليم دمرها أدريانوس تماماً وحرث الأرض وزرعها وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها "إيليا".

وهذا الموجز لتاريخ اليهود فى فلسطين يعطينا فكرة عن فترة الحكم اليهودى التى يعتبرونها الأساس الأول للمطالبة بفلسطين . وهو تاريخ أسود مفعم بالقتل والذبح والسبى والنهب والسلب والبطش والإرهاب والغدر . وأن عمليات القتل الجماعى والفتك بالناس دون نظر الى الجنس ودون التمييز بين الرجال والشيوخ والأطفال قد أوجدها اليهود ولم يسبقهم إليها شعب آخر . ومن يقرأ سفر "استير" فى التوراة يجد أن هذه الفتاة اليهودية الجميلة قد استغلت جمالها لدى ملك الفرس فأذن لها أن توعز الى بنى قومها بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم أمام مؤامرة وهمية دنيئة إخترعتها هى وعمها "مردخاى" فهبوا يفتكون بالناس الآمنيين وذبحوا منهم فى يوم واحد ٧٥ ألف نسمة . واليهود يذكرون هذا اليوم ويعتزون به ـ ١٤ آذار ، مارس ـ ويعتبرونه عيداً قومياً لهم كما أوضحنا فى الفصول السابقة أنهم حينما دخلوا فلسطين أول مرة كان رائدهم القتل والذبح والإبادة والتدمير واستعباد سواهم من البشر .

والأمثلة كثيرة إذا استرجعنا بعض نصوص التوراة نجد :

فى سفر التثنية ٧ : "متى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم وخربتهم فإنك تحرمهم . لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ."

"إياك قد إختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ."

تثنية ٢٠ : "حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح . فإن أجابتك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف."

وفى سفر لاويين ٢٠ : "أنا الرب إلهكم الذى ميزكم من الشعوب ."

لاويين ٢٥ : "وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم الى الدهر . وأما أخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط انسان على أخيه بعنف ."

وفى جميع أسفار التوراة يقول لهم الرب أنه سيدفع البلد الذى سيغزونه الى أيديهم فيقتلون الرجال والشيوخ والصبيان ويأخذون النساء والفتيات والبهائم والذهب غنيمة لهم ...

أى رب هذا ! – سبحان الله عما يصفون – بل أى شعب هذا؟!

لم يرد مثل هذا القول فى المسيحية ولا فى الإسلام ولا حتى

فى تعاليم بوذا وزرادشت . والرب رب لجميع البشر لا فرق بين انسان وآخر إلا بالتقوى وهو يعفو عن السيئات ويغفر الذنوب وهو بالكل رؤوف رحيم . وما هو مذكور فى التوراة ليس من لدن الله بل هو ما دونه كهان اليهود وأحبارهم وهو ينضح بما إنطوت عليه نفوسهم من أثرة وأنانية وحقد شديد على غيرهم .

ويمكن أن نسجل تواريخ بعض الأحداث المهمة حسب تعاقبها فى أورشليم وما حولها منذ الغزو البابلى كالآتى :

عـــام ق.م	
٥٨٦	سقوط أورشليم واستيلاء نبوخذ نصر عليها وسبى اليهود الى شرق الفرات .
٥٣٨	أنتصار الفرس على البابليين وضم بابل نهائياً الى دولة فارس .
٥٣٦	سماح الفرس لمن يريد من اليهود العودة الى أورشليم تحت حكم فارس .
٥٣٤	بدء بناء الهيكل فى أورشليم رغم معارضة من بقى من يهود السامرا فى الشمال .

٥١٦ إفتتاح المعبد المجدد للعبادة .

٤٤٥ قيام نحميا بترميم أسوار أورشليم بموافقة الفرس .

٤١٥ وفاة نحميا وبداية حكم الكهنة أو الحاخامات من خلال السلطة الفارسية .

٤١٥ : ٣٧٣ نشوب منازعات بين الحاخامات وآخرهم "يوحنان" الذى قتل أخاه لينفرد بالسلطة وأوقع الفرس غرامة كبيرة على أورشليم .

٣٥٠ إضطرابات كبيرة فى أورشليم فقدم ملك الفرس "ارتاكزرسيس" الثالث بجيشه ودمر المعبد وساق كثير من اليهود الى المنفى مرة أخرى .

٣٣٠ قدوم الأسكندر الأكبر وإنتصاره على الفرس ووقوع اليهود تحت سلطانه .

٣٢٠ بطلميوس يؤدب يهود أورشليم ويستولى عليها ونفى أعداداً كبيرة الى مصر .

٢٨٥ أمر بطلميوس بترجمة التوراة الى اليونانية وظلت أورشليم تحت حكمه .

١٦٥ أمر البطالمة بجمع نسخ التوراة وحرقها وإعدام كل من

توجد معه نسخة منها .

١٠٤ القائد المكابى أرستبولس ينصب نفسه ملكاً على أورشليم لفترة قصيرة جذاً .

٤:٧٢م هيرودس يقضى على حكم المكابيين .

٦٣ م إستيلاء الرومان على فلسطين ووقوع اليهود تحت حذاء جديد .

٧٠ م الإمبراطور تيطس الرومانى يدمر أورشليم ويحرق الهيكل.

١٣٥ م الإمبراطور الرومانى إدريانوس يزيل أورشليم تماماً ومعالم الهيكل وقضى على اليهود بين قتل وتشريد فلم يبق منهم يهودى واحد فى أورشليم .

* * *

الفصل التاسع

عقائد اليهود

يعتقد اليهود أن الله قد اختارهم شعباً أخص (الشعب المختار) وأن باقى الشعوب قد خلقت لخدمتهم ويقولون أن باقى الشعوب خلقت على شكلهم ليليقوا بخدمتهم ويمثلون ذلك بخدم الملوك والعظماء فإنهم يلبسونهم الملابس الفاخرة ليليقوا بخدمتهم ! ومصادر الفكر عندهم حسب أهميتها : التلمود ثم التوراة ثم بروتوكولات حكماء صهيون وهى كتب دونها أحبار اليهود ماعدا الوصايا العشر وأحكام الشريعة فهى بقايا ما أنزله الله على موسى عليه السلام . وقبل أن نوجز شرح كل من هذه المصادر نبدأ بما قاله الله تعالى فى القرآن الكريم عن هذه الكتب وعن أصحابها .

يقول القرآن الكريم "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم بما يكسبون." (١)

"يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به" (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ٧٩ .

(٢) سورة المائدة آية ١٣ .

"قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا آهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل٠لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون". (١)

ونبدأ بالتلمود :

التلمود ليس وثيقة دينية كما يزعم اليهود ولكنه وثيقة سياسية خطيرة وضعها بعض حاخاماتهم وهو يعتبر أساس السياسة الصهيونية العالمية الأول ويتكون من مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وسياسية كانت تدرس شفاهة وخوفاً من نسيانها مع مرور الزمن فقد دونها الحاخامات واعتبرت كسنة من موسى عليه السلام ٠

وتوجد نسختان من التلمود ، التلمود الأورشليمى وقد وضعه أحبار أورشليم فى زمن الإضطهاد فى فلسطين فى أواخر القرن الرابع الميلادى ويشمل تسعة وثلاثين بحثاً . والتلمود البابلى كتبه « رب اشى » رئيس الأكاديمية فى سوره قرب بغداد بمعاونة أحبار اليهود فى بابل فى القرن الخامس وهو نحو أربعة أضعاف التلمود الأورشليمى ويحتوى على ستة وثلاثون بحثاً ويتألف التلمود من قسمين : مشنا ومعناها الدرس ، وجمارا ومعناها الإتمام .

والمشنا هى خلاصة الشريعة ومجموعة قوانين اليهود الدينية والمدنية والسياسية . والجمارا مبنية علي روايات وأحاديث عن الحاخامات وتحتوى على

---

(١) سورة المائدة آية ٧٧ – ٧٨ ٠

شروح وتفاسير على المشنا وتشمل مواضيع مختلفة ومعلومات دنيوية وطبية وفلكية وغيرها ويعتبرونها دائرة معارف .

ويقول الدكتور فارحى أن التلمود كتاب جليل مقدس وتعاليمه سامية جداً تعلمنا عمل الخير والبر والإحسان والمحبة والشفقة والصبر والعدل والتقوى وتغرس فينا شعوراً وعواطف شريفة .

غير أن هذا التفسير للتلمود يحمل ألوانا من التدليس والخداع . فقد صور الغرور لهؤلاء التلموديين أنهم من طبقة غير البشر . وأن البشر غير اليهود هم حيوانات لا تعقل أو خدم وأتباع لليهود . وزادهم الله ضلالاً فزعموا أن الله عندما كتب الذلة والمسكنة على اليهود ظل يبكى وينوح (سبحانه وتعالى عما يصفون) عندما صرح بهدم المعبد وأورشليم واستبد الحاخامات فأمروا بعدة ذبائح بشرية ليحصلوا على دم يدّعون أن ديانتهم تأمر باستعماله . وبلغت بهم السفالة والحقارة أن رموا العذراء مريم البتول الطاهرة بالفسق واتهموها بالزنا .

والتلمود هو الكتاب الأول لدى اليهود يفضل التوراة وكتب نصوصه الحاخامات الذين أسسوا الصهيونية ووضعوا القواعد للإجرام الصهيونى العالمى ويقولون أن كلام الحاخامات من كلام الله ... بل إن الله يستشير الحاخامات فى حل مشاكل السماء العويصة (سبحانه وتعالى عما يصفون) . وأنا أحاول أن أوجز نصوص التلمود ليعرف القارئ الخطة السرية التى رسمتها الصهيونية العالمية لخراب العالم والسيطرة عليه .

اللـه في التلمود : وليسامحني الله فأنا ناقل لتعاليم العصاه بقصد هداية البشر .

يقول التلمود أن النهار إثنا عشرة ساعة . فى الثلاث ساعات الأولى يطالع الله الشريعة وفى الثلاث الثانية يحكم وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم وفى الثلاث الرابعة يلعب مع الحوت . وفى الليل يتعلم التلمود مع الملائكة وملك الشياطين وبعـد هدم هيكل أورشليم لم يلعب الله مع الحوت . ولم يمل الى الرقص مع حواء رغم زينتها . وقد اعترف الله بخطئه فى هدم الهيكل فصار يبكى ويزأر كالأسد قائلا : تبا لى لأنى أمرت بهدم بيتى ونهب أولادى .

خطيئة الله :

يندم الله على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم والله ليس معصوماً من الطيش لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش وحدث أن حلف الله يمينا غيـر قـانونيـة وإحتـاج الى من يحله من يمينه ولذلك نصب الحاخامات ملكاً بين السمـاء والأرض إسمـه "مى" لتـحليل الله من إيمانه ونذوره عند الضـرورة ، كـمـا كـذب الله أيضـاً بقـصـد الإصـلاح بين إبراهيم وزوجته ساره . وكثير جدا من التجديف في حق الله تعالى !

الملائكة وحسدهم لليهود :

الملائكة أقسام منهم من لا يموت ومنهم من يموت بعد زمن طويل ومنهم

من يموت يوم خلقه بعد أن يرتل لله ويقرأ التلمود . وللملائكة وظائف مخصصة ومنهم الملك جركيمو وهو مخصص للبرد وميخائيل للمياه وجبرائيل للنار ونضج الثمار وملائكة للخير وملائكة للشر وبعضهم للمحبة وبعضهم لمراقبة حركة الشمس والقمر . والملائكة يصلون نهاراً لأجل صالح البشر وليلاً يبثون النوم فى عيون الناس وهم يحسدون اليهود على صلواتهم .

الشياطين :

خلق الله الشياطين فى يوم الجمعة مختلفين فى التركيب بعضهم من الماء أو النار أو الطين أو الهواء وهناك شياطين من نسل آدم وآخرين من حواء حيث أنهما كانا يأتيان الشياطين والشيطان يحب الرقص خصوصاً بين النسوة وهن عائدات بعد دفن ميت .

خلق آدم وحواء :

أخذ الله تراباً من جميع بقاع الأرض وكون منه جسماً ذا وجهين ثم شطره نصفين فكان أحدهما آدم والشطر الثانى حواء . وكان آدم طويلاً جداً رجلاه فى الأرض ورأسه في السماء وإذا نام كانت رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب . ولما عصى نقص طوله حتى صار كباقى الناس .

أرواح اليهود والنصارى :

خلق الله الأرواح ثم وضعها في المخزن العمومى فى السماء ويخرج منها

كلما ولدت امرأة ولداً . وخلق الله ستمائة آلف روح يهودية ، وفى كل يوم سبت تتجدد روح اليهودى وتتميز أرواح اليهود بأنها جزء من الله أما غير اليهود فأرواحهم شبيهة بأرواح الحيوانات وبعد موت اليهودى تخرج روحه وتشغل جسداً آخر من نسله .

الجنة والنار :

الجنة مأوى الأرواح الزكية يأكلون فيها لحم زوجة الحوت والأوز السمين والطير الكبير ويشربون النبيذ المعتق . والنار مأوى المسلمون والمسيحيون الى الأبد

المسيح واليهود :

يصف اليهود يسوع المسيح – عليه السلام – أنه صنم ولد من الزنا . ومن العجيب أن يقول اليهود ذلك علناً فى البلاد المسيحية والأعجب أن يعترف بابا روما والكنيسة الكاثوليكية بإسرائيل وأن يعتزم البابا زيارة إسرائيل .

واليهود ينتظرون ظهور مسيح جديد ويملك اليهود كل أموال العالم وتحمل مفاتيحها واقفالها على ثلثمائة حمار . ويتسلط اليهود وتكون كل الأمم فى خدمة المسيح ويكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته .

اليهود هم الطبقة الممتازة :

الإسرائيلى معتبر عند الله أفضل من الملائكة . وأن نطفة بقية الشعوب هى نطفة حصان . وغير اليهودى أفضل منه الكلب . وبوجه عام الخارج على دين اليهود يعتبر حيوان .

وقد خلق الله الأجانب على هيئة الإنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم . ومصرح لليهودى بالغش والنفاق والكذب وشهادة الزور مع غير اليهودى .

الأرض ملك لليهود :

يعتبر اليهود أنفسهم مساوون للعزة الإلهية ولذلك فالدنيا بما فيها ملك لهم، ولهم حق التسلط عليها . والسرقة من غير اليهودى ليست سرقة بل هى إسترداد لمال كان مغتصباً .

قاعدة القضايا بين اليهود وغيرهم :

مسموح غش الأممى وأخذ آمواله بالربا الفاحش وإذا تقاضى يهودى وأممى يحكم لصالح اليهودى بالغش والتلفيق .

رد الأشياء المفقودة :

إن الله لا يغفر ليهودى ذنباً اذا رد لأممى ماله المفقود . قال "ميمانود" إذا رد

اليهودى لأممى ماله المفقود فانه يرتكب إثماً كبيراً ، ومن أحـــب الأممى فقـــد أبغـــض الله .

الربا :

تلزم شريعة موسى الغنى بأن يساعد الفقير بإعطائه جزءاً من ماله على سبيل الهبة أو مجرد عارية للإستهلاك .. وعلى المستعير أن يرد الى المعير شيئاً آخر مساو لما استعاره ، وليس للمعير أن يطلب زيادة وإلا إعتبر ربا . ولكن الحاخامات أمروا بأخذ الربا الفاحش من الأممى حيث أن حياته ملك له فكيف بأمواله ؟

اباحة قتل غير اليهودى :

إن قتل غير اليهودى لا يعتبر جريمة بل فعلاً يرضى الله . ومحرم على اليهودى أن ينقذ أممى أو يخرجه من حفرة وقع فيها بل عليه أن يسدها بحجر . وإن قول الله تعالى : (لا تقتل) فسرها ميمانود لا تقتل شخصاً من بنى إسرائيل .. كما قال : أصفح عن أممى إذا جدف فى حق الله أو قتل يهودى أو زنا بإمرأة يهودية ثم تهود ولكن لا تصفح عنه إذا قتل يهودياً أو زنى بإمرأة يهودية . ومسموح بالنفاق بأن يرتد اليهودى عن دينه ليتظاهر فقط ويسعى لضرر غير اليهودى .

المرأة :

لليهود الحق فى اغتصاب غير اليهوديات . قال الحاخام "تام" إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو اناثاً لا عقاب عليه . مصرح للإنسان أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يستطع مقاومتها بشرط أن يكون ذلك سراً ، وليس للمرأة اليهودية أن تشكو من زوجها اذا ارتكب الزنا فى مسكن الزوجية . ولا يخطئ اليهودى إذا إستعمل زوجته بأية طريقة وفى أى مكان من جسمها . واليهود يعتقدون أن كل الكبائر التى يرتكبونها تغفر ماداموا يموتون على دين اليهودية .

الإيمان :

القسم الذى يؤديه اليهودى لغير اليهودى لا يعد يميناً ويجوز لليهودى أن يحلف بما يراد منه إذا خاف ضرراً ما دام يعتقد فى باطنه أن يمينه باطلة . كما يجوز لليهودى أن يحلف زوراً ولا يخطئ إذا حول اليمين وإذا عرف شيئاً ينفع أمياً ويضر يهودياً فعليه أن يكتمه ولا يبلغ عنه السلطة .

المسيحيون وعباد الأوثان :

اللعنات الموجودة فى التلمود تشمل جميع الأمم غير اليهودية . والتلمود يقول عن المسيح أنه مجنون وكافر لا يعرف الله . ويقول أيضاً أنه يهودياً مرتداً .

الحرمان :

الحرمان عقوبة استن اليهود التلموديون أسباباً لها هى :

١- إحتقار الحاخامات ولو بعد وفاتهم .

٢- إحتقار أقوالهم أو إحتقار الشريعة ذاتها .

٣- التسبب فى إبعاد الناس عن الطريق السوى والمحافظة على الشريعة .

٤- بيع الحقول أو الأملاك لغير اليهودى .

٥- أداء اليمين أمام محكمة غير يهودية ضد يهودى .

والحرمان ثلاث درجات أولاها "ندوى" وهى حرمان المذنب من الجماعة ومعيشته منفرداً لا يقترب منه غير زوجته وأولاده وإذا توفى قبل نهاية العقوبة يوضع على قبره حجر دلالة على أنه كان يستحق الرجم ولا يحزن عليه أهله ولا يمشون خلف جنازته ويصدر الحرمان ندوى من شخص واحد من العوام ومدة الحرمان ٣٠ يوماً تمد الى ٩٠ يوماً إذا لم يتب وإذا لم يرتدع عوقب بالحرمان الأكبر "شريما" بمقتضاه يمنع المحروم من مخالطة الغير ومن التعليم والتعلم والأكل والشرب مع أى شخص ويمنع أى شخص من أن يؤدى له خدمة ومصرح له فقط أن يباع له الطعام حتى لا يموت جوعاً ويصدر الحرمان "شريما" من عشرة أشخاص فى محفل رسمى . وفى المحفل الرسمى توقد الشموع وتنطلق الأبواق بلعنة المخطئ ثم تطفأ الأنوار دلالة على أن المجرم إنحرف عن الأنوار الإلهية . أما الدرجة الثالثة من الحرمان فقد بطل إستعمالها .

ونص الحرمان هو :

بناء على حكم إله الآلهة يحرم فلان بن فلان من المحكمتين : محكمة

أول درجة ، والمحكمة العليا ، ومن القديسين والملائكة والجمعيات الكبيرة والصغيرة .

ويصاب بالقروح والأمراض الخبيثة كلها .

ويكون منزله مسكناً للجن .

ونجمه مظلماً فى السماء ، ويكون من المغضوب عليهم .

ويطرح جسده للوحوش المفترسة والثعابين .

ويفرح أعداؤه ومن يريد له الشر بحرمانه .

وتعطى أمواله لغيره .وتسقط هذه الأموال تحت سلطة عدوه .

ويلعن أولاده حياته ويكون ملعوناً من فم "عيديربرون" و "عشتاريان" و "صندلفون" و "عزرائيل" و "عنسيل" و "إسرافيل" و "سنحاسيل" و"ميخائيل"و"جبرائيل" و "روفائيل" و "مسكارتيل".

ويكون محروماً من فم "زفزا" و "هاهاقيل" الأكبر وفم العشرة أسماء المعظمة ثلاث مرات ومن فم "زرتاج حامل الختم".

ويفرق مثل "كوريه" و "جيشة"

"وتخرج روحه من جسده بخوف وجزع ويحكم عليه الله بالموت ويخنق

مثل "إشيتوفيل" ويكون جذامه مثل جذام "جيزى" ويسقط ولا يقوم ويطرح عن قبور بنى إسرائيل وتعطى إمرأته لغيره ويميل إليها آخرون بعد موته ويسقط هذا الحرمان على فلان بن فلان ويكون من نصيبه . أما أنا وبنو إسرائيل فتكون لنا بركة الله وسلامه ... آمين"

التوراة :

التوراة هى جزء من العهد القديم الذى هو التسمية العلمية لأسفار اليهود. وكلمة التوراة معناها الهداية أو التعاليم الدينية . والعهد القديم مقدس لدى اليهود والمسيحيين وعدد أسفاره غير متفق عليها فالكنيسة البروتستينية تعتمد تسع وثلاثون سفراً ، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى فيكون المجموع ستة وأربعون سفراً .

وسيقتصر البحث هنا على الوصايا العشر وأسفار موسى الخمسة الأول أما باقى الأسفار فهى سجل فيه شعر ونثر وتاريخ وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وغزل ورثاء . ولذلك سيقتصر بحثنا عما جاء به موسى عليه السلام أى بالوصايا العشر والأحكام وقد سبق ذكرها فى الفصل الخامس ونوجز شرح أسفار موسى الخمسة فيما يلى :

السفر الأول – سفر التكوين وتكلم عن خلق العالم وخلق الإنسان الأول وقصة الخطيئة التى أرتكبها آدم أبو البشرية ونزوله الى الأرض وحياة أولاده وما جرى بينهم ثم قصة طوفان نوح ونشأة الشعوب وقصة إبراهيم وأولاده الى يوسف

وإستدعائه لعائلته الى مصر وينتهى هذا السفر بموت يوسف .

والسفر الثانى ـ سفر الخروج ـ ويشمل قصة بنى إسرائيل فى مصر بعد يوسف وظهور موسى وقصته مع فرعون وخروجه ببنى إسرائيل الى سيناء وكلامه مع الرب وتلقيه الوصايا العشر والأحكام ووصف خيمة الإجتماع وتابوت العهد وما حدث من بنى إسرائيل فى غيبة موسى .

والسفر الثالث ـ اللاويون نسبة الى لاوى أخو يوسف ـ ويحتوى كثيراً من التشريعات والوصايا مثل كفارات الذنوب والطعام المحرم والنكاح المحرم والأعياد والنذر والطهارة والأوامر والثواب والعقاب .

والسفر الرابع ـ سفر العدد ـ وفيه تقسيم أسباط بنى إسرائيل وإحصاء الذكور وسيرة بنى إسراءيل فى سيناء وما بعدها وفيه كثير من التعاليم الكهنوتية والدينية والإجتماعية والحرب مع مديان وثورة هارون ومريم إخوة موسى ضده . وثورة قورح اللاوى وأعوانه قائلون لموسى : أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا أيضاً ترأساً ؟

والسفر الخامس ـ سفر التثنية ـ أو تثنية الشريعة بمعنى الإعادة . وفى هذا السفر أعيد عرض الوصايا العشر وعن الأطعمة الحلال والحرام ونظام القضاء وتحدث عن الكهنة والنبوة وعن إنتخاب يشوع بن نون ـ خادم موسى ـ خلفاً لموسى . وينتهى السفر بوفاة موسى ودفنة فى أرض مؤاب.

الإله عند اليهود وصفاته :

إله اليهود إسمه "يهوه" وترسم عنه أسفار التوراة الخمسة صورة حسية : فمن هذه الأوصاف لياهوه أنه كان يسير أمام جماعة بنى إسرائيل فى عمود سحاب .. فقد جاء فى سفر الخروج : وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى إيثام طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلاً فى عمود نار ليضيئ لهم (١) كذلك من أوصافه البشرية ما جاء فى التوراة ، ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل . ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى أشراف بنى إسرائيل (٢) .

... فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم (٣) .

ويهوه ليس عالماً ويطلب من بنى إسرائيل أن يرشدوه . فقد قرر حينما كان بنو إسرائيل فى مصر "أن يجتاز أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم "(٤) . ولكن يهوه لا يريد أن تنزل ضرباته ببنى إسرائيل ولذلك فإنه طلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش على القوائم

---

(١) خروج ١٣ ـ ٢٠ .
(٢) خروج ٢٤ ـ ٩ ـ ١١ .
(٣) خروج ٢٥ : ٨ .
(٤) خروج ١٢ .

وعتبة البيوت العليا (١) .

ويهوه ليس معصوماً وكثيراً ما يقع فى الخطأ ثم يندم على ما فعل ، ومن نص التوراة "فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه" (٢) وفى نص آخر "ندمت على أنى قد جعلت شاءول ملكاً لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى (٣) والإله يهوه يأمر بالسرقة فمن نص التوراة : "أن تطلب كل إمرآة منهم من جارتها أو من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين" (٤) . ويهوه إله قاس متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب بل إله بنى إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للألهة الآخرين(٥) . كما أن شعبه عدو لباقى الشعوب وتصوره المراجع اليهودية كرئيس عصابة فهو يقول لهم :"متى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التى أنت داخل إليها لتملكها ، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك : الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب ألهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرقهم ، لا تقطع لهم

---

(١) خروج ١٢ : ١٧ .

(٢) خروج ٣٢ : ١٤ .

(٣) صموئيل الأول ١٥ : ١٠ .

(٤) خروج ٣ : ٢٢ .

(٥) خروج ١٢ :١٢.

عهداً ولا تشفق بهم (١)، ويقول كذلك :"حين تقرب من مدينة لكى تحاربها إستدعها الى الصلح فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها تغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما (٢).

ومن صور القسوة والوحشية التى تنسبها التوراة الى يهوه ، قصة الحوار الذى ورد فى الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول ، فقد كان الرب قد طلب من شاءول ملك إسرائيل تدمير العماليق وتدمير مواشيهم وهدم بيوتهم والقضاء على ذرياتهم ، ومشى شاءول بجيش كبير وحاصرهم وإنتصر عليهم وقبض على ملكهم "أجاج" وأهلك الشعب كله ودمر ممتلكاته ، وإستبقى جيد الغنم والبقر ليقدم ذبيحة للرب ، ولكن يهوه غضب من ذلك القول وقال:"إستماع كلام الرب أفضل من الذبيحة ، والطاعة أفضل من شحم الكباش ويندم شاءول على هذا ويقتل أجاج الذى كان أسيراً ويهلك ما كان قد إحتفظ

---

(١) تثنية : ٧ .

(٢) تثنية : ٢٠ : ١٠ ـ ١٦ .

به من الأنعام (١).

وهناك صفة أخرى تضيفها التوراة على يهوه فهى تصور موسى ذا سلطان عليه ، ينصحه فينتصح ، بل يتخذ موسى موقف المرشد المعلم وهو ينصحه ، فمن ذلك أن يهوه غضب على بنى إسرائيل وقال لموسى :"اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم .. فراجعه موسى وقال له : ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر أن توقعه بشعبك ، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك ، فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه (٢) .

وشتان أن نقارن ما يتوعد به هذا الرب شعبه إن أهملوا بعض ما أوصى به ، والحساب الذى قرره إله المسلمين الغفور الرحيم الذى تحمل آيات القرآن إتجاهاته :

- يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير .

- إن الله يغفر الذنوب جميعاً .

- قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفرنا له .

---

(١) صموئيل الأول : ١٥ .

(٢) خروج ٣٢ وعدد ١٣ .

- واعف عنا وأغفر لنا وأرحمنا .

- ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً .

- أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه .

- واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر .

ذلك موجز من صفات يهوه إقتبسناه من التوراة وأرجو أن أكون أعطيت صورة واضحة عن إله بنى إسرائيل .

بروتوكلات حكماء صهيون :

لا يزال واضعو هذه البروتوكلات ووقت وضعها غير معروف حتى الآن ولكن من المرجح أن هذه البروتوكولات خرجت من مؤتمر بال الذى دعا الى عقده تيودور هرتزل فى بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ ولم يعرفها الا خاصة الخاصة من اليهود وحفظت فى سرية تامة الى أن اكتشفت بطريق الصدفة سنة ١٩٠١ ونشرها الاستاذ سرجى نيلوس فى العام التالى ١٩٠٢ باللغة الروسية وعقب اكتشافها أعلن تيودور هرتزل أنه سرق من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية التى قصد إخفاؤها عن غير أصحابها . وهب اليهود فى كل مكان يعلنون أنها مختلقة عليهم وينكرون صلتهم بها . ولكن هذا الإنكار لا قيمة له لأن الأحداث العالمية التى وقعت ومازالت تجرى مطابقة لما ورد فى البروتوكولات ومتمشية مع مصالح اليهود .

وقد أعاد نيلوس نشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٥ ونفذت الطبعة بسرعة غريبة وطبعت مرة أخرى سنة ١٩١١ وجمعها اليهود بكل طريقة من الأسواق وأحرقوها ولما طبعت سنة ١٩١٧ صادرها الشيوعيون . وقد طبعت بعد ذلك فى إنجلترا وفرنسا والمانيا وإيطاليا وكانت النسخ تنفذ سريعاً بطرق غريبة ومريبة . وأحجمت دور النشر عن طبعها بعد ذلك بسبب نفوذ اليهود وسلطانهم على هذه الدور . وعدد البروتوكولات أربعة وعشرين وهدف هذه البروتوكولات إقامة حكومة عالمية يهودية تحكم العالم كله وتسيطر عليه لمصلحة اليهود فقط وهى مؤامرة شريرة ضد البشرية كلها ويبدو أنها جاءت رد فعل لما عاناه اليهود في أوربا من ظلم وإضطهاد . ويمكن تقسيم البروتوكولات الى قسمين : القسم الأول هو موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم والقسم الثانى هو موقف اليهود من العالم بعد أن يتسلطوا عليه .

القسم الأول - قبل تكوين الحكومة الصهيونية العالمية :

العناية التامة بإعداد الشعب اليهودى لتولى السلطة وتثبيت الإعتقاد بأن الشعب اليهودى هو شعب الله المختار . وأن باقى الشعوب الأمميين لخدمتهم ويحق لليهود غشهم وتسخيرهم ... الخ ويرى اليهود فى هذه المرحلة تمزيق الأوطان والقضاء على القوميات والأديان وإغراء الملوك والرؤساء وإفسادهم بشتى الطرق وإغراء الشعوب بالتمرد وخلق عدم الثقة بين الشعوب والحكام .

وترسم البروتوكولات لليهود نشر المذاهب المختلفة وفى أزمان مختلفة ،

الشيوعية والإشتراكية والرأسمالية حتى تتصارع الكتل الدولية وأحياناً يناصرون الحرية وأحيانا يحاربونها وأحياناً ينصرون الحكام على شعوبهم والعكس أحيانا لخلق الفوضى ، فهم ينشرون الإباحية ويدفعون الناس للشهوات والإنحلال . ويستخدمون المال والنهم والنساء لتحقيق مآربهم ويضعوا شخصيات معروفة وأصحاب أسماء كبيرة لها أخطاء لا يعرفها إلا اليهود فى المناصب الحساسة ذات التأثير وفى ظل الخوف من إشاعة هذه الأخطاء ينفذون كل مايشير به اليهود عليهم . ولا بد أن يسيطر اليهود على دور النشر والصحافة وجميع وسائل الإعلام حتى يتسنى بناء الرأى العام العالمى كما يريد اليهود .

والمال من أهم وسائل اليهود فهم يغرون الحاكم ويشجعونه بجمع المال لنفسه والظهور بمظهر البذخ ويدفعون الشعب الفقير للثورة عليه وتتسرب أموال البلاد المنهوبة لأيديهم . ويشجع اليهود الدول على الإستعمار ويتنافس المستعمرون وتنشب بينهم الحروب ويقدم اليهود السلاح والقروض للجانبين فيربحون الكثير وتهلك الشعوب الأخرى ويتسلل اليهود الى المؤسسات والمصانع لإفسادها وتخريبها بإشاعة الخلل فى إدارتها . وفى تشتت اليهود بين أقطار العالم ميزة كبيرة لهم بواسطة المال والعلم والتجسس والنساء يتصلون بمراكز الحكم ويصلون الى القصور فيكون لهم شأن ونفوذ فى إدارة البلاد .

القسم الثانى – بعد تكوين الحكومة الصهيونية العالمية :

بعد إنتصار اليهود فى مخططهم يقيمون مملكتهم وعاصمتها القدس

ويحكمون العالم بطريق مباشر فى حالة سقوط كل حكومات العالم ويكون بطريق غير مباشر أى بواسطة الحكومات التى لم تسقط . وبعد سقوط كل الحكومات تنتقل العاصمة إلى روما حيث تستقر الى الأبد ويجلس على العرش ملك من ذرية داود. ويسود اليهود الناس بالمال والنساء والمناصب ومن لم يخضع يستعمل معه أقسى درجات العنف .

وفيما يلى موجز لكل من هذه البروتوكولات :

قبل قيام الحكومة العالمية

من البروتوكول الأول :

يجب أن نلاحظ أن ذوى الطباع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوى الطباع النبيلة ، وإذن فخير النتائج فى حكم العالم ماينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية .

إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شئ والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع وهو غير راسخ على عرشه .

إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت الى ماهو أخلاقى وماهو خير بقدر مانلتفت الى ماهو ضرورى ومفيد .

لقد أقمنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية الموروثة أرستقراطية من عندنا .. أقمناها على أساس الثروة الخاضعة لسيطرتنا وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا ، وقد بات النصر أيسر فى الواقع ، فإننا من خلال صلاتنا بالناس كنا نركز جهودنا بإقامة الأرستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها وكنا دائماً نحرك أشد أجزاء العقل الانسانى إحساساً أى نستثير مرضى ضحايانا من أجل المنافع وشرههم ونهمهم للحاجات المادية ، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع أن يحطم طليعة الشعب . وبذلك نضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونهم من قوة طليعتهم أى تحت سلطة حكامهم الخاضعين لسلطان اليهود .

فى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة وإن دولتنا – فى سبيل الفتوح السامية – لها الحق أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام ، والإعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء فالعنف وحده هو العامل الرئيسى فى قوة الدولة .

كنا أول من صاح فى الناس "الحرية – الإخاء – المساواة" وهى كلمات ترددها ببغاوات جاهلة جلبت الى صفوفنا فرق كاملة من كل زوايا العالم عن طريق وكلائنا المغفلين حطمت سعادة الدول وسلامهم وإستقرارهم ودمرت وحدتهم كما سنرى بعد .

إن مما يحقق سعادتنا أن تكون الحكومة فى قبضة شخص واحد مسئول

وبغير الإستبداد لا يمكن أن تكون حضارة .

من البروتوكول الثاني :

إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، وان الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم والنظريات لدى غير اليهود سيكون واضحاً ، سيفرحون بها ويعتقدون أنها القدر الأسمى لصالحهم .. حتى يلاقوا يومهم المرسوم .

الصحافة هى القوة العظيمة التى نستطيع بها توجيه الناس ، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر والسخط أحياناً بين الغوغاء ، وقد سقطت الصحافة فى أيدينا وعن طريقها أحرزنا النفوذ وكدسنا الذهب من وراء الستار .

من البروتوكول الثالث :

إن كل الموازين البناءة القائمة ستنهار سريعاً ، لأننا دائماً نفقدها توازنها ونمحق كفاءتها إننا نغذى الطامحين الى القوة بأن يسيئوا إستعمال حقوقهم ونضع كل القوى كل واحدة ضد الأخرى ونساعد كل طرف فتشتد الخلافات الحزبية وتحل الفوضى : ونحن على الدوام نشجع الشيوعية والاشتراكية بحجة مساندة العمال طبقاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة وهذا ماتبشر به الماسونية الإجتماعية .

إن فائدتنا فى ذبول الأمميين وضعفهم وقوتنا تكمن فى بقاء طبقات العمال فى فقر ومرض ونشحن الجمهور بأوهام النظريات والعلوم التى أوحينا بها اليه فيحمل الكراهية والبغضاء لكل الطبقات التى يظن أنها أعلى منه ومن الفقر المستمر والطبقة المستغلة تنشأ الأزمات الاقتصادية فيحل الكساد وتخلوا الأسواق ويقل الانتاج . وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل وبمساعدة الذهب الذى هو كله فى أيدينا .

من البروتوكول الرابع :

لم أجد ضرورة لنقل النص الحرفى وسأقدم ملخصاً لما تضمنه .

يتحدث عن ثورة عمياء يقيمونها بمعرفتهم ثم يقمعها إستبداد غير شرعى تقوم بها منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء ووراءها قوة خفية تلك هى حكومتهم العالمية – وهى موجودة فعلاً الآن بصفة سرية وتحرك أغلب أحداث العالم من وراء الستار ، وأن المحفل الماسونى يحقق خطة القيادة الغير معروفة لغالبية العالم

ويشرح البروتوكل كيفية تحويل عقول المسيحيين عن كشف هذه السياسة وذلك يجذبهم نحو تجارة وصناعة توضع على أساس المضاربة حتى ينشغلوا بهذا الصراع عن عدوهم وتعود خيرات الأرض الى خزائن اليهود من خلال المضاربات .

من البروتوكول الخامس :

كان الناس ينظرون الى ملوكهم نظرهم الى إرادة الآلهة فكانوا يخضعون فى هدوء لإستبداد ملوكهم ، ثم أوحينا الى العامة بحقوقهم الذاتية وببشرية الملوك فانساق العامة خلفنا وسقطت المسحة المقدسة عن رؤوس الملوك وانقلبت السلطة الى رجل الشارع فاختطفنا منه هذه السلطة دون أن يعى .

لقد بذرنا الخلاف بين الأفراد كما بذرناه بين الأمم ، ونشرنا التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً فلم يعد من الممكن أن يلتقى الأفراد ولا أن تلتقى الأمم .

إن علم الإقتصاد السياسى الذى محصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج ويجب أن نحصل على إحتكار مطلق للصناعة والتجارة وأن نحصل من التجار على أكبر ربح ليظلم التجار الجماهير ويثيروهم على الحكومات .

ـ من البروتوكول السادس :

بعد القضاء على الأرستقراطية السياسية للأمميين ينبغى القضاء على الأرستقراطيين من ملاك الأراضى فهؤلاء خطر علينا لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم ومن وسائل القضاء عليهم رفع الأجور والضرائب حتى تنهار مواردهم فى بيع أراضيهم لأنهم بما تعودوه من ترف لا يستطيعون القناعة

بالقليل .

وكى نخرب صناعة الأمميين ستزيد أجور العمال ولكنا فى الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية فنسترد زيادة الأجور ونعرض الصناعة للخراب والعمال للفوضى .

من البروتوكول السابع :

فى كل أوروبا وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتن والمنازعات والعداوات المتبادلة فنتحكم فى أقدارها جميعاً وسوف نصطاد الجميع بكل الحيل والشباك التى نصبناها فى جميع الحكومات وقيدناها بسياستنا وبالإتفاقات الصناعية والخدمات المالية .

ولكى نصل الى هذه الغايات علينا أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والإتفاقات ولكننا – باللغة الرسمية – سوف نتظاهر بعكس ذلك لكى نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسئولية . وهكذا تنظر لنا حكومات الأمميين – التى علمناها أن تأخذ الأمور من الجانب الظاهرى فقط – أننا متفضلون ومنقـــذون للإنسانية .

ويجب أن نعزز خطتنا العالمية الواسعة واستعباد جميع الحكومات الأممية بقوة الصحافة التى هى في أيدينا متوسلين بجرائم العنف والارهاب ، وإذا إتفقوا ضدنا فعندئذ سوف نجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية او اليابانية (أى

الحكومات التي يتحكمون في مؤسساتها) .

من البروتوكول الثامن :

يعهد بملء المناصب الخطيرة الى الناس الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم، كي تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم ، كذلك يوضع فى هذه المناصب الناس الذين اذا عصوا الأوامر توقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض أن هؤلاء سيدافعون بحماس عن المصالح اليهودية التى وضعتهم فى هذه المناصب وعرفت زلاتهم .

من البروتوكول التاسع :

لقد أصبحنا المشرعين من خلف الستار فنستطيع أن نقضى بإعدام من نشاء كما نستطيع العفو عمن نشاء .

نحن نسخر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب من رجال يرغبون فى إعادة إنشاء الملكيات وإشتراكيين وشيوعيين وحالمين بالمملكة الفاضلة . لقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ، وكل منهم بطريقته الخاصة يحارب القوانين القائمة ويقوض النظم الحكومية ببلده ، وسنرث فى النهاية كل هذه الحكومات .

لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه

من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها .

من البروتوكول العاشر :

إذا أوحينا الى كل فرد أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين وأهميتها التربوية ... وإذا إستطعنا أن نصل الى عصر جمهورى فسيمكننا أن نضع بدل الملك المقدس ناطوراً فى شخص رئيس لهذه الجمهورية . واختاره من الدهماء من بين مخلوقاتنا وعبيدنا ، وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفة أخرى مشينة . وإن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذى يتملك دائماً الرجل الذى وصل الى السلطة والذى يتلهف على أن يستبقى إمتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع .

بعد قيام الحكومة العالمية

من البروتوكول الحادى عشر :

من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت ، وهذا التشتيت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التى وصلت بنا الى عتبة السلطة العالمية .

من البروتوكول الثانى عشر :

كان دور الصحافة تهييج الغوغاء وإثارة الجدل الحزبى الذى كان ضرورياً

لمقاصدنا ، ولكن بعد انتصارنا يتغير كل شئ فسنقود الصحف بلجم حازمة ونسيطر على شركات النشر ونصادر الصحف والكتب التى لا تتمشى مع أغراضنا ونفرض على النشر ضرائب باهظة ونعطل الصحف التى تكرر نقدها لنا وسندس بين النشرات الهجومية نشرات من عملنا نحن ، ولكنها لن تهاجم إلا النقط التى نعتزم تغييرها فى سياستنا ، وسنسيطر على وكالات الأنباء بحيث لا يصل للمجتمع خبر دون أن يمر على إدارتنا .

وحينما نمكن لانفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أي دين غير ديننا وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية .

سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب لملء الفراغ وسندعو الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل انواع المشروعات كالرياضة والفن وما إليها .

من البروتوكول الثالث عشر :

إن الحاجة اليومية للخبز (لقمة العيش) ستكره الأمميين أن يقبضوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا الأذلاء ، وأن اولئك الذين نستخدمهم فى صحافتنا من الأمميين سيناقشون – بإيعاز منا – حقائق لن يكون من المرغوب فيه أن نشير إليها وسنلهى الجمهور بالمشاكل اليومية الإجتماعية عن المشاكل السياسة .

من البروتوكول الرابع عشر :

حينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض علينا أن نحطم عقائد الإيمان ونشرى الإلحاد وهذا يجعل الأجيال القادمة تصغى الى تعاليمنا على دين موسى وإخضاع كل الأمم تحت أقدامنا . وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأخرى .

وسنبرز محاسن حكمنا الجديد ونصور الأخطاء التى أرتكبها الأميون ونثير شعور الازدراء نحو منهج الحكم السابق حتى أن الأمم ستفضل حكومة السلام فى جو العبودية على حقوق الحرية التى طالما مجدوها .

من البروتوكول الخامس عشر :

سنعمل كل ما فى وسعنا على منع المؤامرات التى تدبر ضدنا حين نحصل نهائياً على السلطة متوسلين الى ذلك من الإنقلابات السياسية المفاجئة التى سننظمها . وسنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار وستكون هذه الخلايا المصادر الرئيسية التى نحصل منها على الأخبار . وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة نحن أصحابها .

وحينما يعانى العالم القَلَق فإنما يدل هذا على أنه كان من الضرورى أن نقلقه حتى نحطم صلابته ، وحينما تبدأ المؤامرات فإن هذا يعنى أن أحد عملائنا المخلصين يقوم على رأس هذه المؤامرة .

إن إختيار الله لنا شعباً مختاراً لأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين نقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأمميين ، وعندما يأتى الوقت الذي نحكم فيه جهاراً سيكون كل إنسان مسئولاً أمام السلطة العليا الوحيدة : أى سلطة الحاكم العالمى ، وأن سوء استعمال السلطة من جانب الناس سيكون عقابه بالغ الصرامة .

إن حكومتنا ستضفى مظهر الثقة الأبوية على شخص ملكنا ، ويوم يضع ملك اسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى أهدته له كل أوروبا سيصير البطريرك لكل العالم وسيكون ملكنا على إتصال وطيد بكل الناس وسيلقى خطباً من فوق المنابر تذاع فوراً على العالم . ويكون الإحساس بتوقير الملك بعمق فى النفوس يتم كل شئ بعنايته وتوجيهه وسيعترف الجميع فى النهاية به على أنه الحاكم المطلق ويصل توقيره الى درجة تقرب من العبادة .

من البروتوكول السادس عشر :

حين نستحوذ على السلطة سنبدأ من برامج التربية لنخرج أطفالاً طَيِّعِين يحبون حاكمهم ويرون فيه الدعامة الرئيسية للسلام والمصلحة العامة . وسنقوم بتدريس التاريخ القديم الذى يشتمل على أمثلة سيئة ونطمس فى ذاكرة الانسان العصور الماضية التى كانت تعلى الأخلاق والقيم ولا نظهر إلا الحقائق التى تبين أخطاء الحكومات فى ألوان بارزة فاضحة .

وقد عنينا عناية بالغة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين ، وان

نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوماً بعد يوم ونعمل على أن تسود حرية العقيدة فى كل مكان حتى تنهار المسيحية ، وأمر الديانات الأخري يسير ومناقشته اليوم سابـــق لأوانه . وحينما يحين الوقت لتحطيم البلاط البابوى سيصير ملك إسرائيل البابا الحق للعالم "بطريرك الكنيسة العالمية" .

من البروتوكول السابع عشر :

سنغير الجامعات ونعيد إنشاؤها حسب خططنا الخاصة وسيكون رؤساؤها وأساتذتها قد أعدوا إعداداً خاصاً ، وسيلته برنامج سرى متقن سيهذبون ويشكلون بحسبه ولن يستطيعوا الإنحراف عنه بغير عقاب ، وسيرشحون بعناية بالغة وسيكونون معتمدين كل الإعتماد على الحكومة ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خضر الشباب ذوى أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة أو ذوى اهتمام بالمسائل السياسة على الإطلاق . كما سنمحو كل أنواع التعليم الخاص (الجامعات لتلقين العلم فقط ولا محل للمسائل السياسية) .

من البرتوكول الثامن عشر :

سنختار وكلاؤنا من بين الطبقات العليا والدنيا على السواء من الإداريين والمحررين والكتبة والعمال والحوذية والخدم وسيكون واجبهم تقديم البلاغات والعمل كشهود .

وسنحدد نطاق غمل مهنة المحاماة وسنضع المحامين على قدم المساواة مع

الموظفين المنفذين ، والمحامون – كالقضاة – لن يكون لهم الحق فى أن يقابلوا عملاءهم وستعينهم المحكمة ، وسيكون أجرهم محدداً سواء كان الدفاع ناجحاً أو غير ناجح .

من البروتوكول التاسع عشر :

إن أية ثورة ضدنا ينبغى أن تصير كنباح كلب على فيل ، فليس على الفيل إلا أن يقوم بمثل واحد من التدمير حتى تكف الكلاب عن النباح وتشرع فى البصبصة بآذنابها عندما ترى الفيل . لكى ننزع عن المجرم السياسى تاج شجاعته سنضعه فى مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوى مع اللصوص والقتلة من الأشرار المكروهين المنبوذين .

من البروتوكول العشرين :

بحيلة وفق القانون سيكون حاكمنا العالمى مالكاً لكل أملاك الدولة . وأن الأزمات الإقتصادية التى دبرناها بنجاح فى البلاد الأممية عن طريق سحب العملة من التداول فتراكمت ثروات ضخمة ، وأضطرت الحكومات بدورها الى الإستنجاد بنا لإصدار قروض وضعت على الحكومات أعباء ثقيلة من الفوائد المالية أعجزتها عن السداد وضاعفت القروض .

من البروتوكول الحادى والعشرين :

إن القروض الخارجية قد ملأت خزائننا بأموال الأمميين بسبب فساد الإداريين والحكام الأمميين وجنينا أضعاف المال الذى قدمناه . فتلجأ الحكومات الأممية الى إصدار قرض داخلى تفتح إكتتاباً لسنداتها بقيمة منخفضة فيسرع الناس بالشراء وفى اليوم التالى ترفع سعرها كى يظل كل إنسان حريص على الشراء . وبعد فترة قليلة تظهر حقيقة الدين الكبير وتضطر الحكومة من اجل دفع الفوائد الى الإلتجاء الى قرض جديد لا يلغى دين الدولة بل يضيف إليه دين جديد .

من البروتوكل الثانى والعشرين :

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة وأعنى بها الذهب الذى ظللنا نكدسه خلال قرون كثيرة جداً وسيساعدنا فى غرضنا الصحيح لإعادة النظام تحت حكمنا ، وهذا قد يستلزم قدراً معيناً من العنف . وحين يعتصم العالم بقوانيننا سوف تكون الفرصة للسلام المفقود والحرية الضائعة وستخضع لنا كل الأمم .

من البروتوكول الثالث والعشرين :

يجب أن يدرب الناس على الحشمة والحياء (وكنا قبل الوصل الى الحكم قد فرضنا عليهم الفجور والإباحية) وسنقلل مواد الترف ونفرض الأخلاق التى أفسدها التنافس وسنتبنى الصناعات القروية كى نخرب المصانع الخاصة حتى

نضمن عدم تحريض عمالهم ضد الحكومة .

إن معاقرة الخمر ستكون محرمة كأنها جريمة ضد الإنسانية .

لقد كنا أفسدنا أخلاق الجمهور خلال سنين الفوضى ويجب أن يبدأ الملك الذى سيحل الحكومات القائمة بإطفاء نيران الفوضى وأن يدمر كل الهبات التى قد تكون أشعلت هذه الفوضى . إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله من نسل داود ومعينا من أعلى لكى يدمر كل الأفكار التى.تغرى بها الغريزة والمبادئ البهيمية التى إنتشرت تحت لواء الحق والحرية والتى دمرت كل النظم الإجتماعية وأدت بذلك الى حكم مملكة إسرائيل .

حينئذ سنكون قادرين أن نصرخ فى الأمم : "صلوا لله وإركعوا أمام هذا الملك الذى يحمل آية التقدير الأزلى للعالم" .

من البروتوكول الرابع والعشرين :

والآن سأعالج الأسلوب الذى تقوى به دولة الملك داود لتستمر الى اليوم الآخر . إن إسلوبنا لصيانة الدولة سيشتمل على نفس المبادئ التى سلّمت حكماءنا مقاليد الحكم أى توجيه الجنس البشرى – إن أعضاء كثيرين من نسل داود سيعدون ويربون الملوك وخلفاؤهم الذين لم ينتخبوا بحق الوراثة بل بمواهبهم وسيفقهون فيما لنا من مكنونات سرية سياسية وخطط للحكم . إنهم سيفقهون فى النتائج المستخلصة من نظامنا السياسى والإقتصادى وكل العلوم الإجتماعية . ولن يعرف خطط المستقبل إلا الملك الحاكم والثلاثة الذين دربوه فقط . ولن

يعرف أحد أهداف الملك حين يصدر أوامره ومن أجل ذلك لن يجرؤ أحد على أن يعترض طريقه السرى . ولكى يكون الملك محبوباً ومعظماً من كل رعاياه يجب أن يخاطبهم جهاراً مرات كثيرة ومثل هذه الإجراءات تجعل قوة الشعب وقوة الملك فى إنسجام تام .

نماذج لموضوعات عالجها التشريع اليهودى :

هناك تشريعات وردت فى أسفار موسى وتشريعات إجتماعية خطيرة وردت فى التلمود وتشريعات سياسية مهمة وردت فى بروتوكلات حكماء صهيون ونورد نماذج لبعض التشريعات المتصلة ببعض المسائل الهامة كموقف اليهودية من الرق ومن المرأة والاعتراف والميراث والمحرمات فى الزواج وبهذا نبرز المقارنة بين التشريع فى اليهودية والتشريع فى الإسلام .

الإعتراف :

فى الفكر اليهودى كل شهوه والحيض والولادة خطيئة تتطلب تطهيراً ذا مراسم وتقاليد وتضحية وصلاة على يد كاهن والهبات والقرابين بعد الإعتراف الكامل هى وسيلة التكفير عن الخطيئة .

الرق :

أباحت التوراة الإسترقاق بالشراء أو السبى فى الحرب ، وإذا افتقر يهودى يبيع نفسه ليهوى غنى بخدمه ست سنوات وفى السنة السابعة يخرج حراً .

ولليهودى أن يبيع إبنته فتكون أمة لليهودى الذى اشتراها .

الختان :

كان الختان سنّة شائعة عند المصريين للوقاية الصحية إقتبسها اليهود وجعلوها بدلاً من القرابين والضحايا البشرية التى تقدم للغفران وإرضاء الآلهة .

الميراث :

أول من يرث الميت ولده البكر فإن تعدد الأولاد فللبكر حظ إثنين أما البنت فلها النفقة والتربية حتى سن الثانية عشرة فقط وليس لها شئ بعد ذلك وعند اختلاف الدين يرث اليهودى أقاربه من غير اليهود ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودى .

النكاح وتعدد الزوجات :

سن الزواج للرجل الثالثة عشرة وللبنت الثانية عشرة ويمكن قبل ذلك لمن بلغ سن البلوغ . وإذا بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة . وتعدد الزوجات جائز بدون حد ومحرم الزواج ممن كانت زوجة العم أو زوجة الأخ إذا أنجبت ، وإذا توفى الرجل ولم ينجب فعلى أخيه أن يتزوج إمرأته وينسب إبنه البكر الى الأخ المتوفى لحفظ اسمه فى إسرائيل .

المرأة :

الزواج فى الشريعة اليهودية صفقة شراء فتعد الزوجة مملوكة لزوجها سيدها المطلق . وجميع مالها ملك لزوجها .

زيارة بيت المقدس :

يتحتم على كل يهودى ذكر رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين فى العام وأن يبقى كل مرة مدة أسبوع يبدأ يوم الجمعة .

* * *

الفصل العاشر

الشتات

عصر التشرد :

عقب سقوط دولة اسرائيل (السامرا) تحت أقدام الأشوريين بقيادة سرجون الثانى سنة ٧٢٢ ق٠م. تفرق سكانها اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولم يعد لهم في التاريخ ذكر ٠ أما دولة يهوذا فبعد أن دهمها نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ق.م. وخربها وهدم المعبد ساق اليهود أسرى وعبيداً الى شرق الفرات ٠ وفى سنة ٥٣٨ ق٠م تولى قورش عرش فارس وتزوج من استير اليهودية وسمح لليهود بالعودة الى فلسطين سنة ٥٣٦ ق٠م فعاد منهم الكثيرون الى اورشليم تحت حكم الفرس ، الي أن غزا الإسكندر المنطقة وهزم الفرس وأصبحت فلسطين تحت حكم البطالمة فى مصر ثم تحت حكم الرومان سنة ٦٣ ق٠م ٠

اليهود تحت حكم الإغريق ثم الرومان :

بعد وفاة الإسكندر المقدونى بسط البطالمة سلطانهم على الشام الكبير بما فيه فلسطين مدة ١٣٠ سنة (من ٣١٨ : ١٩٨ ق٠م) وقد ترك الحكم الإغريقى بصماته على الحياة اليهودية ، فنشأت منهم ناشئة تسخر من الكهان ومن المعبد ومن حياة التقوى المزيفة التى يدعو اليها يهوه : رب اليهود وغرقوا فى

اللهو وفتنتهم فلسفة اليونان بما تحوى من شك ومن المجادلة وإغراق فى الملذات الدنيوية والألعـــاب الرياضية • وهكذا فرضت على اليهود العبادة الإغريقية وتحول معبد سليمان الى معبد اغريقى ، وشجع البطالمة اليهود على الهجرة الى الإسكندرية عاصمة مصر والتى أصبحت من أكبر موانى البحر الأبيض المتوسط واشتغل كثير من اليهود بالتجارة بعد أن تعلموا من الفينيقيين ، وظل يهود أورشليم فى صراع مستمر بين السلوقيين والرومان أصحاب القوة فى سوريا وشمال فلسطين وبين البطالمة أصحاب القوة فى جنوب وغرب فلسطين وكان الشماليون المنتصرون يقتلون اليهود ويدمرون المعبد وينهبون كنوزه • وكل من يوجد من الأطفال مختونا يعدم هو وأمه وكل من يمتنع عن العمل يوم السبت يعدم وأحرقت التوراة وكل ورقة تتصل بها •

وفى سنة ١٤٢ ق•م تولى حكم يهود اورشليم حاكم وكاهن قوى هو سيمون المكابى الذى حاول أن يمد رقعة الأرض التى يعيش عليها اليهود فوصل نفوذه الى آدوم وموآب والجليل ثم الى غزة فى الجنوب • وما لبث أن دب الخلاف بين ورثته – بعد سبعين سنة – فهاجمهم القائد الرومانى بومبى من دمشق ودخل أورشليم وذبح من اليهود ١٢ ألف •

واختار الرومان لليهود حاكماً منهم "هيرود" الذى خضع تماماً لسادته الرومان وهدم الهيكل القديم وبنى هيكلاً جديداً زينه بالذهب والفضة وملأه بالتماثيل الإغريقية والرومانية العارية تزلفاً لسادته الجدد خلافاً للشريعة التى تمنع الصور المنحوتة •

ومات هيرود سنة ٤ م بعد أن قسم مملكته (تحت حكم الرومان) بين أولاده الثلاثة • وسرعان مانشبت الخلافات بينهم فتحركت حملة تأديبية رومانية من دمشق اجتاحت مدن اليهود وقراهم وخربتها وأحرقت الهيكل ونهبوا كنوزه وقتلوا أعداداً كثيرة وأخذوا ٣٠ ألف أسير باعوهم فى أسواق الرقيق •

كان اليهود قد أوغلوا فى الكفر وتأثروا كثيراً بالمعبودات الوثنية التى حولهم وكان كهانهم متزمتين متشددين فنالوا كراهية الشعب وكانوا رغم تزمتهم يغيرون فى الشريعة ويأتون بالجديد فى التوراة حسب أهوائهم • وطبيعة الشعب اليهـــودى التمرد ، فلما فرضت عليهم عبادة روما الوثنية تمردوا على تعاليم روما وسلطانها وهكذا هم يتمردون على كل جديد ويتمسكون ببعل وبعليم ولفظت قلوبهم دعوة التوحيد •

يوحنا المعمدان •• والمسيح عليه السلام :

وظهر من بين اليهود ناسك صوفى إسمه يوحنا وكان لسانه حاداً ونذره قوية وبشر بقدوم المسيح لهداية بنى اسرائيل •

ولادة المسيح عليه السلام :

وولد المسيح وهيرود ملك اليهود يدين للرومان بالطاعة • وقد سمع من المجوس أن المسيح يوشك أن يظهر وصدق هيرود النبوءه فأمر بقتل الأطفال الرضع حتى سن عامين ونجا يسوع المسيح – عليه الصلاة والسلام – من هذه المجزرة

فجاءت به أمه الى مصر ، البلد المضيافة رحبة الصدر المتسامحة شأن الشعوب الأصيلة المتحضرة ٠

وهكذا مصر دائماً ٠ كانت موئلاً لإبراهيم وسلالته حتى موسى وهى هنا تحتضن داعى المسيحية حتى يأذن الله ويبلغ رسالة ربه وكذلك صنعت بدعوة الإسلام عندما بلغتها أول مرة ، وعندما دهمت العالم دواهى الغزو الساحق من التتار من الشرق ٠٠ وحين جاءته جحافل الصليبيين من الغرب ٠٠ بالصمود والتضحيات الغالية دفعت مصر الثمن وإنتصرت عقائد السماء وتوفرت لها الحماية والرعاية ٠ وهذا قدر مصر على مر التاريخ ٠

وتمضى فترة شباب المسيح لا يكاد يعرف عنها شيئاً ، ويأتى وهو شاب الى نهر الأردن لينال التعميد على يد يوحنا الذى يدهش ويقول : أنا محتاج أن أتعمد منك وأنت تأتى الىّ وما أن خرج من الماء حتى رأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السماء قائلا "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت"

ولم يمض وقت طويل على هذا اللقاء بين يوحنا والمسيح حتى أمر حاكم الجليل بالقبض على يوحنا لأنه انتقد زواجه من ابنة لأخيه ، وتأتينا في إنجيلى متى ومرقص قصة سالومى التى رقصت للحاكم رقصة أذهلت لبه وطلبت مكافأتها رأس يوحنا ، وهكذا ذهب الرجل الصالح فى لهو حاكم عربيد ظالم وامرأة ساقطة ٠

ومضى المسيح - عليه صلوات الله وسلامه - يدعو اليهود الى المحبة والتسامح ونبذ الكراهية والأحقاد ۰۰۰ الحب بغير دماء وآلام ومذابح ، وألا يعبدوا مع الله الهاً آخر ۰۰۰ المال والذهب والفضة ۰ وقد ارتكب اليهود فى سبيله كل آثام الدنيا ۰

ثلاثون من الفضة :

ولما أذنت حياة المسيح - عليه السلام - الى نهاية سخّر له القدر أحد تلاميـــذه - يهوذا الاسخريوطى - كى يشى به ويدل على مكانه مقابل ثلاثين فضة وقد أوفد رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود جمعاً كبيراً يحملون السيوف والعصى وقبضوا على المسيح وهرب تلايمذه وساقوه الى "قيافا" رئيس الكهنة ۰

وبدأت محاكمة المسيح ، فلما قال لهم : "الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآيتا على سحاب السماء" مزق رئيس الكهنة ثياباً وحكم على يسوع بالتجديف دون سماع الشهود وصاح اليهود فى كل مكان : انــه مستوجـــب الموت ، حينئذ بصقوا على وجهه ولكمـــوه وآخـــرون لطمـــوه وساقـــوه الـــى الحاكـــم - بيلاطس من قبل الرومان - موثوق الكتاف ليمضى فيه الحكم ۰

ويبدوا أن يهوذا ندم على خيانته فرد للكهنة الثلاثين فضة وانتحر ۰ وأراد الحاكم الرومانى أن يطلق سراحه لرؤيا رأتها زوجته ولعلمه أن رؤساء الكهنة يتحركون ضده ، رفض الكهنة جميعاً وصاحوا ليصلب ، وهذا هو نص انجيل

متى اصحاح ٢٧ فاجاب جميع الشعب وقالوا "دمه علينا وعلى أولادنا" •

وقد أراد اليهود المحدثون تحوير هذا النص بموافقة المجامع الكنسية في الفاتيكان ومن الغريب نجاحهم فى ذلك ثم اعتراف الفاتيكان – رأس الكنيسة الكاثوليكية – بدولة إسرائيل ...

نهاية اليهود فى فلسطين :

كانت اورشليم فى القرن الأول الميلادى أشبه بأتون يغلى ، الحكم فاسد يتولاه يهود تحت اشراف الرومان ، والغلاء والبلاء والفقر والمرض والفوضى تسود كل مكان وأخذت العصابات تهاجم الأغنياء حتى حدثت فى يوم واحد عام ٦٨ م مجزرة قتل فيها اليهود ١٢٠٠٠ اثنى عشر الف يهوديا من أهل اورشليم تضم اغنياءهم وحاصروا حامية رومانية صغيرة وأبادوها •

وفى نفس اليوم حدثت مجزرة أخرى فى بلدة قيصرية التى تضم يهوداً وغيرهم وهزم اليهود وقتل منهم فى يوم واحد عشرون الفاً وبيع الآف غيرهم رقيقاً وفى دمشق ذبح أهلها عشرة الآف يهودى ورد اليهود بحرق المدن •

وتحرك الجيش الرومانى لقمع هذه الفتن وحاصروا اليهود فى كل مكان ومنعوا عنهم الطعام والماء واستولى القائد الرومانى تيطس على اورشليم سنة ٧٠م وحرق الهيكل الذى بناه هيرود وأسر ٩٧ ألف يهودى قادهم الى ملاعب الرومان فى روما ودمشق وبيروت وغيرها ليتسلى بهم مشاهدوا الأسود وهى تفترس

الآدميين ٠٠ وشتت اليهود الباقين في أنحاء الأرض وتقرر حظر عودة أى يهودى الى فلسطين ٠ وظل اليهود مبعدين عن فلسطن الا المتسللين منهم ٠

وفى سنة ١٣٥م حاول بعض هؤلاء المتسللين والمخلفين من اليهود إثارة الشعب على الحامية الرومانية فى أورشليم إلا أنهم أبيدو عن آخرهم وأمر الحاكم الرومانى بحرث أرض المدينة وزراعتها وأقام على موقعها مدينة جديدة أسماها "ايليا" على اسم الإمبراطور الرومانى فى ذلك الوقت "اليوس هادريانوس" وأقيمت فى المدينة الجديدة المعابد للآلهة الرومانية والملاعب والمسرح والحمامات٠ وتقرر حظر دخول أى يهودى الى فلسطين ومنذ لك التاريخ سنة ١٣٥م وحتى سنة ١٩٤٨ ظل اليهود مبعدين عن فلسطين ٠

كانت سنة ١٣٥م نهاية حياة اليهود فى فلسطين فساحوا فى الأرض وتشتتوا فى قبرص ومصر وبلاد العرب وشمال افريقيا واوروبا وبدأ لهم عصر تشرد طويل كان له أثر بالغ فى سلوكهم وتصرفاتهم ٠

كانوا يرون فلسطين وطناً لهم ٠٠ ولكنهم فقدوا الوطن ٠

كانوا أمة متجمعة ٠٠ فأصبحوا أشتاتاً هنا وهناك ٠

كان لهم هيكل يتعبدون به ويقدمون بمذبحه القرابين – ولكن الهيكل والمذبح دمرا ٠

كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار ... ولكنهم سرعان ماوجدوا أنفسهم شعباً مضيعاً مكسور الجناح .

وهكذا كان اليهود أعداء لكل الأوطان ولكل من لهم وطن وكأنما لسان حالهم يقول :

لماذا فقدنا - دون الناس - وطننا ؟

لماذ نشرد والناس مستقرون ؟

وترتب على ذلك أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به وعاشوا منعزلين فى حارات ضيقة خاصة بهم تعرف باسم "الجيتو" وكان مجتمع اليهود مصدر الخيانات والمؤامرات ضد كل بلد نزلوا به ، وهذا ما إستشعره فرعون مصر اذ لم يعتبر بنى إسرائيل جزءاً من قومه فرغم حياتهم فى مصر أكثر من أربعة قرون عاشوا فى عزلة عن الشعب المصرى لأنهم جاءوا لمصر لا ليقيموا ويندمجوا بل ليخرجوا منها بعد أن تتجمع لهم فى مصر قوة المال وكثرة العدد وهذا ما قاله لهم ربهم "يهوه" أنا أنزل معك الى مصر وأنا أصعدك أيضاً . وهذه هى طبيعتهم التى جربها الألمان فى الحرب العالمية الأولى حين تآمرت الصهيونية مع الحلفاء علي إثارة اليهود الألمان ضد الوطن الذى آواهم فألقى الحلفاء من الجو على المدن وثيقة بلفور إيذاناً لهم بأن يقوموا برسالتهم التاريخية ... رسالة الغدر الوطنى

وفى روسيا فى القرن التاسع عشر كان يعيش أكثر من نصف يهود العالم ولكنهم عاشوا طفيليين وكانوا خونة ومرده على القوانين ، فالفقراء منهم فتحوا

الحانات وتاجروا فى الخمر والأغنياء اشتغلوا بالربا الفاحش والتجار اصطنعوا الغش والحيل لكساد تجارة الغير والعمال عملوا بأرخص الأجور حتى يوقعوا العمال الآخرين فى الشطط وتهربوا جميعاً من التجنيد بوسائل متعددة وصلت الى حد تشويه أجسادهم ٠

ولم ينس اليهود أن داعية المسيحية الأكبر كان من بينهم وأنهم أنكروه ودبروا صلبه بأمل القضاء علي أفكاره ، ولكن مالبث مشتتوهم فى قبرص أن دبروا – بعد نهاية القرن الأول للمسيح – مذبحة هائلة فى سلامس كبرى مدن قبرص فى هذا الوقت ، وفى الإسكندرية عاصمة مصر ، وكان المسيحيون هدف هذه المذبحة ونجحوا فى قتل ١٦٠ الف مسيحى وهدم مدينة سلامس التى ماتزال بعض آثارها تشهد على وحشيتهم حتى الآن ٠

وهكذا اليهود أينما وجدوا وملكوا فرصة على غيرهم من أى دين كان ، أن ينتقموا ويدسوا فإذا استطاعوا قتلوا وأبادوا ٠٠٠ هذه طبيعتهم التى لا تتغير رغم تقدم الزمن ومايحدث فى فلسطين اليوم ليس غريباً عليهم ، وسيكون مصيرهم كما كان فى تاريخهم القديم ٠

وتشرد اليهود فى أنحاء العالم وانتشرت المسيحية في أرجاء الأرض وكان اليهود فى كل بلد عاشوا فيه خطراً داهماً على المسيحيين يستحلون المال الحرام بكل الوسائل ويكدسونه فى خزائنهم ويطلبون الدم المسيحى لأغراض طقوسهم الدينية ، فكانوا يسرقون الأطفال المسيحيين ويقتلونهم لهذا الغرض والتاريخ

يحكى كثيراً من هذه المآسى المحزنة وإنتشرت الإشاعات من بلد الى بلد تعدد جرائمهم • قد كان ذلك فى ذاكرة عامة أوروبا يمثل أكثر من مجرد البلاء الاقتصادى •• فقد كان يمثل العدو الخبيث الخطر الذى يسعى أبد الدهر ليحطم كلاً من جسم المسيحى وروحه •

وكانت النتيجة أن أنزل بهم العالم ضربات قاصمة وعقوبات صارمة شملت التنكيل والطرد والسجن ومصادرة الأموال • ويقرر هوسمر HOS-MER أن كل الأمم المسيحية إشتركت فى إضطهاد اليهود وإنزال مختلف العنت بهم وكانت القسوة معهم تعد مأثرة مما ضاعف من حقد اليهود وارتفعت أصواتهم بالشكوى مما سموه ظلما واضطهادا ولم يكن فى الواقع الا نتيجة لانحرافهم وخياناتهم •

وتكررت هذه الدورة فى كل مكان عاش فيه اليهود ، حقد ومؤمرات وخيانات من اليهود : فانتقام منهم وعدوان عليهم من أهل البلاد ، فصياح وشكوى وأنين ••••

واليهود خونة وجواسيس فى كل بلد عاشوا فيه • ففى سنة ٦١٤م احتل كسرى أورشليم (ايليا) وأمر "خزرويه" قائده بذبح سكانها المسيحيين وهدم الكنائس ومنها كنيسة القيامة وكان اليهود عيون وجواسيس الفرس الوثنيين وساعدوا بدورهم فى المذبحة وفى إرشاد الفرس الى مخابئ المسيحيين • ولكن لم يمض وقت طويل حتى هزم الفرس سنة ٦٣٠م واسترد صليب المسيح وأطلق

سراح "زكريا" بطريق بيـــت المقدس • وعندما وصل الى طبرية قابله وفد من اليهود يحملون له أكداسا من الهدايا من الذهب والجواهر فاقت كل ماحصل عليه من غنائم الحرب مع الفرس كى يأخذوا منه العهد بأن لا يعاقبهم على تعاونهم مع الفرس - وهذه عادتهم فى خدمة كل سيد - ولكنه بعد وصوله بيت المقدس وسمع شكوى أهلها مما صنعه معهم اليهود لم يحفل بعهده مع اليهود وبدأت مذابح الإنتقام تحصد أرواح اليهوه فى فلسطين وفى كل مكان فى دولة الروم إلا من هرب وإستطاع الإختفاء •

وفى عام ٦٣٤م بدأت القوات العربية الاسلامية فتح فلسطين وبلاد الشام وقد تم فتح بيت المقدس سنة ٦٣٦م وقد اشترط البطريق "سفرونيوس" ألا يتم تسليم المدينة الا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد أعطى الخليفة عهداً وأماناً هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

"هذا ماأعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان • أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم • سقيمها وبريئها وسائر ملتها • أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ، ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود •

وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية ، كما تعطى أهل المدائن • وعليهم

أن يخرجوا منها الروم واللصوص • فمن خرج منهم فهو آمن • وعليه مثل ماعلى أهل ايلياء من الجزية •• ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم •• فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ماعلي أهل ايلياء من الجزية • ومن شاء سار مع الروم • ومن شاء رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم حتى يحصدوا حصادهم."

"وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الحلفاء والمؤمنين ، اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية •"

كتب سنة ١٥ للهجرة •

"شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان "

وضح من الفصول السابقة أن وضع اليهود فى البلاد التى نزلوا بها كان وضعا قلقا اذ كانوا يكونون طبقة خاصة تعيش فى عزلة عن باقى الطبقات ومعادين للجميع ويبحثون عن سيد يمشون فى ركابه ولا يتورعون عن خيانته لو ظهر سيد جديد أقوى •• كل ذلك فى سبيل العودة إلى أرض الميعاد •• فلسطين •

الحروب الصليبية ودور اليهود فيها :

وجاءت الحروب الصليبية فى آخر القرن الحادى عشر الميلادى ، وفى الجولة الأولى استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس وعلى شريط ساحلى ضيق ، ويتضح من دراسة هذه الحروب أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين وكانوا من الأسباب الخفية التى دفعت بالصليبيين لغزو الأراضى المقدسة ، فقد رأى اليهود أنهم عجزوا عن العودة الى البلاد المقدسة بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين • واتخذ اليهود المال وسيلة لهم فأخفوا مشاعرهم الدينية والوطنية خلف المال ، اذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالى للبحر المتوسط فأمدوا الصليبيين بالمال ليقوموا بهذه الحملات باسم الصليب لفتح طريق التجارة الى الشرق ، ولكن الشعار اليهودى كان فى الحقيقة أقوى من المال وأقوى من الصليب ، ولكن سرعان ما إستعاد صلاح الدين بيت المقدس وسقطت البلدان الأخرى فى يده ويد خلفائه من بعده ، وقد خلص الصليبيون وحلفاؤهم أثرياء اليهود الى نتيجة واحدة هى أنهم لن يستطيعوا تثبيت أقدامهم فى الشرق إلا إذا أمكنهم اخضاع مصر وكانت هذه النتيجة هى سبب حملة لويس التاسع على مصر ثم حملة نابليون وأخيرا الاحتلال الانجليزى الذى تم بالغدر والخيانة ومن ثم توطدت علاقات ملوك وأمراء أوروبا وأغنياء اليهود ضد الشرق وسكانه العرب المسيحيون والمسلمون وأخذت مشاعر الكراهية والازدراء تخف تجاه اليهود شيئاً فشيئاً ويربط بينهم الطمع فى ثروات الشرق وموقعه وسط الدنيا • وكلما إزداد غنى اليهود وتكدست الأموال فى خزائنهم كلما زادت سطوتهم وعظم سلطانهم حتى أصبحوا يسمون ملوك المال وسادة البنوك فى العالم

وبحلول القرن الثامن عشر وبينما كان اليهود يعيشون فى تردد بين التشرد مع المال أو المغامرة وحلم العودة الى فلسطين ظهر طامع جديد يعنيه أمر الشرق بما فيه فلسطين ، ذلك الطامع الجديد هو الاستعمار الأوروبى فتحالفاً معاً لتحقيق الغرض المشترك وهو الإستيلاء على أرض الشرق وثرواته وعودة فلسطين الى اليهود ٠

ومن أجل هذا الغرض تم الاتفاق بين اليهود وبين نابليون بونابرت على أن يمنحهم فلسطين ويمنحونه السيادة ، ليضرب مصالح انجلترا في الشرق ، ولكن سرعان ماهزم نالبيون وعاد الى بلاده ،، وراح اليهود يبحثون عن سيد جديد ٠٠ واتجهوا الى إنجلترا التى ساعدتهم كثيراً لتحقيق أملهم ٠ وسيطروا على القوى الجديدة فى إنجلترا وفرنسا والمانيا بما يمتلكون من أموال وتأثير كبير على الصحافة ودور النشر ٠

وتوطدت علاقات اليهود وقوى الإستعمار وباستغلال الشركات اليهودية لثروات البلاد المستعمرة المقهورة تضخمت ثروة الشركات وسيطرت بنفوذها على سياسة بلادها المستعمرة ٠

وفى أوائل القرن التاسع عشر كانت الامبراطورية العثمانية – دولة الخلافة الإسلامية – تعانى الضعف الشديد من أثر الفساد والتحزب ، وكانت هناك قوة فتية جديدة تأخذ مكانها فى الشرق الاسلامى قوة مصر أثناء حكم محمد على الذى اتسع سلطانه وبسط نفوذ مصر على السودان وفلسطين وسوريا وهدد دولة

الخلافة نفسها ، فاتحدت أوروبا ، إنجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وروسيا وتركيا أيضاً ، وفاجأ الاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط الاسطول المصرى أثناء رسوه فى خليج نفارين باليونان وحطمه وأثارت القوى المتحالفة بالخديعة والغدر الشعب فى سوريا ضد الوجود المصرى ونزلت بقواتها فى سوريا وأجبرت محمد على على الإنسحاب من سوريا وكان من شروط الصلح أن يكتفى محمد على بحكم مصر وألا يزيد عدد الجيش المصرى على ١٨ ألف جندى ، وبعبارة أصح القضاء على فكرة نشوء دولة قوية فى الشرق ٠ وجاء من بعد محمد على اسماعيل وكان حاكماً ذكياً وقوياً وظن أنه يمكنه بحسن علاقاته مع دول أوروبا – القوى العالمية الجديدة – أن يحقق مافشل جده فى تحقيقه ومد سلطان مصر فى افريقيا فوصل الى منابع النيل والى الصومال على ساحل المحيط الهندى ، وكان إسماعيل محباً للفخامة والترف ، فأنشأ فى مصر القصور الضخمة وحديقة الأسماك وحديقة الأورمان ونشر العمران كما شجع الحياة الدستورية وأنشاء الجمعية الوطنية من نواب الشعب وكان يريد ويتمنى أن تصبح مصر قطعة من أوروبا ٠ فاستدان من البنوك الأوروبية اليهودية مما أعطى دول أوروبا فرصة التدخل فى شئون مصر الداخلية وأجبر اسماعيل على بيع حصة مصر من أسهم شركة قناة السويس لتسديد بعض ديونه وقد اشتراها "درزائيلى" رئيس وزراء انجلترا فى هذا الوقت أثناء حكم الملكة فكتوريا سنة ١٨٧٥ بمبلغ أربعة ملايين جنيه استرلينى اقترضته الحكومة الانجليزية من المليونير اليهودى الإنجليزى روتشيلد ، وما لبثت إنجلترا – بحجة ضخامة الدين المصرى وعدم قدرة إسماعيل على السداد وبمساعدة الدول الدائنة – أن أجبرت إسماعيل على

التنازل عن الحكم لإبنه توفيق – وكان توفيق بشهادة المقربين منه يعانى شيئاً من البلاهة وبعض التخلف – وقام الجيش المصرى بقيادة قائده أحمد عرابى محاولاً إصلاح إدارة الحكم وتثبيت الحكم الدستورى فى البلاد – سبتمبر ١٨٨١ – وأخذت انجلترا تدبر المكائد وتثير توفيق ضد مطالب الشعب حتى هاجمت الاسكندرية وأنزلت قواتها وتقدمت الا أن القوات المصرية فى كفر الدوار تصدت للقوات الإنجليزية وأوقفت تقدمها ، وتقدمت إنجلترا باسطولها فى قناة السويس – رغم القانون الدولى – ونزلت بقواتها فى الإسماعيلية وأسرع عرابى بتجهيز دفاع مصر فى منطقة التل الكبير واستطاع إيقاف الجيش الإنجليزى وانتصرت القوات المصرية بقيادة اللواء طلبه باشا فى معركة المحسمة وكبدت القوات الانجليزية خسائر كبيرة ، إلا أن خيانة توفيق وفقدان البصيرة من دولة الخلافة أغرت بعض الخونة أمام المناصب المرتقبة وبريق الجنيهات الذهب الإنجليزية على خيانة مصر البلد الذى آواهم ورباهم ٠٠ وهكذا سقطت مصر تحت الاحتلال الانجليزى فى سبتمبر ١٨٨٢ وضاع أمل انشاء قوة إسلامية فى الشرق كان يمكن أن يكون لها شأن كبير لو تمت ٠

وراح الأمل فى بناء قوة إسلامية تحفظ عرض الاسلام وتقف أمام الحقد اليهودى الصليبى المشترك ضد الاسلام ، وبسقوط مصر سقط الشمال الإفريقى كله تحت الإحتلال الأوربى فكانت فرنسا قد إحتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ وتونس سنة ١٨٦٠ والمغرب سنة ١٩١٢ وإحتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١ ومن قبل ضاعت الإمبراطورية المصرية فى أفريقيا ٠

والقصة لم تبلغ نهايتها بعد ومازال المشوار طويلاً ولكن كان لا بد أن نلقى نظرة على مايجرى فى المحيط الدولى وماتدبره القوى اليهودية والصليبية لتحقيق الحلم المشترك ·· ضد العالم الإسلامى ·

* * *

الفصل الحادى عشر

الوكالة اليهودية

تيودور هرتزل :

فى أواخر القرن التاسع عشر قام الصحفى اليهودى النمساوى "تيودور هرتزل" (١٨٦٠ : ١٩٠٤) بقيادة الحركة الصهيونية ووضع كتاباً سنة ١٨٩٥ – الدولة اليهودية بين فيه أهدافها التى تتلخص فى تجميع اليهود وتوطينهم فى دولة يهودية خالصة : وعقد مؤتمر بال فى سويسرا ضم كبار شخصيات اليهود من الكتاب والصحفيين وممثلى رؤوس الأموال سنة ١٨٩٧ ، وحدد هرتزل أهدافه بقوله : "إننا اجتمعنا هنا لكى نضع حجر الأساس للمبادئ التى تجمع الشعب اليهودى" ، وسرعان مايسيطر شعور اليهود الشرقيين (الروس والبولنديين بوجه خاص) على هذا المؤتمر وكان هؤلاء يتمسكون بأن يكون مأوى اليهود فى أرض فلسطين بالتحديد فاتخذ المؤتمر القرار التالى :

"إن أمانى الصهيونية هى إنشاء وطن للشعب اليهودى يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ، ويصبح الشعب اليهودى بإنشائه فى مأمن من الإضطهاد ، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين".

ومن أخطر المقررات السرية لمؤتمر بال تلك التى سميت بروتوكولات حكماء صهيون – وتكلمنا عنها بالتفصيل من قبل – وتوالت المؤتمرات وكانت

خلاصة نتائجها تدور حول : كيف يمكن لليهود إستعادة فلسطين ؟ فإتفقوا على أن هذا يستلزم جهدين : جهداً داخلياً يرمى الصهيونيون من ورائه الى تنظيم أنفسهم وإعدادها لاستعادة فلسطين ، وجهداً خارجياً يرمى الى البحث عن دولة تساعدهم على تحقيق ماتصبو إليه نفوسهم ٠

أما من الناحية الأولى فقد أنشأوا جهازاً إدارياً دقيقاً لجمع المال وظهرت جمعية عشاق صهيون لنشر اللغة العبرية والدعوة الى تكوين مستعمرات زراعية فى فلسطين ، وذلك بشراء الأرض من العرب مهما بلغ سعرها ، ودفع أكبر عدد من اليهود للهجرة الى فلسطين بحيث يصبحون أغلبية بأسرع مايمكن ، واشترك أغنياء اليهود بسخاء فى تمويل هذه المشروعات وبخاصة المليونير روتشيلد الذى فتح خزائنه لهذا الغرض دون حساب ٠

كما إستغل هرتزل سماحة الإسلام الذى كان اليهود يعيشون فى ظلها بسلام وأمان ، وفكر فى إستغلال عطف أكبر شخصية اسلامية فى هذا الوقت الخليفة السلطان عبد الحميد وقابله فى مايو ١٩٠١ ومرة ثانية فى اغسطس ١٩٠٢ وحاول فى المرتين إقناعه باستدرار العطف تارة وباغراء المال والإغراءات الأخرى التى تدعم حكم السلطان ، ولكن جميع محاولات هرتزل فى الحصول على وعد من السلطان باستيطان اليهود فى فلسطين أخفقت ووقف السلطان بعناد وثبات ضد أطماع الصهيونية التى كانت تسعى الى تهويد فلسطين

وأما من الناحية الثانية فقد درس اليهود أحوال القوى الإستعمارية المتصارعة

لينحازوا للمعسكر الذى يتفق مع أغراضهم ووجدوا فى إنجلترا خير حليف لهم حيث يعمل رأس المال اليهودى والصحافة ودور النشر اليهودية ويمارسون ضغطاً شديداً على الرأى العام والحكومة الإنجليزية ، فنشأت فكرة منح اليهود حق إقامة دولة لليهود فى أوغنده إلا أن المؤتمر اليهودى السادس الذى إنعقد سنة ١٩٠٣ رفض المشروع وأصر على فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود ، ومات هرتزل سنة ١٩٠٤ وخلفه فى قيادة الحركة الصهيونية وايزمان الزعيم الجديد الذى أعلن ارتباط مصالح اليهود بمصالح إنجلترا وانضم صراحة لمعسكرهم •

وفى سنة ١٩٠٧ تولى "كامبل بنرمان" زعيم حزب الأحرار رئاسة الوزارة فى بريطانيا فقام بتشكيل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة تضم بعض الأعضاء من دول أخرى وحدد بنرمان مهمة اللجنة فى خطاب جاء فيه :

"إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر إلى حد ما. ثم تتحلل رويداً رويداً وتزول . والتاريخ ملئ بمثل هذه الأمثلة ، وهى لا تتغير بالنسبة لأية إمبراطورية أو أمة فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها • فهل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الإستعمار الأوروبى وانهياره أو تؤخر مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن أصبحت أوروبا قارة قديمة إستنفدت مواردها وشاخت معالمها بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ؟"

تقرير لجنة بنرمان :

ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طوال سبعة شهور ثم قدموا نتيجة أبحاثهم فى تقرير سرى خاص الى وزارة الخارجية البريطانية وهذه مقتطفات منه

"إن الخطر ضد الإستعمار فى آسيا وفى أفريقيا ضئيل ، ولكن الخطر الضخم يكمن فى البحر المتوسط ، وهذا البحر همزة الوصل بين الغرب والشرق .. وحوضه مهد الأديان والحضارة ويعيش فى شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط . هذا فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية .

فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانيات الثورة الصناعية الأوربية وانتشر التعليم بها وارتقت الثقافة ؟

إذا حدث ماسلف فستحل الضربة القاضية حتماً بالإستعمار الغربى ، وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى :

١- على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة .. وتأخرها .. وإبقاء شعبها على ماهو عليه من تفكك وتأخر وجهل .

٢- ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الأسيوى .

وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشرى قوى وغريب يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة . وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للإستعمار وعدو لسكان المنطقة •

وإتماماً لهذه الدراسة التى ظهرت فى وثيقة لجنة بنرمان نضيف مجموعة من الحقائق المهمة مستقاة من أبحاث كبار المؤرخين الغربيين الذين عنوا بشئون الشرق الأوسط وهذه الحقائق هى :

أولاً : أن موقع الدول العربية بالشرق الأوسط وبخاصة مصر وقناة السويس يشكل نقطة حيوية فى التخطيط الإستعمارى ، ففى طريق هذه المنطقة يتم إتصال إنجلترا بمستعمراتها فى الهند والشرق الأقصى وأستراليا ويتم اتصال فرنسا بالهند الصينية وهولندا بأندونيسيا والبرتغال بجوا ، ومن هنا كانت مصر هى الباب الى المستعمرات .

ثانياً : انضمت الولايات المتحدة وكندا الى هذا الإتجاه ، أما الولايات المتحدة فقد دفعتها الصهيونية بما لها من نفوذ طاغ فى البيت الأبيض وفى الكونجرس ولدى كل السلطات الحاكمة فأعلنت إرتباطها بأوروبا ضد الخطر الشيوعى الذى يهدد الجميع وأنها تساند مستقبل أوروبا ومخططها وتشارك فى تحمل أعباءها وأنه لا عودة لعزلتها أبداً فهى تشكل إنتحاراً بالنسبة لها •• أما كندا فهى أكثر احساسا بمشاكل الغرب بسبب إرتباطها الوثيق بإنجلترا •

ثالثاً : يقول كارل بروكلمان أن الخبراء الإنجليز أكدوا أن النظرية التى

طالما برهن التاريخ على صحتها تقول أن التحكم فى مصر لا يتم إلا من قاعدة سورية ، ومن هنا أصبحت فلسطين – وهى أصلاً جزء من سوريا – ضرورة للسياسة الغربية ٠

رابعاً : أن الإستعمار أو الإحتلال أو الإنتداب أو غيرها من المسميات لا تفى بالمطلوب بالنسبة لهذا الموقع بالذات ، فحركات التحرر به لا تهدأ عرفها الفرنسيون إبان حملة نابليون وعرفها الإنجليز منذ حملة رشيد ومنذ التل الكبير ، ومن أجل هذا إتجهت الجهود الى شئ آخر غير الإستعمار والاحتلال والانتداب بالنسبة لفلسطين ، وذلك هو استعمار الابادة وتحويل فلسطين من بلد عربى الى بلد غربى على نحو ماتم فى أمريكا وأستراليا ونيوزيلندا وعلى ماجرى فى جنوب افريقيا ٠٠٠ على أن يتخذ الإستعمار والاحتلال والانتداب وسيلة لهذا الغرض ٠

وبدأ خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع البحث عن كيفية تحقيق هذا الغرض وإتجهت أنظارهم الى اليهود ، ففلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس وحلم حياتهم ٠٠ وقد عانوا ألواناً من الإضطهاد والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المال وتكديسه والشرق فيه غنى وفيه تخلف صناعى مما يهيء سوقاً رائجة لأية دولة صناعية تجارية ولليهود بفلسطين صلة تاريخية قديمة لم تبرح ذاكرتهم رغم إنقضاء أكثر من خمسة وعشرين قرناً، ونشط الخبراء واتخذوهم وسيلتهم وإن غلفوا اتجاههم باسم الإنسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المشردين ٠

والتقت حول فلسطين مصالح الصهيونية مع مصالح الإستعمار وجاءت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فكانت فرصة ذهبية للصهيونيين وأصبح انتصار الإنجليز على الأتراك هو بدء الأمل وفتحت خزائن اليهود للإنجليز واستغل الإنجليز عبط حكام العرب وقدموا لهم العهود والمواثيق الزائفة لتحقيق استقلالهم بعد الحرب وهم يضمرون لهم الغدر والخيانة ··وكانت المؤامرة الدنيئة بين اليهود والإنجليز ضدعبط حكام العرب الغافلين·· رغم ضربات الطوارق القاتلة !

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ :

بتخطيط يهودى محكم من الحركة الصهيونية ومؤسساتها الماسونية وخلافه قتل ولى عهد النمسا فى سراييفو ١٩١٤ وقامت الحرب بين المانيا والنمسا من جانب وانجلترا وفرنسا من الجانب الآخر وانضمت تركيا الى جانب المانيا ومالبثت الحرب أن شملت جميع دول أوروبا · ورجحت كفة المانيا فى الحرب أول الأمر ·

إنتهزت اليهودية العالمية الفرصة وأداتها الرئيسية الحركة الصهيونية فعرضت على إنجلترا وفرنسا أن تضمن لهما دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانبهما على شرط أن يعد الحلفاء بمنح فلسطين لتكون وطناً لليهود ودارت مؤامرات ومفاوضات بين أقطاب اليهود فى إنجلترا مثل روتشيلد ووايزمان وسوكولوف وأقطاب الصهيونية فى أمريكا مثل بزانديس وفلانكفورتر وباروخ والرئيس ولسن نفسه ، ونجح الضغط اليهودى ودخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب الى

جانب الحلفاء وأخذت كفة الميزان تميل ناحية الحلفاء ، وقبض اليهود الثمن فوراً وقبل نهاية الحرب فصدر وعد بلفور - وزير خارجية أنجلترا - فى ١٩١٧/١١/٢ وهذا نصه :

عزيزى مستر روتشيلد

تنظر حكومة جلالة الملك بعين العطف الى إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى ، وسوف تبذل أفضل الجهود لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على أن يفهم جيداً أنه لا يجوز عمل شيء قد يغير من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلاد أخرى ٠

وتجدر الإشارة إلى ملاحظة هامة : أن الوعد قدم الى مستر روتشيلد أغنى أغنياء العالم ، وهذا الرجل اليهودى وإخوانه من يهود بريطانيا وفرنسا وأمريكا كانوا ومازالوا يحكمون تلك البلاد بثرواتهم الواسعة ونفوذهم الأكثر إتساعاً ٠

والملاحظة الثانية : إرتضت أخلاق الانجليز حلفاء العرب الذين ثاروا على الخلافة الاسلامية وصدّقوا وعود الانجليز أن يمنحو الوعد لليهود بأرض فلسطين فى الوقت الذى كان فيه جنود العرب بقيادة الأمير فيصل والجاسوس البريطانى لورانس يقتلون جنود الخلافة المسلمين - أبناء دينهم - ويسهمون فى المعركة الى جانب الحفاء ، وتناسى الانجليز وعودهم ومراسلاتهم مع الشريف حسين - ملك الحجاز فى هذا الوقت - تلك المراسلات التى نصت على إستقلال البلاد

العربية التى كانت تحت حكم الخلافة العثمانية ٠

والملاحظة الثالثة : أن المال العربى اليوم أغنى من المال اليهودى ، ونفوذ النفط العربى أكثر أثراً وإتساعاً من النفوذ اليهودى ٠٠ ولكن شتان بين الرجال ٠٠ ورجال !

إن الرجال سيطروا على اقتصاد دول أوربا وأمريكا واشتروا ضمائر القادة ورجال الحكم والأحزاب لتحقيق باطلهم ٠٠ بينما رجالنا سيطرت عليهم شهواتهم البهيمية وغرائزهم المادية وأسقطوا حق شعبهم وحق وطنهم ، وغاب منهم الوعى والادراك ٠

فى سنة ١٩١٥ قامت إنجلترا بالإتصال بالشريف حسين ملك الحجاز وتم الإتفاق بينهما سنة ١٩١٦ على قيام الثورة العربية بقياد الشريف حسين بن على للتخلص من حكم الأتراك واستقلال البلاد العربية ٠ وفعلاً تقدمت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل والجاسوس الإنجليزى لورنس (صديق العرب !) تفسح الطريق أمام القوات الإنجليزية لفتح بلاد الشام وطرد قوات الخلافة الإسلامية منها ٠٠ وفعلاً كانت وبالاً على العرب والمسلمين ، وغدر الإنجليز بالعرب وهم دائماً غافلون ٠

وفى نفس هذا الوقت سنة ١٩١٦ تم اتفـاق "سايكس بيكو" بين بريطانيا وفرنسا على إقتسام بلاد الشام فتستولى فرنسا على شمال سوريا (سوريا

ولبنان) وتستولى إنجلترا على الجنوب (فلسطين والأردن) وحتى بعد قيام الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧ وإفتضاح معاهدة سايكس بيكو لجأت إنجلترا الى الكذب ·· تكذب الحقيقة واستمر العرب كعادتهم فى غفلتهم ·

وفى ١٩١٧/١١/٢ صدر وعد بلفور بمنح اليهود حق إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ·· قبل أن تطأ أقدام الإنجليز أرض فلسطين · وفى ١٩١٧/١٢/٩ دخلت القوات الإنجليزية القدس وقال الجنرال اللنبى قولته المشهودة "اليوم إنتهت الحروب الصليبية" ولم يرد عليه أى لسان عربى ·· فما زالوا فى غفلتهم ·

وفى سنة ١٩١٨ إنهزمت تركيا وسقطت الخلافة الإسلامية وضاعت البلاد العربية تحت الاحتلال الغربى ·· أو الصليبى كما أراد الحقيقة الجنرال اللنبى · وفى سنة ١٩٢٠ دخل الجنرال جورو الفرنسى دمشق وذهب من توه الى قبر صلاح الدين ووقف شامتا أمام القبر وقال قولته المشهورة "هاقد عدنا ياصلاح الدين" · وطبعا لا راد لمن ينادى ·· فالكل أموات ·

تنفيذ وعد بلفور :

إحتل الإنجليز القدس فى ١٩١٧/١٢/٩ وأتموا إحتلال كل أرض فلسطين فى أوائل سنة ١٩١٨ وأصبحت فلسطين تحت الحكم العسكرى البريطانى ولم يعلم عرب فلسطين بوعد بلفور إلا بعد الإحتلال ودأب الإنجليز على إلقاء التصريحات المضللة لعرب فلسطين التى تثير الغموض حول الوعد

الذى تمت صياغته بأسلوب شيطانـــى ماكر .

عصبة الأمم :

منذ المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ كان تخطيط اليهود لتكوين عصبة الأمم للسيطرة على العالم كما جاء في مؤتمر المحافل الماسونية العالمية المنعقد في ٢٨ - ١٩١٧/٦/٣٠ أى قبل أن يفكر أحد - من غير اليهود - بتأسيس عصبة الأمم مايلى :

It is important that we build the happy city of tomorrow. It is for that masonic task that you have been invited. This war has been transformed to a formidable quarel between organized democracies and military dispotic powers. In this harrican the century-old power of the Czars has crumbled. Other governments will also be swept by the wind of liberty. Consequently it is indispensable to create a super national authority. Free masonry the artison of peace proposes to study this new organ : " The League of Nations".

إنه من المهم جداً أن نبنى مدينة المستقبل السعيدة • ومن أجل تلك المهمة الماسونية الصادقة دعيتم اليوم • لقد حولنا هذه الحرب الى نزاع رهيب بين الديمقراطيات المنظمة والقوى العسكرية الجبارة • لقد تحطمت فى هذا الإعصار القوى القديمة – القياصرة – ولسوف تجرف رياح الحرية – المزيفة – بقية الحكومات • فلا مندوحة إذن من خلق سلطة عالمية عليا • إن الماسونية صانعة السلام تطرح على بساط البحث موضوع هذه الهيئة الجديدة : عصبة الأمم •

وقال الزعيم الصهيونى ناحوم سوكولوف فى المؤتمر اليهودى الذى عقد فى كارلسباد بتاريخ ١٩٢٢/٨/٢٧ :

إن عصبة الأمم فكرة يهودية • لقد خلقناها بعد كفاح ٢٥ سنة ستكون القدس يوما ماعاصمة للسلم العالمى • وإن ماحققناه نحن اليهود بعد كفاح ٢٥ سنة يرجع الفضل فيه الى زعيمنا الخالد "تيودور هرتزل" •

هذا بعض من اقوال اليهود أنفسهم عن عصبة الأمم قبل تأسيسها وبعد التأسيس يدل على أن عصبة الأمم كانت طبخة يهودية لم يستفد منها غير اليهود. وقادة الحلفاء الذين سيرتهم اليهودية العالمية فى الحرب الكونية الأولى وبعدها كانوا من أقطاب الماسونية وعلى رأسهم ولسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومستشاره اليهودى هاوس ، ولويد جوج رئيس وزراء بريطانيا وسكرتيره اليهودى ساسون ، وكليمانصو رئيس وزراء فرنسا وسكرتيره اليهودى ماندل روتشيلد •

وكان أول عمل قامت به عصبة الأمم هو قيام SIR ERIC DRUMOND السير "اريك درموند" بتوجيه رسالة رسمية الى الصهيونى الأكبر حاييم وايزمان يؤكد فيها أن حماية حقوق اليهود ستكون من أهم واجبات عصبة الأمم • كما كان من أهم وأول أعمال عصبة الأمم هو فرض الإنتداب البريطانى على فلسطين من أجل تحقيق هدف أساسى هو تنفيذ وعد بلفور وتهويد فلسطين •

الإنتداب البريطانى على فلسطين :

وكان مجلس الحلفاء الأعلى فى سان ريمو فى نوفمبر ١٩٢٠ قد أقر مشروع صك الإنتداب البريطانى على فلسطين كما وضعه اليهود بأنفسهم كما فعلوا فى وعد بلفور من قبل ، وتضمن صك الإنتداب النقط المهمة التالية :

"أن توضع فلسطين فى ظروف إدارية وسياسية وإقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومى اليهودى ، وأن تشجع حكومة الإنتداب الهجرة اليهودية الى فلسطين وإسكان اليهود فى الأراضى الفلسطينية ، وأن تعتمد الحكومة تشكيل وكالة يهودية ترعى شئون اليهود فى فلسطين وفى أنحاء العالم وتشرف على بناء الوطن القومى اليهودى وأن تفضل الوكالة اليهودية عند منح امتيازات المشاريع لاستثمار الثروة الطبيعية فى فلسطين"•

وقد أقرت عصبة الأمم هذا المشروع اليهودى للانتداب البريطانى على فلسطين فى يوليو ١٩٢٢ •• وكانت إنجلترا قد باشرت تطبيقه فعلاً منذ

الاحتلال .

وشرعت الحكومة البريطانية تسخر قواها وسياستها ودهاؤها لتحقيق وعد بلفور وكان أول ما أقدمت عليه هو إلغاء الحكم العسكرى وتعيين اليهودى سير "هربرت صمويل" مندوباً سامياً لفلسطين فى يوليو ١٩٢٠ فشرع ينفذ المخطط الصهيونى لاغتصاب فلسطين وتهويدها تسنده الحراب البريطانية وأموال يهود العالم وأسس هربرت صمويل الادارة المدنية على الوجه التالى :

جنرال ديدز	سكرتير عام الإدارة المدنية	يهودى
سومولود	سكرتير عام الإدارة المالية	يهودى
نورمان بنتوتش	نائباً عاماً	يهودى
كابتن هرارى	للتجارة والصناعة	يهودى
جنرال جرانت	للأشغال العامة	من أصل يهودى
مستر بومن	للتعليم	من أصل يهودى
كولونيل سلمون	سكرتير عام للمخازن	يهودى
كولونيل ستورز	قائد منطقة القدس	من أصل يهودى
كولونيل ستيرلنج	قائد منطقة يافا	من أصل يهودى
ريجنلد ونجت	قائد منطقة حيفا	يهودى

وهم جميعاً إنجليز يهود أو من أصل يهودى ، أما العرب سكان البلاد فلم يكن لهم نصيب فى حكومة هربرت صمويل ، ومن أهم أعمال هذه الحكومة :

١- إعتبار اللغة العبرية لغة رسمية بجانب الإنجليزية والعربية .

٢- وضع قوانين الهجرة التى تسهل تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين .

٣- ملء دوائر الحكومة بالموظفين اليهود .

٤- وضع قوانين الأراضي بشكل يكره الفلاح العربى الفقير على بيع أرضه تخلصاً من الضرائب .

٥- وضع قوانين الجمارك التى تحمى الصناعة اليهودية .

٦- تعيين يهودى مشرفاً على أوقاف المسلمين .

٧- تسخير جميع القوى المادية والمعنوية لإنشاء المستعمرات اليهودية .

٨- أقطع اليهود مساحات شاسعة من أراضى الدولة الميرى .

٩- تجنيد القوات البريطانية المرابطة فى البلاد للدفاع عن اليهود ومستعمراتهم والترخيص لليهود بحمل السلاح ومنعه عن العرب .

١٠- التمهيد لخلق إمارة شرق الأردن فى مارس ١٩٢١ بالاجتماع الذى تم بين الأمير عبد الله بن الحسين والمستر تشرشل وزير المستعمرات حينئذ .

وقد تعاونت حكومة هربرت صمويل تعاوناً تاماً مع أقطاب الصهيونية الذين انضموا الى الوكالة اليهودية بقيادة وايزمان حتى أصبحت الوكالة حكومة داخل الحكومة لها حق الإشراف على كل مايتعلق باليهود من مسائل عسكرية واقتصادية وادارية وسياسية وثقافية ... الخ وكان للوكالة اليهودية صبغة عالمية تكشف عن حقيقة الحكومة الصهيونية العالمية التى تسعى للسيطرة على العالم عن طريق السيطرة على حكومات الغرب ٠

الوكالة اليهودية :

كانت الوكالة اليهودية وفروعها فى مختلف دول أوربا وأمريكا تشرف على هجرة اليهود وتزويدهم بجوازات السفر الفلسطينية وهم مازالوا فى بلادهم فى إنجلترا أو بولندا أو فرنسا أو ٠٠٠ بينما تعتبر حكومة الإنتداب العربى القادم من سوريا أو مصر أو العراق غريباً عن البلد ٠ وكانت الوكالة تختار اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة بعد دراسة شاملة لأوضاعها وإمكاناتهم الفنية والمادية وعلى الأخص إمكاناتهم الإرهابية بسبب حاجة الوكالة ومسئوليها لنشاط وخبرة الإرهابيين فى فلسطين ٠٠٠ وقد بلغ مجموع اليهود فى فلسطين عند نهاية الإنتداب حوالى ٧٥٠ ألف يهودى بينما كان عددهم قبل الإنتداب يقل عن ٥٠ ألف يهودى. وهكذا أصبحت الوكالة اليهودية حكومة غير رسمية معترف بها من القوى الدولية الكبرى ٠

ومنذ أن دنس الاحتلال الانجليزى أرض فلسطين وأخذ اليهود يتكاثرون

ويمتلكون الأرض بأية وسيلة ويحتلون مراكز الحكم الحساسة بنسب عددية كبيرة وأخذت حكومة الإنتداب فى إصدار قوانين الأرض التى تضيق الخناق على الفلاح العربى وقوانين الهجرة التى تسهل عملية الغزو اليهودى الذى تنظمه الوكالة اليهودية العالمية تحت حماية الحراب البريطانية والقوانين الإستعمارية ٠٠ لم يجد العرب أمامهم إلا الثورة محافظة على أرضهم وحياتهم ورغم أن الإنجليز قابلوا ثورات العرب بكل قسوة ووحشية إلا أن الثورة العربية كانت تقوى وتشتد ، وفى كل مرة تعجز حكومة الانتداب البريطانية عن إخماد الثورة أو تهدئة الحال تلجأ الى خداع الشعب العربى الفلسطينى بتشكيل لجنة للبحث سرعان ماتنعقد وتنفض على لا شىء ثم تلجـأ الى ملوك العـرب (ملوك الشطرنج) الذين يحكمون شعوبهم تحت الحماية أو الوصاية أو ... البريطانية وسرعان مايستجيب هؤلاء الملوك الى تعليمات سادتهم فيصدرون البيانات داعين الشعب العربى الفلسطينى الى الهدوء حقناً للدماء ومعتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، وثقوا أننا سنواصل السعى لمصلحتكم ٠

ودعت الحكومة البريطانية الى مؤتمر يعقد فى لندن يحضره ممثلون عن أصحاب الجلالة ملوك العرب وعرب فلسطين وزعماء اليهود وإفتتح المؤتمر فى ٧ فبراير ١٩٣٩ وإختتم أعماله فى ١٧ مارس ١٩٣٩ وعادت الوفود الى بلادها بلا شئ وكعادة الحكومة الإنجليزية لجأت الى عملية تخدير وتصريف للطاقة الشعبية العربية فأصدرت الكتاب الأبيض فى ١٧ مايو ١٩٣٩ متضمناً بعض المقترحات والمطالب العربية التى لم ينفذ منها شىء فقد هاجم تشرشل – صديق اليهود الوفى – الكتاب الأبيض فى مجلس العموم ووصفه بأنه وليد الإرهاب

العربى فى فلسطين ٠

وعلى هذا الأساس أهملت الحكومة البريطانية المواد التى كانت تخدم مصالح العرب ونفذت المقترحات التى تخدم الصهيونية وأهمها تسهيل الهجرة وشراء الأرض العربية ٠

وفى سبتمبر ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية ، وانضم العرب جميعاً الى صديقتهم بريطانيا وهم كعادتهم دائماً غافلون ٠

ألم تكن مرافق مصر جميعاً فى خدمة بريطانيا والحلفاء دون أى شروط أو تعهـــد ؟ وألم يكن فى مصر فيلق يهودى يتسلح ويتدرب على أرض مصر ؟

الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ :

وفى سنوات الحرب نجحت الصهيونية العالمية فى توجيه سياسة الدول الغربية الى تأييد قيام دولة يهودية فى فلسطين وتسهيل الهجرة اليهودية وضرب الشعب العربى إذا قام بأى محاولة للإحتجاج ٠٠ ولا عجب فالإنجليز يحكمون فلسطين باسم الإنتداب وجميع الدول العربية تحت الاحتلال وأخذ انحياز دول الغرب نحو اليهود يزداد بمرور الأيام وكل يوم يصدر قراراً فيه نصر جديد للدعوة الصهيونية ٠

١ – في سنة ١٩٤٠ والحرب مازالت في سنتها الأولى طالب حزب العمال البريطاني بحق اليهود في مؤتمر الصلح ٠٠ بعد نهاية الحرب !

٢ – في سنة ١٩٤١ أخفقت الثورة العربية في العراق التي قادها رشيد عالي الكيلاني وكان اخفاقها طعنة في أمال الأمة العربية٠

٣ – في سنة ١٩٤٢ قدم الكونجرس الأمريكي مذكرة الى الحكومة الأمريكية يطالبون فيها حكومة الولايات المتحدة بمساعدة اليهود على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ٠

٤ – في سنة ١٩٤٣ صدر تصريح الحكومة البريطانية عن تكوين الجامعة العربية – وكان المقصود منه خضوع العرب للنفوذ البريطاني وهم كلهم تحت الاحتلال ومنع تكوين تجمع إسلامي بعد القضاء على الإمبراطورية العثمانية الإسلامية ٠

٥ – في ١٦ مارس ١٩٤٤ أصدر الرئيس الأمريكي روزفلت بياناً رسمياً يقضي بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية بلا حدود ٠

٦ – في ٧ اكتوبر ١٩٤٤ صدر بروتوكول الاسكندرية بإنشاء الجامعة العربية من مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن ٠

وصدق المرحوم اسماعيل صدقي باشا في تصريحه :

صفر + صفر + صفر + صفر + ٠٠٠٠٠ = صفر

وفى ٢٢ مارس ١٩٤٥ وقّعت الدول العربية ميثاق الجامعة العربية ٠

٧ - وفى سنة ١٩٤٥ انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة المانيا وبذلك إنتصرت الصهيونية العالمية فى تحطيم المانيا للمرة الثانية فى أقل من ثلاثين سنة ٠

٨ - وفى سنة ١٩٤٥ أصدر الكونجرس الأمريكى بتاريخ ١٩ ديسمبر قراراً بالإجماع يحث الحكومة الأمريكية على بذل المساعى لفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية حرة ، كما وقع خمسة آلاف قسيس بروتستانتى عريضة يطالبون فيها الحكومة الأمريكية بنفس المعنى ٠

٩ - وفى ٤ اكتوبر ١٩٤٦ أصدر الرئيس الأمريكى ترومان قراراً يطالب فيه بإدخال مائة ألف يهودى الى فلسطين فوراً ٠

فى ابريل ١٩٤٧ عقدت الأمم المتحدة دورة إستثنائية إتخذ فيها قرار بإيفاد لجنة تحقيق دولية الى فلسطين ، وإنتقلت اللجنة الى فلسطين وبحثت ودرست - كسابقاتها - وأخيراً وضعت قرارها بالأغلبية مطالبة بتقسيم فلسطين ، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صدقت الأمم المتحدة على مشروع التقسيم الذى نص على تأسيس دولة عربية ودولة يهودية وإعتبار منطقة القدس وبيت لحم منطقة دولية ٠

وإنتصر باطل الصهيونية العالمية على حق العرب والمسلمين •

وكان طبيعياً أن يرفض العرب قرار الأمم المتحدة ويعلنوا مقاومة تنفيذه ••• وهكذا تمت أحداث أبشع جريمة دولية دبرتها الصهيونية العالمية بما لها من سلطان مالى وإعلامى رهيب على كلتا الكتلتين ، الكتلة الغربية وزعيمتها الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتى ويصوت الطرفان مؤيدين مشروع التقسيم • وفى هذا الموقف لا بد أن نذكر الموقف المخزى الذى وقفه المندوبون العرب الذين قاطعوا الكتلة الشيوعية فلم يتشاوروا معهم ويطلعوهم على حقيقة المأساة وتطور المشكلة الفلسطينية تنفيذاً لتعليمات حكوماتهم العميلة التى كانت تسير فى ركاب الدول الغربية التى دبرت الجريمة وساندتها حتى تمت •

وتجدر الإشارة هنا الى المقارنة بين ساسة الغرب وساسة العرب :

فى أثناء الحرب العالمية الثانية وتشرشل يتحالف مع ستالين سئل تشرشل يوماً : كيف تتحالف مع الشيوعية ؟ فرد قائلاً : أنا مستعد أن أتحالف مع الشيطان نفسه للقضاء على المانيا •• !

بينما ساسة العرب يقاطعون روسيا الشيوعية ••••

* * *

الفصل الثانى عشر

دولة اسرائيل "الثانية"

فى سنة ١٩٣٦ هاجمت ايطاليا الحبشة وإستولت عليها وفى سنة ١٩٣٨ هاجمت المانيا إقليم السوديت فى تشيكوسلوفاكيا ومالبثت أن أستولت على تشيكوسلوفاكيا كلها وثبت فشل عصبة الأمم تحت أطماع القوى الكبرى الجديدة وقامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ومالبثت الولايات المتحدة الأمريكية أن انضمت إليها سنة ١٩٤١ واستمرت الحرب حتى سنة ١٩٤٥ وإنتهت بإنتصار الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وهزيمة المانيا وايطاليا واليابان ٠.

الأمم المتحدة :

كما دبر اليهود وخططوا لنشوب الحرب العالمية الأولى وكما خلقوا عصبة الأمم بعد نهاية هذه الحرب لتقرر قانونية إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين فقد دبروا وخططوا لقيام الحرب العالمية الثانية ، وبعد انتهائها خلقوا هيئة الأمم المتحدة لتقوم بالمرحلة الثانية وهى إصدار قرار تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية ٠

وهكذا تأسست هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ وغالبية موظفيها من اليهود ولو تعللوا بجنسياتهم الدولية وجميع الرؤساء والمديرين التنفيذيين من اليهود كما

يتضح من تشكيلها منذ البداية :

ترجفى لى	السكرتير العام	يهودى
بنيامين كوهين	مساعد السكرتير العام	يهودى
م. وايتز	مدير المكتب الادارى	يهودى
آ. روزنبرج	مستشار الإدارة الإقتصادية	يهودى
د. وينتروب	مدير الإدارة الإقتصادية	يهودى
أ. فيلر	مدير الإدارة القانونية	يهودى
د. زايلودسكى	مدير إدارة الوثائق	يهودى
ج. شابيرو	مدير مركز الأمم المتحدة فى جنيف	يهودى
م. بيرجمان	مدير التنفيذات	يهودى
م. مندلز	سكرتير البنك الدولى	يهودى
ك. جت	مدير الإعتمادات المالية الدولية	يهودى
ج. ماير	المدير الفنى لهيئة الصحة العالمية	يهودى
م. كوهين	مدير مؤسسة اللاجئين الدولية	يهودى
و. كلينبرج	مدير مكتب التوتر الدولى	يهودى

ر. يودين	مدير قسم التعويضات الدولية	يهودى
أزادور لوبين	مندوب الولايات المتحدة فى اللجنة الإقتصادية وشئون الموظفين	يهودى

ومنذ تأسيس الأمم المتحدة حتى اليوم وهى أداة لخدمة اليهودية العالمية ، فكل قرار يتعارض مع رغبة أو مصالح اليهود يجمد ولا يجد من يطالب بتنفيذه أو يتعرض للإلغاء بواسطة الفيتو الأمريكى . والأخطبوط اليهودى ينشب أظفاره فى كيان الأمم المتحدة ويوجه نشاطها الى مصالح اليهودية العالمية ويتعامى عن كل مخالفاتها .

وحينما وافقت الأمم المتحدة فى ١٩٤٧/١١/٢٩ على مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين دولة عربية ودولة يهودية وأصدرت القرار رقم ١٨١ عارضته الحكومات العربية لأنه يقيم دولة يهودية فى قلب الوطن العربى .

وفى الشهور الأولى التى أعقبت قرار التقسيم هب عرب فلسطين يدافعون عن وطنهم وتألف جيش الجهاد المقدس بقيادة البطل الشهيد عبد القادر الحسينى، وقامت تلك القوات بأعمال بطولية زعزعت الكيان اليهودى فتم نسف الوكالة اليهودية وتدمير شارع بن يهوذا وفيه جريدة الباستابن بوست وسيطروا على الطرق والمواصلات وعزلوا منطقة القدس وسيطروا على معظم مناطق وسط فلسطين وأصبح واضحاً رجحان كفة العرب .

خيانة إنجلترا للعرب مستمرة :

كان الإنجليز قد أعلنوا أنهم سيتخلون عن الإنتداب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ بإستثناء مدينة حيفا التى سيجلون عنها فى أول أغسطس ١٩٤٨ ، وحين وجد الإنجليز زعزعة موقف اليهود سارعوا الى الغدر بالقوات العربية فسلموا مدينة حيفا لليهود فى ١٩٤٨/٤/٢١ خلافاً لما أعلنوه من قبل كذلك لجأوا الى تسليم مدينة يافا وضواحيها فى ١٩٤٨/٤/٢٤ ثم مدينة صفد ومدينة طبرية وكذلك معسكرات القوات البريطانية بما تحوى من أسلحة وذخائر ومخازن ومستودعات ٠ وكان وجود الإنجليز فى هذه المدن والمعسكرات يعد فاصلا بين العرب واليهود ولكن بعد تسليمها لليهود انهالت مدفعية اليهود التى تسلموها من الإنجليز على المناطق العربية إرهاباً وتدميراً مما أجبر سكانها العرب على الهرب منها وهذا ماكان الإنجليز يهدفون اليه من تسليم المدن والمناطق العربية لليهود خالية من سكانها العرب ٠

الحرب العربية الإسرائيلية الأولى :

بعد أن كثرت جرائم الإنجليز واليهود ضد عرب فلسطين وبعد أن وضح أن عصابات اليهود لا تفرق بين المحاربين وغير المحاربين ولا تتقيد بشرف أو قانون قررت الجامعة العربية دخول الجيوش العربية فلسطين إنقاذاً للأرض العربية والشعب العربى ، وفعلاً دخلت الجيوش العربية الى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ٠ وانتصر العرب فى معركة القدس القديمة واقتربت الجيوش العربية من العاصمة اليهودية تل أبيب .

ونشطت المكائد الأمريكية والإنجليزية وفرضت الهدنة على العرب فى ١١ يونيو ١٩٤٨ وكانت القوات الأردنية العربية بقيادة الإنجليزى الجنرال جلوب الذى سلم اللد والرملة الى اليهود فانكشف الجنب الأيمن للقوات المصرية • وهاجمت العصابات اليهودية العرب الآمنين سكان هذه المنطقة قتلاً وتدميراً مما ألجأهم للهرب وتسلم اليهود مدنهم خالية من أهلها وفى ٩ يوليو ١٩٤٨ نشطت العصابات اليهودية ضد القوات المصرية – المفتقرة الى الأسلحة والذخائر بينما إنهالت الإمدادات العسكرية الى اليهود أيام الهدنة من أوروبا وأمريكا • وإمتنعت القوات العراقية التى كانت على بعد ١٢ كيلو متر من تل أبيب بحجة "ماكو أوامر" وهكذا فرضت الهدنة الثانية فى ١٨ يوليو ١٩٤٨ •

وفى ١٤ اكتوبر ١٩٤٨ خرق اليهود الهدنة – بعد أن وصلتهم الإمدادات الوفيرة – واعتدوا على القوات المصرية فى جنوب فلسطين واستمرت المعارك متقطعة بين اليهود والقوات المصرية – بينما القوات العربية الأخرى لا تتحرك وكأن الأمر لا يعنيها – حتى ٧ يناير ١٩٤٩ حين قبلت مصر الإشتراك فى مباحثات الهدنة مع اليهود فى رودس ثم تبعتها الدول العربية الأخرى وعقدت معاهدات الهدنة •

وفى مارس ١٩٤٩ سلم قائد الجيش الأردنى العربى الجنرال الإنجليزى جلوب لليهود الجزء الجنوبى من النقب ويقع رأسه الجنوبى على خليج العقبة عند قرية أم الرشراش "المصرية" وتم فصل الوطن العربى فى آسيا عن الوطن العربى فى أفريقيا لأول مرة فى التاريخ • وتكونت دولة إسرائيل على أرض

فلسطين ماعدا قطاع غزة تحت الإدارة المصرية والضفة الغربية لنهر الأردن تحت إدارة المملكة الأردنية الهاشمية ٠

أسباب خسارة الحرب :

ويجب الإشارة الى بعض العوامل التى أدت الى خسارة الحرب - والتى للأسف مازالت موجودة حتى الآن :

١- عدم توحيد القيادة العربية بصورة حقيقية فعالة ٠

٢- وقوع نظم الحكم العربية تحت سيطرة الإنجليز والأمريكان الذين خلقوا الدولة اليهودية ٠

٣- إعتبار المشكلة مصرية أو عربية وعدم إشراك الشعوب الإسلامية ٠

٤- بخل العرب والمسلمين قبل وأثناء المعركة وحتى الآن ولا يمكن مقارنة مادفعه أغنياء اليهود "روتشيلد وزملائه" بما دفعه شيوخ النفط أصحاب المليارات ٠

٥- دخول القوى الإستعمارية الغربية فى المعركة الى جانب اليهود والإنحياز التام للجانب اليهودى والاستهانة بمصالح العرب "الغافلين دائما" ٠

٦- عدم استغلال القوى المادية والمعنوية التى تملكها الأمة العربية وخضوع نظم الحكم العربية لإرهاب القوى الإستعمارية الغربية ٠

٧- إستبداد نظم الحكم العربية والتنكيل بالمعارضين بحجة الشرعية والإستقرار ٠

التمهيد لخلق إسرائيل الكبرى :

يتبع اليهود سياسة مخططة لتغيير معالم فلسطين العربية من حيث المكان ومن حيث السكان ، وهم يعتقدون بأن إسرائيل الكبرى"من النيل إلى الفرات" لا تتحقق إلا بعد تهويد فلسطين تماماً والقضاء على معالمها العربية وإخلائها من العرب والإستيلاء على كل أرضها ، ولذا فهم يواصلون إعتداءاتهم على العرب منذ أن دنسوا أرض فلسطين حتى اليوم بقتل العرب وإبادتهم وإغتصاب أرضهم وأملاكم وأموالهم والأمثلة كثيرة جداً بدءاً من دير ياسين عام ١٩٤٨ حتى مذبحة المسجد الإبراهيمى فى الخليل فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ٠ ولن تكون هذه المذبحة هى الأخيرة طالما أن الشعوب العربية مقيدة وطالما إستمرت نظم الحكم العربية فى الثقة فى مصداقية الغرب وأمريكا والنظام الدولى الجديد الذى يحكم عالم اليوم بإسم "الحكومة الصهيونية العالمية السرية" ولن تنتهى جرائم اليهود مادامت نظم الحكم العربية يعز عليها جداً كراسى الحكم وطالما إستكانت الشعوب العربية لاستبداد حكامها ٠

أطماع اليهود :

ومطامع اليهود فى تحقيق إسرائيل الكبرى ليست خيالية ، إنها حقيقة راسخة فى أدمغتهم ولن يهدأ لهم بال إلا بعد السيطرة على لبنان وسوريا والأردن

وسيناء ومصر والعراق وشمال شبه الجزيرة العربية حتى المدينة المنورة ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام !

لا تحسبن هذا خيالاً ٠٠ ولكنه عقيدة الصهيونية ٠٠ طالما أن العرب منقسمون وغافلون ، فاليهود يطالبون بإسترداد مواقعهم الأولى التى أخرجهم منها الرسول الكريم ﷺ وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وخيبر ، ويجب ألا ننسى مساعى الرئيس الأمريكى السابق روزفلت لدى الملك الراحل عبد العزيز آل سعود يوم عرض عليه ٥٠ مليون دولار مقابل السماح لليهود بإستيطان هذه المواقع حول المدينة المنورة ٠

ويطمع اليهود فى السيطرة على المملكة الأردنية الهاشمية وعلى سوريا ولبنان والعراق ليتحقق لهم وطنهم الممتد من النيل الى الفرات أما ملايين العرب فى أوطانهم هذه فما عليهم إلا أن يعيشوا أُجراء تحت السيطرة الإسرائيلية أو ينزحوا عنها الى موطنهم الأول فى شبه الجزيرة العربية ٠٠٠ وأرجو ألا تحسبن هذا خيالاً ٠٠٠ ! بل هو حقيقة العقيدة الصهيونية ٠

تغير الأوضاع فى البلاد العربية المحيطة بإسرائيل :

بعد أن أصبحت دولة إسرائيل حقيقة دولية واقعة على أرض فلسطين العربية تحيطها دول عربية معادية وبعد أن أخذت الولايات المتحدة الأمريكية دورها كقوة عظمى أولى فى العالم وبعد أن تعاظم دور القوى اليهودية فى التأثير على السياسة الأمريكية أصبحت الدول العربية تحظى بإهتمام كبير من كل من القوى

الصهيونية وصناع السياسة الأمريكية فى العالم وأصبح الهدف الأساسى هو تطويع السياسة العربية وترسيخ ثبات إسرائيل ٠

تغيير نظم الحكم فى الدول العربية :

لجأت الولايات المتحدة الأمريكية الى مزاولة دورها المعهود والمجرب سابقاً فى أمريكا اللاتينية وهو الإنقلابات الداخلية ٠٠ بدأت هذا الدور فى سوريا ومالبثت أن لعبته فى مصر ، وتم الإنقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتم تثبيته بالشعارات الوطنية الجوفاء وتحولت السياسة المصرية الى تأليه للحكام الجدد وتصفية الحسابات الشخصية الصغيرة وإبعاد الوطنيين المخلصين عن أن يكون لهم أى دور بل وزجوا بهم فى السجون والمعتقلات حيث انتهكت حرماتهم وكراماتهم وكان هم الحاكم الأكبر هو أن يلهث وراء ألقاب كبيرة دون محتوى ومجد زائف من إعلام منافق ولم يبخل عليه اعداء العرب والإسلام بهالات المجد لإشباع غروره وتولى قيادة جيش مصر ضابط برتبة صاغ (رائد) قفز الى منصب القيادة العامة دون تأهيل ودون أن يمارس القيادة الفعلية من أدنى مستوياتها ويتدرج الى المستويات الأعلى فيكتسب الخبرة والعلم والإدارة ، فضلاً عما أحاط بشخصه من إشاعات أفقدته إحترام وثقة الشعب . أما عن روح الإنضباط ـ وهى عصب النظام العسكرى ـ فقد تحللت بعد أن أحاط القائد العام نفسه بنخبه من صغار الضباط منحهم سلطات أعلى جداً من مستوياتهم فكثرت الوشايات وإنتشرت الجاسوسية والمحسوبية وتوالت حركات التطهير ، علاوة عمن زُجَّ بهم فى السجون والمعتقلات من أشجع وأكرم الضباط منهم المرحومين معروف

الحضرى وعبد القادر عيد وغيرهما الكثير حيث كانت تمتهن كرامتهم وآدميتهم ... وأصبح إستمرار الضابط فى الخدمة وترقيه الى الرتب الأعلى مرهوناً بما يبلّغ عنه من الجواسيس المنتشرين فى جميع الوحدات.

وشكلت المحاكم الهزلية حيث طلب رئيس محكمة - وهو فى نفس الوقت أحد أقطاب الحكم الجديد - من أحد المتهمين أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب٠٠!

ووصل الأمر بأحد وزراء الحربية قبل حرب يونيو ١٩٦٧ وهو فى زيارة للإتحاد السوفيتى حين سئل عما يفعل إزاء وجود الأسطول الأمريكى السادس فى البحر المتوسط ، أن قال : "سنحطمه" بين ذهول ودهشة سامعيه ٠

وهكذا كانت مصر - قلب الأمة العربية والمثل المحتذى للشعوب الإسلامية - كانت تحكم تحت إعلام فاسد منافق وشعارات جوفاء كاذبة وصحافة إشتراها الحاكم بالأموال والمناصب وجيش تحلل من الروح العسكرية ، ويقول القرآن الكريم عن فرعون وقومه فى مثل هذا الموقف "فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين" ٠

العدوان الثلاثي ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ : تخطيط ماكر وتقسيم للأدوار

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أممت مصر قناة السويس وأصبحت شركة مساهمة

مصرية وجنت الحكومة البريطانية حيث أن قناة السويس هى الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها فى الهند وجنوب شرق آسيا •• وكانت فرنسا فى علاقات سيئة ومتوترة جداً مع مصر بسبب مساعدتها لثورة الجزائر العربية •• فاتفقت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على خطة لضرب مصر : أن تقوم إسرائيل بغزو مفاجئ لمصر وتتحرك الدولتان وتصدران إنذارا بسحب قوات الطرفين الى مسافة ١٠ كيلومترات بعيداً عن شواطئ القناة •

وفعلاً قامت إسرائيل فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بإسقاط قوة جوية على ممر متلا بالقرب من السويس وشرعت فى تقدم قواتها من الشرق من رفح وأبو عجيلة فــى سيناء • وأصدرت بريطانيا وفرنسا انذارهما بسحب القوات بعيداً عن شاطئ القناة ولم تقبل مصر الإنذار فقامت القوات الجوية البريطانية والفرنسية مساء ١٠/٣٠ بضر المطارات المصرية وحطمت الطائرات وأصبحت مصر بلا غطاء جوى • وإستطاعت القوات البريطانية والفرنسية النزول الى بورسعيد ولكنها توقفت ولم تستطع التقدم جنوباً ، وتحركت الأمم المتحدة وأصدرت باتفاق أمريكا وروسيا قراراً بإيقاف القتال وإنسحاب القوات الغازية من الأراضى المصرية ويخطئ من يظن أن صدور القرار كان لمصلحة مصر بل إن الحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن راغبة فى عودة الإمبراطوريتين العجوزتين وكانت ترى نفسها الوريثة الطبيعية لهما ، كما كانت تدخر لنفسها وضعاً خاصاً فى مصر •• وقد وصلت له فعلاً وأصبح لها القول الفصل فى جميع الشئون وإنسحبت القوات الثلاثة •• وإعتبره الإعلام المنافق كسباً سياسياً ضخماً لعبد الناصر الذى لم يفق من نشوة ما إعتبره نصراً شخصياً •

ويجب أن أشير هنا الى ملحوظة هامة جداً : فحينما وقع العدوان الثلاثى على مصر ووصلت القوات اليهودية الى حدود سيناء كان فى طليعة القوات الزاحفة سيارة عسكرية تحمل كتاباً ضخماً هو التوارة ومن خلفه وقف حاخام يخطب فى الجنود ويقول : "يا أبناء إسرائيل إنكم تدخلون الآن الأرض المقدسة حيث تسلم موسى الشريعة ، فهيا لتطهيرها من الأعداء" •

إنسحبت إنجلترا وفرنسا من بورسعيد وإنسحبت إسرائيل من سيناء بعد أن خربت كل شئ وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى المسيطرة على منطقة الشرق الأوسط العربى وورثت النفوذ البريطانى والفرنسى السابقين وسخرت كل إمكانياتها لخدمة إسرائيل وتحقيق أهدافها وكانت تمدها بأسباب الحياة من الإبرة الى الصاروخ • وتسد العجز السنوى فى ميزانيتها بل وأجبرت حكومة المانيا الغربية أن تدفع لإسرائيل تعويضات عما لاقاه اليهود أيام هتلر بلغت قيمتها ٤٣٫٥ مليار مارك إضافة الى التبرعات الغير محدودة التى تصلها من الشعب الأمريكى ولنذكر جميعاً الشعار اليهودى فى أمريكا "إدفع دولار تقتل عربى" وكل حكام العرب غافلون يجرون وراء الألقاب الفارغة والمجد الزائف الذى يصنعونه بخداع شعوبهم وفرحتهم بنتائج الإنتخاب المزورة ٩٩٫٩٪ والشعوب تعرف وتسخر ولا تستطيع الاعتراض فقد نجحت نظم الحكم العربية فى قتل روح المقاومة فى نفس كل عربى وزرعت فى النفوس الجبن والخوف وأصبح المواطن يحرص فقط على سلامته الشخصية ولقمة عيشه ولا شأن له ببلده فهو يعيش غريباً فى بلد غريب •

وهل يمكن أن ينسى شعب مصر واقعة ضرب رئيس مجلس الدولة فى مكتبه وبين مستشاريه ؟! •• وإعتبار ذلك نصراً للديموقراطية على الرجعية•• !

وهل كانت أمريكا تسمح بجمع تبرعات للعرب تحت شعار "إدفع دولار تقتل يهودى ؟ "•

الجمهورية العربية المتحدة :

وكانت مصر تعيش فى جو حماسى إعلامى كبير يدعو الى العروبة وإنشاء التجمع العربى من الخليج الى المحيط وكان الإعلام المصرى نشطاً وقوياً خدع الشعوب العربية عما كان يتعرض له الشعب المصرى من قهر وتعذيب فى المعتقلات من الإعتداء البشع على الحرمات والأعراض والكرامات مما كان لا يخطر على بال إبليس نفسه •• وكان أول المخدوعين الرئيس السورى المغفور له شكرى القوتلى الذى حضر الى مصر وسلم بلده سوريا أمانة لدى الرئيس المصرى عبد الناصر وتكونت الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨ وسلم عبد الناصر سوريا الى صديقه وزميله عبد الحكيم عامر الذى إنتقل هو وحواريوه الى سوريا حيث عاثوا فساداً وظلماً ونشروا المحسوبية والجاسوسية بين أفراد الشعب • وبدلاً من أن تكون الجمهورية العربية المتحدة حلقة تخنق إسرائيل أصبحت طوقاً ضيقاً حول سوريا يخنق الشعب السورى ويشجع التجسس بين أفراده وفتحت المعتقلات لكل من يجرؤ على المعارضة حتى أصبح الإنسان لا يأمن على نفسه

بين جدران بيته من زوجته أو بنيه "كما قال المذيع السورى يوم إنفصال سوريا عام ١٩٦١" وتم طرد القائد المصرى عبد الحكيم عامر وحواريوه زملاء السهرات الملونة الحمراء والزرقاء ٠

وكان تصرف الرئيس عبد الناصر أن أمر بتحرك الأسطول المصرى وأرسل فرقة الصاعقة بالطائرة الى سوريا الذين نزلوا فى مطار دمشق وتم إعتقالهم جميعاً ٠٠ ولما أفاق الرئيس المصرى من الصدمة أذاع بيانه على الشعب المصرى المقهور يمنى من يسانده ويسنده بالخير والسند ٠٠ ثم انتبه لتصرفه الأول وأمر الأسطول بالعودة وقال أنه أمر الصاعقة بعدم إطلاق النار ٠٠! ويبدو أنه أرسلهم ليكونوا حرس شرف للإنفصاليين ٠!

حرب اليمن ١٩٦٣ :

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس لعبة الإنقلابات فى المنطقة ففى سنة ١٩٦٣ قامت الثورة فى اليمن وإستدرجت القوات المصرية الى اليمن وهدد الرئيس المصرى بضرب المملكة العربية السعودية ٠٠ وضرب المطارات والقصور الملكية ٠٠ كل ذلك لتستنجد المملكة بالولايات المتحدة فتتدخل ٠٠ ويتم لها ما تهدف إليه وتضع يدها على آبار البترول فى الخليج وهو أهم مايشغل أمريكا والغرب من الأرض العربية ٠٠ ولكن لم تتم اللعبة أدوارها لوجود ملك عربى وطنى مسلم هو المغفور له الملك فيصل عليه رحمة الله الذى لم يستنجد بأحد وجند بعض الفصائل العربية واليمنية لشغل القوات المصرية ٠٠ وإستمر إستنزاف

القوات المصرية والمال المصرى لما يقرب من خمس سنوات لما بعد حرب ١٩٦٧ .

كل ذلك النزاع العربى بين الشعوب العربية ذات الأصل الواحد والدين الواحد واللغة الواحدة والمستقبل الواحد والتى تواجه عدواً واحداً فى سبيل مجد زائف لشخص واحد مخادع نسى القول المعروف "إنك تستطيع أن تخدع أحداً بعض الوقت ولكنك لن تستطيع أن تخدع الكل كل الوقت" ٠

والوقت يمضى وإسرائيل تبنى بلدها وتنمى شعبها وأمريكا والغرب كله يساعدها بكل شئ حتى أصبحت كما يصرح الأمريكان "أقوى من الدول العربية جميعاً ٠٠ وأنها وجدت لتبقى" ٠

حرب يونيو ١٩٦٧ :

قبل أن نصل الى الخامس من يونيو لابد أن نقف وقفة نصور فيها مشاعر الناس حتى الرابع من هذا الشهر الحزين ٠

والحق أن وسائل الإعلام هونت على الناس كل شئ وصورت أن جمال عبد الناصر بيده قوة قادرة لا تقهر فقد استهان بأمريكا وبريطانيا وسخر من الغرب كله ونقل ثقته بنفسه الى الشعب ، وكانت القوة المصرية تستعرض فى المناسبات فيمتلئ الجو بأزيز الطائرات وجلجلة الدبابات وأعلن أنه يملك الصواريخ وأن لدينا أكبر قوة فى الشرق الأوسط ونسى الشعب خطايا عبد الناصر وسيئاته

مادام سيهدم جبروت إسرائيل وارتبط فى أذهان الناس إسم الناصر صلاح الدين باسم الناصر الجديد ، بل أن كثير من الدول العربية وقع فى هذا الفخ ورأينا الملك حسين يغامر بدولته وجيشه بعد أن وقع فى الخديعة كما خدعت الجماهير العربية ٠ وكذلك إنضم العراق الى إتفاقية الدفاع المشترك مع مصر والأردن ٠

وفى منتصف مايو ١٩٦٧ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن هناك حشوداً عسكرية تتجمع على حدود سوريا – بناء على تبليغ من الإتحاد السوفيتى – وأنه تنفيذاً لمعاهدة الدفاع المشترك أعلن التعبئة وأمر بتحرك القوات المصرية الى سيناء لتكون مستعدة لنجدة سوريا ٠٠ وإنتشرت الأغانى الحماسية – والإعلام المصرى أستاذ فيها – والشعارات الجوفاء واللافتات التى تقول "غداً نشرب الشاى فى تل أبيب" ٠

وعقد جمال عبد الناصر مؤتمراً صحفياً هدد فيه إسرائيل ومن وراءها وهاجم الغرب كله وقال "انا مش خرع ذى ايدن" وسأل القائد العام عن إستعداده فرد "رقبتى ياريس" ومن الغريب أن يتوقع جمال عبد الناصر هجوم إسرائيل يوم ٥ يونيو دون أن يتخذ الاجراءات المناسبة ٠٠ فهل كان له دور فى تحطيم جيش مصر ليتخلص من صديقه اللدود عبد الحكيم عامر ؟ وترسيخ وجود إسرائيل ! هل هو توزيع أدوار ؟

وطلع علينا يوم الخامس الحزين فإذا إسرائيل قد قامت فى الصباح الباكر

بهجوم سريع بالطائرات على المطارات المصرية والطائرات رابضة فى أماكنها وفى ضربة واحدة سريعة فقدت مصر قوتها الجوية وأصبحت السماء المصرية مفتوحة أمام إسرائيل وباتت مصر كلها تحت رحمة عدو متغطرس ٠ وقيل يومها أن رجال القوات الجوية كانوا فى مساء ذلك اليوم فى حفل راقص إمتد حتى الفجر ، فلما آووا الى فراشهم إنطلقت إسرائيل بهجومها الجوى الباكر وهم نائمون ٠٠ وما أشبه ذلك بما حدث فى التل الكبيرة سنة ١٨٨٢ ٠٠ !

الأمم المتحدة والقرار ٢٣٧ والقرار ٢٤٢ :

فى ١٩٦٧/٦/٧ دعا مجلس الأمن الى وقف إطلاق النار ، ولكن إسرائيل استمرت فى عدوانها حتى احتلت الضفة الغربية للأردن وهضبة الجولان وبعد أن تم تثبيت وقف إطلاق النار إتخذ مجلس الأمن القرار رقم ١٩٦٧/٢٣٧ الذى يطالب إسرائيل بضمان سلامة وأمن سكان المناطق التى استولت عليها وتسهيل عودة النازحين وأن تراعى بدقة إحترام المبادئ الإنسانية التى تحكم حماية السكان المدنيين وقت الحرب والتى نصت عليها إتفاقية جنيف سنة ١٩٤٩ ٠ كما دعت الجمعية العامة فى دورتها الإستثنائية الطارئة التى عقدت بعد وقف القتال – الحكومات والمنظمات الدولية – الى تقديم المساعدات الإنسانية لمن تأثروا بالحرب ٠ وطلبت الجمعية العامة من إسرائيل إلغاء جميع التدابير التى إتخذتها بالفعل والكف عن اتخاذ مزيد من الإجراءات التى من شأنها تغيير وضع مدينة القدس ٠ ولكن إسرائيل تجاهلت القرار تماماً ومازالت ٠

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ إتخذ مجلس الأمن - بالإجماع - القرار رقم ١٩٦٧/٢٤٢ الذى يضع المبادئ لتسوية سلمية فى الشرق الأوسط ونص القرار على أن إقامة سلام دائم وعادل يجب أن يتضمن تطبيق مبدأين : "إنسحاب القوات الإسرائيلية من أراضى احتلتها فى الحرب الأخيرة" و "إنهاء جميع إدعاءات أو حالات الحرب واحترام سيادة دول المنطقة والاعتراف بالاستقلال السياسى لكل دولة وحقها فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها وغير معرضة للتهديد أو استخدام القوة" ودعا الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وأكد أيضاً ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية فى المنطقة ٠

وقبلت مصر والأردن بالقرار وطالبتا بإنسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها سنة ١٩٦٧ وقبلت إسرائيل أيضاً ولكنها أعلنت أن مسألتى الإنسحاب واللاجئين لا يمكن حلها إلا بالتفاوض ٠٠ ورفضت سوريا القرار لأنه جعل الإنسحاب خاضعاً لتنازلات تفرض على الدول العربية وإنتقدت منظمة التحرير الفلسطينية القرار الذى إختزل قضية فلسطين الى قضية لاجئين ٠

ويجب أن نذكر بعض الملاحظات الهامة :

١- أصر الرئيس المصرى على أنباء الحشود الإسرائيلية رغم تكذيب سوريا ٠

٢- حدد تاريخ هجوم إسرائيل دون اتخاذ الإجراءات اللازمة خصوصاً وهو أصلاً ضابط من القوات المسلحة ٠

٣- أعلن التعبئة العامة واستدعى الإحتياطى وأرسله الى الميدان بالجلابيب

دون سلاح ودون لبس عسكرى ودون تشكيله فى وحدوات ودون ٠٠٠ الخ وكانت صورهم فضيحة فى العالم أجمع ٠

٤- هاجمت اسرائيل صباح ٥ يونيو والقائد العام المصرى فى الطائرة الى سيناء لزيارة قواته ، فلما علم بالهجوم الإسرائيلى أمر قائد الطائرة بالعودة الى القاهرة بدلاً من أن ينزل بين قواته ٠!

٥- بمجرد وصول القائد العام الى مركز قيادته أصدر أمر إنسحاب القوات المصرية من سيناء ٠٠ وأصدر الأمر الى ضابط من الشرطة العسكرية ٠٠ وقائد الجبهة لا يعلم بإنسحاب قواته ٠

٦- بعد نهاية الحرب والهزيمة - الغير مسبوقة فى التاريخ - خطب السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى الجامع الأزهر وقال أن ماحدث فى الحرب كان خيانة عظمى ٠٠ ولكنه أخفى خيانة من ؟

٧- فى مساء يوم ٩ يونيو ألقى الرئيس عبد الناصر كلمة عبر الإذاعة والتليفزيون تنحى فيها عن رئاسة الجمهورية ، وقام حزب الإتحاد الإشتراكى بتمثيلية محكمة تبتت الرئيس فى موقعه ولما أرسل الى مجلس الأمة يبلغه ببقائه فى موقعه قابل المجلس هذا الخبر بسرور وفرحة طاغية وقام أحد نواب المجلس يرقص فرحاً ودماء آلاف الجنود والضباط مازالت ساخنة فوق رمال سيناء ٠ كل هذا على شاشات التليفزيون أمام دهشة وعجب الشعب المقهور ونشرت المجلات العالمية صورة النائب الراقص بهجة وفرحاً وصورة الإسرائيليين الباكين على قتلاهم الذين لم

يتعدوا العشرات تحت عناوين :

"المهزومون يرقصون والمنتصرون يبكون"

وسبب الهزيمة فى الحربين ٥٦ ، ٦٧ هو قصر النظر وعدم الإستعداد وعدم تقدير العواقب والبحث عن المجد الزائف وتهليل الرعاع ٠٠٠ وإلا كيف تدور الحرب بين طرف كامل القوة وله السيادة الجوية وطرف جاهل ، ضعيف يفتقر الى غطاء جوى ٠٠ لا بد من الهزيمة ٠٠ وقد كان ٠

وكما إنتصرت إسرائيل على مصر ، إنتصرت على سوريا وإحتلت هضبة الجولان وإنتصرت على الأردن وإستولت على الضفة الغربية لنهر الأردن وأصبحت إسرائيل تحتل كل أرض فلسطين وسيناء ووصلت حدودها الغربية الى قناة السويس٠ وفى هذه الأيام الحزينة طالبت الصحف الإسرائيلية بالإستيلاء على شمال شبه الجزيرة العربية والوصول الى المدينة المنورة وماحولها حيث كانوا يسكنون من ألف وأربعمائة سنة وطردهم رسول الله الكريم عليه الصلاة والسلام٠

أخطاء القيادة المصرية :

وقد كانت أكبر أخطاء القيادة المصرية السياسية والعسكرية إصدار أمر إنسحاب القوات المصرية من سيناء - تقليداً لما حدث فى ١٩٥٦ - بعد ضربة الطيران مباشرة ، إنتهزها العدو الإسرائيلى فرصة لضرب المنسحبين وإنهارت

الجبهة المصرية فى سرعة عجيبة دون أن تشتبك فى معركة حقيقية نتيجة جهل القيادة المسئولة وإسناد الأمر لغير أهله سواء سياسياً أو عسكرياً ، حتى قال موشى ديان على النصر الذى أحرزه دون قتال : "إن ماحققناه من نصر كان أكثر مما تمنيناه ، ولو أن أكثر أعداء مصر قد وضع تخطيطاً لسحق جيش مصر ما إستطاع أن يحقق ماحققته سياسة جمال عبد الناصر" •

والحقيقة أن تصرف جمال عبد الناصر عقب تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦ يشبه تصرفه فى مايو ١٩٦٧ ، كلاهما إندفاع بدون خطة ودفع للجنود والمعدات بدون نظام وبشكل سماه الأستاذ توفيق الحكيم فى كتابه عودة الوعى "التهويش" ولكن التقليد فى ١٩٦٧ لم يجده شيئاً • فإنسحاب ١٩٥٦ حماه الأمريكان وبعد إنسحاب المعتدين إنطلقت أبواق الإعلام الكاذب تهتف بإنتصار مزعوم حققه عبد الناصر ويبدو أنه فعلاً وقع فى شبكة الخديعة واعتقد فعلاً أنه إنتصر وحاول التقليد والتهويش سنة ١٩٦٧ ولكن سخريته بأمريكا وتهجمه المتكرر عليها جعلها تتمادى فى تأييد ومساندة إسرائيل حتى طال بقاؤها فى سيناء •

لقد كان قرار الإنسحاب اقراراً بالهزيمة وبسبب الزحف بدون نظام والإنسحاب بدون نظام ضاعت الأسلحة الضخمة وسقط الرجال برصاص العدو وبالجوع والجهد والعطش والقنابل الحارقة •• وبينما الهزائم فى سيناء تتم كانت الإذاعة المصرية سادرة فى ضلالها ، وفى إحدى المرات قال عبد الناصر لعامر : "أذكر أى شئ للشعب لأنه متلهف للأخبار" فقال عامر : "قولوا

للصحافة أننا أسقطنا ٢٠٠ طائرة إسرائيلية" فقال عبـــد الناصر : "خليهم ١٠٠" وهكذا كانت القوات المصرية تنهار بينما تذيع الإذاعة اننا أسقطنا مئات الطائرات وأن انتصارنا حق لا شك فيه ٠

يقولون عن هذه الحرب ، أنها حرب الأيام الستة ، والواقع أن الجبهة المصرية إنهارت فى ساعات وسرعان ما احتل العدو سيناء ثم واصل زحفه على الضفة الغربية للأردن فاستولى عليها ثم على مرتفعات الجولان جنوب سوريا وحققت إسرائيل فعلاً أكثر مما تمنته ٠

ويتحدث كيسنجر فى مذكراته "سنوات البيت الأبيض" عن هذه الحرب ودور السوفيت وظن عبد الناصر أنه يستطيع تحقيق البطولات بالكلمات لا بالحرب مايلى :

"فى ٥ يونيو ١٩٦٧ تمددت إسرائيل عبر حدودها فى ذروة من سلسلة أحداث متعاقبة ضاعت فيها الأهداف العربية على مذبح اللغة الطنانة البلاغية العربية ٠ ففى شهر مايو ١٩٦٧ قام الاتحاد السوفيتى بتحذير مصر من هجوم إسرائيلى يوشك أن يقع على سوريا ٠٠ وأمر الرئيس عبد الناصر بطريقة متهورة بأن يتحرك جيشه الى سيناء التى كانت من الناحية العملية منزوعة السلاح منذ عام ١٩٥٦ وأعلن غلق مضيق تيران الذى يتحكم فى الطريق الى إيلات الميناء الإسرائيلى وطلب سحب القوات الدولية التى كانت تفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية" ٠

وفى نوفمبر ١٩٦٧ أعلن عبد الناصر أن الطريق الى القاهرة كان مفتوحاً أمام إسرئيل ، كما أعلن أن مصر خسرت فى الحرب ٨٠٪ من سلاحها وعشرة آلاف جندى وألف وخمسمائة ضابط وأسر خمسة آلاف جندى وخمسمائة ضابط لم يعد أكثرهم • وتذكر المراجع أن ضحايا هذه الحرب يبلغون خمسة وثلاثون ألف جندى قتل أكثرهم فى ساعات • أما تدمير مدن القناة فخسارته أعظم من أى تقدير ، كما أعلن أنه هو المسئول عن النتيجة •

ولنا أن نتساءل : مامعنى المسئولية ؟ وكيف وفىّ بها هذا المسئول ؟

ويجب ألا تمر هذه المأساة البشعة والمريرة دون أن نبحث عن أسبابها وهى :

١- أن عبد الناصر وعامر وجها كل إهتمامهما الى تدمير الشعب والجبهة الداخلية بحجة تأمين نظام الحكم وعمليات التطهير المتوالية والإعتقالات وماكان يحدث فى المعتقلات والسجون زرع الخوف والجبن فى نفس كل مواطن •

٢- إهمال العناية بالجيش وترك الإشراف عليه الى الجهل والمكابرة متمثلاً فى شمس بدران الذى قال أنه سيدمر الأسطول الأمريكى السادس ، فمثل هذا القول لا يصدر إلا عن جاهل عديم الخبرة بمبادئ الحرب الأساسية •

٣- الثقة بالإتحاد السوفيتى وعدم الحرص والتبصر فى التعامل معه وهو الذى

أبلغ أن إسرائيل تحشد حشودها لضرب سوريا ولم يكن ذلك صحيحاً .

٤- جهل المخابرات المصرية تماماً بتطور جيش إسرائيل وبالعلاقة الخاصة بين إسرائيل وأمريكا ووجهت كل نشاطها للإيقاع بالمصريين داخل الوطن .

٥- لم يكن التنسيق بين مصر وسوريا فى حرب ١٩٦٧ صادقاً .. فقد ثبت أن كلاً منهما كانت تخفى عن الأخرى أهم تفاصيل الخطط الحقيقية وكان الشك متبادلاً بينهما .

٦- كانت القوات فى سيناء كثيرة العدد وكانت الأسلحة وخاصة الدبابات وقطع المدفعية كثيرة وكان الإنسحاب تحت ضغط السيادة الجوية للعدو مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ولذلك كانت النتيجة مثيرة للذعر .

وفى الحق كانت القوات المصرية ضحية حرب الخامس من يونيو ولم تكن أحد أسبابها .

وانتهت حرب ١٩٦٧ وقررت الأمم المتحدة وقف القتال وقبلته مصر وإسرائيل ولكن إسرائيل إستمرت فى زحفها الى أن تم لها الاستيلاء على الضفة الغربية للأردن وعلى مرتفعات الجولان جنوب سوريا كما ذكرنا من قبل.

وفوضت مصر الإتحاد السوفيتى فى الاتصال بالولايات المتحدة الأمريكية بلا تحفظ والتحدث بإسم مصر وستقبل القيادة المصرية مايتفق عليه الطرفان .

وهل إتعظت القيادة المصرية وأفاقتها الهزيمة ؟ أبداً ٠٠ لقد عادت الى سياسة القمع الداخلى وخداع الشعب ٠٠ المحاكمات الصورية ٠٠ وبيان ٣٠ مارس أمام غضبة الطلبة والعمال لإمتصاص غضبهم وعاش الشعب سنوات التمزق والحيرة ٠

وقد شكلت إسرائيل المنتصر بعد إنتهاء الحرب سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧ لجاناً للتعرف على الأخطاء والدروس المستفادة من العمليات الحربية ٠٠ ولم تشكل مصر أى لجنة أو تعدل من سياساتها علها تستفيد للمستقبل ٠٠ وكيف تكشف أخطاء القيادة السياسية الملهمة التى تعمل دون حسابات أو تكشف أخطاء القيادة العسكرية الجاهلة التى تحلت بالمظهر وفقدت جوهر الروح العسكرية ٠٠ بل لجأت القيادتان المسئولتان الى تصفية الحسابات الشخصية الصغيرة مع خصومهم ومن تتوهم فيهم المعارضة ، وتلطيخ سمعة الأشراف بالإشاعات الكاذبة التى تطلقها أبواق المخابرات وللأسف يرددها بعض الببغاوات ٠ وأصدرت الحكومة القوانين المانعة من التقاضى ٠٠ !

وظل الشعب المصرى مكسوراً مقهوراً تحت نير المخابرات والمباحث ولا يسمع إلا الشعارات الكاذبة وأسلوب الحماس المخادع ، حتى أن الرئيس عبد الناصر قال يوماً فى احدى خطبه : "ماذا أخذت إسرائيل ٠٠ أخذت شوية رمل" وكأن سيناء لا تمثل لديه إلا شوية رمل ، ونسى بترول سيناء ومعادن سيناء ٠٠ وكرامة مصر ٠

وهكذا كانت إسرائيل تكسب كل يوم نصراً جديداً ••• وكانت مصر تخسر كل يوم أرضاً جديدة •

وإنتهى جيش مصر دون أن يشتبك فى معركة بفضيحة غير مسبوقة على مدى التاريخ •• جيش مصر صاحب الأمجاد الكثيرة •• جيش الظاهر بيبرس وقطز الذى دمر التتار وحمى العالم كله •• جيش صلاح الدين الذى طرد الصليبيين من الشرق •• جيش محمد على الذى وصل الى الأناضول وهدد الخليفة العثمانى •• جيش إسماعيل الذى وصل الى منابع النيل ووسط أفريقيا والصومال •• هذا الجيش كان دائماً فى خدمة مصر وكان يقوده رجال أبطال يعرفون لمصر حقها ويحفظون شرفهم وكرامتهم •

فلما وضع فى خدمة رئيس جاهل مغرور سيق هو وشعبه لحتفهم دون أن يدرى ووضع تحت قيادة لاهٍ جاهل قضى على الإنضباط والروح العسكرية وجعل الجندية وظيفة وليست تضحية ، كانت لا بد أن تكون هذه هى النهاية المحتومة •

وما أن تبدلت القيادة حتى إسترد الجيش كرامته فعبر أصعب وأقسى مانع مائى وحطم خط بارليف وانتصر على الجيش الذى لا يهزم وقطع الذراع الطويلة •• ولولا تآمر القوى المعادية للعروبة وللإسلام لأتم مهمته وقضى على الدولة المزعومة •

ولكن لكلٍ قدره وموعده •

الفصل الثالث عشر

سنوات التمزق ٠٠٠ والانفجار

إن إنتصار إسرائيل سنة ١٩٦٧ كان إنتصاراً للمجتمع الديمقراطى المتحضر أمام المجتمع الدكتاتورى المتخلف ٠٠٠ فإسرائيل ذات المليونين ونصف – فى هذا الوقت – تنتصر على أكثر من خمسين مليوناً يحيطون بها أمر يدعو الى التفكير بعمق فيما جرى وأسبابه ٠٠٠ ونالت إسرائيل أكثر بكثير مما كانت تحلم به ٠

لقد ثبت أن عبد الناصر كان لا يعرف حقيقة قواته ويجهل كل شئ عن قوات العدو وهذه أخطر وصمة يوصم بها رئيس ٠٠ كما أن حبه للسلطة وطمعه فى مجد هو غير مؤهل له جعله يعتمد على التهويش والدعاية الكاذبة ظاناً أنه يحقق بعض أوهامه ٠

ويرى بعض المفكرين أن عبد الناصر أراد بالحرب أن يتخلص من مشيره عامر بعد أن عجز عن التخلص منه بدون حرب ٠٠ وإن صح ذلك فهى الخيانة العظمى ٠

وكانت خسارة مصر فى الأرض والمعدات والأسلحة والبشر ضخمة ٠٠٠ ضخمة جداً إلى حد كبير جداً جعل العدو يحقق نصراً لم يكن يتوقعه بل إن

عبد الناصر قال فى بعض خطبه – دون خجل – أنه لم يكن هناك جندى واحد بين العدو والقاهرة ٠

لقد كان عبد الناصر – بحق – هشاً ، كان أسداً على العزل من المصريين وكان فأراً أمام العدو ٠٠ ولم يتعلم درساً واحداً من الحرب سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ٠

ويجب أن نذكر كتاب "مجزرة الأبرياء" للأستاذ وجيه أبو ذكرى : "فقد سيق شباب مصر بالالآف للموت بدون تدريب وبدون تسليح وبدون أجهزة وبدون خطة بل وبدون طعام٠" والمسئول الأول والوحيد عن هذا هو عبد الناصر فقد أثار إسرائيل دون إستعداد وهو الذى أطلق الكلاب بالداخل تقضى على شجاعة المصريين وشرفهم منذ عين صلاح نصر وحمزة البسيونى وشمس بدران وعلى شفيق ليكونوا صقوراً وهم أضعف من اليمام ٠٠ ليكونوا قادة وهم أذلة عبيد ٠

ويقول الأستاذ إسماعيل النقيب تعليقاً على مأثير حول جانب من جوانب الفجور فى ذلك العهد كشفت عنه إمرأة فى كتاب ساقط : "العجيب أن السادة أصحاب الأقلام قد أدانوا إعتماد خورشيد" مؤلفة الكتاب لأنها أعلنت عن كبائر الإثم والفواحش ولم يحاكموا الفعلة الأصليين ٠٠ حاكموا الإعلان ولم يحاكموا الأفعال ٠ وإتضح أن الثورة بمبادئها الستة دخلت غرف نوم الحريم والمحظيات ولم تدخل ساحة العمل الثورى ٠

إهتزت ثقة الجماهير فى القيادة ، وابتعد الشرفاء عن السفينة الغارقة وإحترق الضمير الإجتماعى وانطلقت الرغبات والأهواء بلا حدود : جنس — رشـــوة — فساد — لا مبالاة — ٠٠٠ الخ ٠

وكانت الكارثة الكبرى بعد ضياع سينا أن تولت بعض عناصر القوات السوفيتية إدارة شبكة الدفاع الجوى عن مصر ٠٠ ومع هذا ظل بعضهم يمجد عبد الناصر ٠

وتوفى عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ولو أردنا تقييم عهد عبد الناصر موضوعياً لقلنا : أنه جاء الى الحكم سنة ١٩٥٢ وكان الانجليز يقيمون فى قاعدة القناة وكنا ندينهم بمبلغ خمسمائة مليون جنيه إسترلينى ، وعندما رحل بعد ثمانية عشر عاماً ترك مصر وقد أصبحت قاعدة روسية وكانت سينا وغزة والضفة الغربية والجولان قد أصبحت تحت الإحتلال الإسرائيلى ، وكانت آبار البترول المصرية تعمل لإسرائيل ، كما كانت قناة السويس مغلقة ومدنها وقراها مهدمة ومهجورة وسمعتنا جيشاً وشعباً فى الحضيض وديوننا الخارجية أصبحت فوق الإحتمال ٠٠ هذا من الناحية العسكرية والإقتصادية أما من الناحية الإجتماعية فكانت هذه السنوات سنوات قهر وذل ومرارة ٠٠٠٠ وهذا هو التراث الذى ورثه السادات وكأنى أسمعه يدعو "الله المستعان" ٠

الرئيس السادات :

تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية بعد وفاة عبد الناصر بإعتبار أنه كان

يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية وأصبح رئيساً شرعياً لمصر فى منتصف أكتوبر ١٩٧٠ بعد الإستفتاء • وكانت هناك طغمة من مراكز القوى طامعة فى إستمرار نفوذها وطموحاتها وكانت تعتقد أنها أحق من السادات برئاسة مصر وكان زعيم هذه العصبة هو على صبرى رئيس الوزراء •

مراكز القوى :

ويجب أن نذكر أنه فى غيبة وعى عبد الناصر السياسى وعقليته الإجتماعية نشأت مراكز كثيرة للعبث بشئون الناس أكبرها وأهمها تلك القوة الجبارة التى يقودها الرجل الذى لا يفيق عبد الحكيم عامر ومجموعة حواريه الذين عرفوا بالفحش والانحلال والخيانة الوطنية وقد سقط هذا المركز بسقوط البلاد فى هاوية ١٩٦٧ ، وسرعان ماتكون مركز آخر من على صبرى رئيس الوزراء وشعراوى جمعة وزير الداخلية ومحمد فوزى وزير الحربية ومحمد فايق وزير الإعلام وسامى شرف وزير شئون رياسة الجمهورية وأمين هويدى مدير المخابرات العامة ولم يكن هذا المركز فى مستوى قوة مركز عبد الحكيم عامر الذى كان يناوئ عبد الناصر معتمداً على الجيش ، أما هؤلاء فكانوا ذيولاً لعبدالناصر يعيشون فى رحابه وكانوا الى القش أقرب منهم الى الصلابة وسرعان ماسقطوا بسقوط من كانوا يعمدون ظهورهم عليه وفشل تآمرهم •

عام الحسم :

توفى عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وكان هناك إتفاق لوقف إطلاق

النار بين مصر وإسرائيل وأعلنت مصر الحداد لمدة ٤٠ يوماً تنتهى فى ١٩٧٠/١١/٥ وكان هذا داعياً لموافقة مصر على مد وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة شهور تنتهى فى ١٩٧١/٢/٥ وأعلن السادات أنه بعد هذا التاريخ لا بد من تسوية الموضوع فعام ١٩٧١ هو عام الحسم •

محاولات الحل السلمى :

اضطربت الساحة الدولية بنشوب الحرب بين الهند وباكستان وإنتصرت الهند بالسلاح الروسى والمساندة السوفيتية ورأى الإتحاد السوفتيى تأجيل توريد الأسلحة اللازمة لمصر حتى لا تتعرض الولايات المتحدة لخسارة جديدة فى الشرق الأوسط – أو هذه كانت حجتهم – وهكذا تأجل عام الحسم •

وبحلول ٥ فبراير ١٩٧١ إنتهت فترة وقف إطلاق النار وأعلن السادات فى مجلس الشعب إستعداده لمد وقف إطلاق النار لمدة شهر يتم خلاله إنسحاب جزئى لإسرائيل وتبدأ مصر فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة • وفى ٨ فبراير تقدم دكتور يارنج ممثل الأمم المتحدة بمشروع يقضى بإعلان إسرائيل إنسحابها الى حدود ١٩٦٧ وأن تتعهد مصر بتوقيع إتفاق سلام يضمن حرية الملاحة فى قناة السويس ومضيق تيران مع ترتيبات خاصة لشرم الشيخ ، وقبلت مصر هذا المشروع ورفضته إسرائيل •

فى ٤ ، ٥ مايو زار وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية مصر ظناً منه أن القيادة الجديدة فى مصر ستختلف عن قيادة عبد الناصر وأعلن أن الدبلوماسية

الأمريكية يمكنها أن تعدل موقف إسرائيل ومحاولة التوفيق بين تفسير كل من مصر وإسرائيل للقرار رقم ٢٤٢ وأن الولايات المتحدة مستعدة للقيام بدور الوسيط اذا طلبت مصر منها ذلك ٠

وفي ٩ مايو قدم الى مصر سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكي يحمل وجهات نظر إسرائيل في الحل السلمي وهي : وقف دائم لإطلاق النار ، والإتفاق على فتح قناة السويس بإنسحاب جزئي لإسرائيل ، وأن يبقى في خط بارليف مهندسون مدنيون إسرائيليون ، وألا تعبر قوات مصرية شرق القناة ٠

ورفضت مصر هذه المقترحات وأحست أن أمريكا لا تريد الحل رغم أنه في يدها وأنها تلقى بثقلها مع اسرائيل ، وأن مصر لابد أن تخطب ود الإتحاد السوفيتي لتحصل على العون العسكري والمساندة السياسية ، وهذا الموقف هو الذي قاد الى توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين مصر والإتحاد السوفيتي في ١٩٧١/٥/٢٧ ٠ ولكن لم يوفى الإتحاد السوفيتي بما وعد به من تقديم الأسلحة والذخائر لمصر كما نصت المعاهدة ٠

وهكذا لم يحدث تطور في موقف مصر من إسرائيل ، فلا التدخل الأمريكي أجدى ولا الوعود السوفيتية تحققت وتأجل عام الحسم ٠

وجاء عام جديد وكان المواطنون يتندرون ويقولون "عام الحسم بشرطة" بينما الرئيس السادات يصر على دخول مصر الحرب مع إسرائيل ولكن بعد إتمام

الإستعداد العسكرى ، وكان الإتحاد السوفيتى قد إتفق مع الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة الوفاق والاسترخاء العسكرى فى المنطقة والابقاء على حالة اللاسلم واللاحرب ، وأرسل رسالة الى الرئيس السادات مفادها أنه ليس من الضرورى المطالبة بمزيد من الأسلحة حيث أن فرص التغلب على إسرائيل غير محتملة مما أثار السادات فقرر طرد الخبراء الروس من مصر – وكان عددهم ١٧ ألف – فى يوليو ١٩٧٢ ، وإلغاء المعاهدة .

وفى أكتوبر ١٩٧٢ أقال السادات الفريق صادق حيث أنه كان يعارض المغامرة بحرب محدوده ويطالب بحرب شاملة بعد إتمام الاستعداد لها وعين الفريق أحمد اسماعيل وزيراً للحربية وقائداً عاما وهكذا انتهى عام ١٩٧٢ "عام الحسم بشرطة" .

السادات يصالح الجميع :

وجاء عام ١٩٧٣ وبذل السادات محاولات كثيرة للحل السلمى وعرض عدة مبادرات ووسط كثيرين من زعماء العالم ولكن العدو لا يعرف السلام ولكنه يهوى الغصب والإستيلاء على حقوق الآخرين واقتنع السادات أنه لا بد من حركة عسكرية قوية إن لم تكن لرد الحقوق فلتكن لبعث الحياة فى القضية وبدأ السادات يعد العدة للمعركة فبدأ بالمصالحة مع المصريين فى الداخل ثم مع العرب ثم مع دول العالم فقد كان عبد الناصر قد قطع الخيوط كلها مع جميع هذه الجهات .

ففى الداخل أوقف السادات الإعتقالات والتعذيب والمصادرات والمحاكمات الجائرة ٠

ومع العرب حل الود والإحترام محل نتف الذقون والبذاءة التى تمس الآباء والأمهات وإهتم بإصلاح مابين الدول العربية بعضها والبعض كما إهتم بتنمية الود والتعاون مع سائر دول العالم ٠

الإستعداد للمعركة :

وبدأت بذلك الاستعدادات للمعركة رغم الأزمة الاقتصادية الطاحنة وعدم كفاية الأسلحة ، وبهذا كان الاعتماد على الذات والاستعداد للتضحية ٠

مقارنة بين الجيش المصرى سنة ١٩٦٧ والجيش سنة ١٩٧٣ :

– فى سنة ١٩٦٧ كان الجيش المصرى يملك ترسانة ضخمة من الأسلحة ولم يكن الحال كذلك سنة ١٩٧٣ فإن الإتحاد السوفيتى لم يعوض مصر ماخسرته سنة ١٩٦٧ وكان يخشى أن تتكرر الهزيمة وتستولى إسرائيل على الأسلحة السوفيتية ٠

– فى سنة ١٩٦٧ كان الجيش المصرى يرابط على حدود العدو أما سنة ١٩٧٣ فجيش إسرائيل يحتل الأرض المصرية ، وأرض إسرائيل بعيدة جداً عن أقدام المصريين ٠

– فى سنة ١٩٦٧ كانت علاقة مصر بالسوفيت قوية جداً بينما فى سنة ١٩٧٣ كانت العلاقات ضعيفة ومتوترة بعد طرد الخبراء السوفيت وإلغاء المعاهدة.

– فى سنة ١٩٦٧ كانت الروح المعنوية المصرية عالية جداً والأمل فى النصر كبير أما فى سنة ١٩٧٣ كان الخوف أن تتكرر الهزيمة .

ووضعت القيادة المصرية خطة هائلة للتمويه والخداع نجحت نجاحاً باهراً لدرجة أن موشى ديان صرح بقوله : "وحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصياً فى أن الحرب ستنشب فعلاً ولم أكن أنا الوحيد الذى أعتقد ذلك" .

نشوب المعركة :

فى قفزة هائلة أقرب الى الخيال وفى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السادس من اكتوبر تغير كل شئ فى المنطقة .

إنطلقت الطائرات المصرية تزأر وتضرب مراكز القيادة حتى شلت الفانتوم التى تعتمد عليها إسرائيل وفى نفس الوقت بدأت سوريا الضرب بمنطقة الجولان وإنطلق من الجبهة المصرية ألفى مدفع ثقيل ترمى الحمم على خط بارليف الذى كانت إسرائيل تفخر بأن حصونه أقوى من خط ماجينو بفرنسا وأنه لا يمكن أن يخدش .

وإنطلقت موجات الهجوم الأولى تعبر القناة تحت النيران وتهاجم النقط الحصينة على طول القناة فى خط بارليف وتقضى عليها رغم مقاومتها العنيدة الشديدة ورغم مساعدة الدبابات والمدفعية ، وسلاح المهندسين ينجح فى نصب كبارى العبور وقواتنا البحرية تضرب أهداف العدو على شاطئ البحر الأبيض والبحر الأحمر ونجحت فى عدة معارك بحرية ضد زوارق العدو وضفادعه البشرية ودمرت بعض سفن العدو ، وقواتنا الخاصة تنزل خلف خطوط العدو فى عمق سينا لضرب إمداداته وتعطيل هجماته المضادة وقوات الصاعقة تضرب أهداف العدو فى عمق سينا .

وقواتنا تتدفق من الغرب الى الشرق لا تتوقف وبعد أربع وعشرين ساعة كان لنا فى الشرق خمس فرق كاملة وهو شئ رائع لا مثيل له من قبل فى تاريخ الحروب . وتم تدمير النقط الحصينة فى خط بارليف - واحتفظنا بواحد منها للذكرى - وتحولت المواقع حلم إسرائيل فى الأمن المطلق الى أنقاض ، واعترفوا بذلك .

ومن لطف الله ورحمته أن عدد الشهداء والجرحى كان قليلاً جداً لدرجة أن القيادة فى الأيام الأولى إكتفت بنقط الإسعاف ولم تعبر كتائب الأطباء إلا بعد ثلاثة أيام .

وتم رفع العلم المصرى على الضفة الشرقية قبل مساء يوم الهجوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ أما إسرائيل فقد كانت بلاغاتها العسكرية فى أول يومين بالغة الغرور

وكانت بلاغاتنا فى منتهى الدقة ، ولكن العالم الخارجى كان يصدق بلاغات إسرائيل التى ادّعت فيها أنها ستطحن عظام العرب ، واتصلت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل بواشنطن وأبلغتهم أن إسرائيل فى حاجة الى يومين فقط لتحطم عظام العرب فى مصر وسوريا وطمأنت مائير واشنطن بألا تقلق ، وبعد نهاية اليومين إتصلت مائير ثانية وقالت أنها فى حاجة الى يومين آخرين • وأكد ديان فى حديثه على القضاء على العرب فى ظرف ٤٨ ساعة وحق إسرائيل فى تعويض الأسلحة من أمريكا بعد تحطيم العرب •

الزلزال ••• انقدونا

وفى نهاية المهلة الجديدة التى طلبتها إسرائيل ، إستغاث السفير الإسرائيلى فى واشنطن بوزارة الخارجية الأمريكية فى رسالة عاجلة تصرخ : إنقذوا إسرائيل ••• وأعلن السفير أن إسرائيل فقدت أربعمائة دبابة على الجبهة المصرية وأن الطريق أصبح مفتوحاً الى تل أبيب •

وتقول جولدا مائير فى كتابها (حياتى) "لقد طلبت من السفير الإسرائيلى فى الولايات المتحدة عدة مرات أن يتصل بالمسئولين فوراً لإنقاذنا ••• إن الموت يأكل جنودنا ، إن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جداً •••"

وتقول صحيفة "هاعولام هازية" الإسرائيلية "أن الجنرال موشى ديان قد إنهار فى اليوم الثانى من حرب أكتوبر عندما حطمت القوات المصرية جميع الهجمات الإسرائيلية فى سينا ووصلت القوات السورية الى مسافة قصيرة من

وادى الأردن وأوقعت خسائر جسيمة فى الدبابات والطائرات الإسرائيلية ، كل هذه الأحداث حولت ديان الى رجل محطم" .

أمريكا تدخل المعركة :

ثم تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذ إسرائيل وبدأ الجسر الجوى الأمريكى يحمل الى إسرائيل فيضاً من الأسلحة والصواريخ والمعدات وبعضها كان يستعمل لأول مرة وقنابل " المافريك " المدمرة وقنابل "اكاستر " ذات الخطورة البالغة مما ظهر أثره فى إصابات الجرحى مما جعل الأطباء يؤكدون أن سلاحاً جديداً بدأ يظهر فى المعركة ولم يكن معروفاً من قبل .

وفى أيام قليلة قدم الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل أسلحة تزيد قيمتها على ٢٫٥ مليار دولار ، وقد وقع فى أسر القوات المصرية بعض الدبابات الأمريكية قراءة عدادها لا تتعدى ٢٠ كم وهى المسافة من مطار العريش الى ميدان المعركة حيث كانت الدبابات تنزل فى المطار وهى جاهزة بالوقود والسلاح والذخيرة والطقم العامل وتتجه مباشرة الى المعركة .

وإتضح تماما أن أمريكا هى الطرف الأساسى فى المعركة إذ تدخلت تدخلاً كاملاً سافراً فى المعركة وهذا ما أشار له الرئيس السادات بقوله "إن هناك أموراً لم تعلن وأسراراً لم تكشف بعد عن حرب اكتوبر وهى مذهلة يشيب لهولها الولدان وستعلن فى الوقت المناسب ، فلقد كان هدف أمريكا القضاء

القوات المصرية وذلك بإبادة جماعية مدروسة" .

ولم تكتف الولايات المتحدة بهذا العون الكبير لإسرائيل بل أعلنت أنها ستقف ضدنا وأنها ستقاوم أى عمل مصرى يخالف تعليماتها . وفى نفس هذا الوقت الذى تتدفق فيه الأسلحة على إسرائيل تقاعس الإتحاد السوفيتى عن إمدادنا بالأسلحة اللازمة .

ويجب أن نعرف جميعاً أن أمريكا غرست إسرائيل فى فلسطين لتكون رأس حربه فى قلب العالم العربى والإسلامى وكثيراً ماصرحت أن إسرائيل "ولدت لتعيش" و"وجدت لتبقى" . وواجب كل مصرى وكل عربى وكل مسلم أن يدرك تماماً أن عدونا الحقيقى هو أمريكا "زعيمة الغرب الذى لم ولن يفيق من صليبيته وحقده على الاسلام" ولنذكر جميعاً تصريح الجنرال اللنبى فى القدس سنة ١٩١٧ وتصريح الجنرال جورو فى دمشق سنة ١٩٢٠ . هذا رغم مايقوم بيننا وبينهم من علاقات ، وهذا مايجب أن يثبت فى ذاكرتنا دوما .

أمريكا والثغرة :

كانت سوريا قد حققت فى الأيام الأولى للحرب انتصاراً هائلاً ضد إسرائيل واستعادت معظم الجولان وكانت مصر قد حققت هدفها من الحرب فحطمت خط بارليف وأوقعت خسائر كبيرة جداً باسرائيل وخلقت صحوة أعادت الحياة للقضية وهزت المجتمع العالمى ، وفى اليوم العاشر من اكتوبر

إكتفت إسرائيل بإيقاف التقدم على الجبهة المصرية وشددت الضغط على الجبهة السورية وضربت بعض الأهداف الإقتصادية بهدف التغلب على سوريا وأخراجها من المعركة . وطلبت سوريا من مصر تشديد الضغط على إسرائيل حتى يخف ضغطها على الجبهة السورية واستجابت مصر لطلب سوريا ودفعت القوات الإحتياطية شرقاً فى اتجاه المضايق . وفى هذا الوقت إكتشفت طائرات الإستطلاع الأمريكية تحرك القوات الإحتياطية من غرب القناة ووجود ثغرة عرضها ٢٥ كم بين الجيشين الثانى والثالث فحثت إسرائيل على استغلال الموقف والعبور الى غرب القناة وعبرت الدبابات الأمريكية الجديدة (العون الأمريكى لإسرائيل) بقيادة الجنرال شارون . ولكنها لم تكن مشكلة بالنسبة للقوات المصرية فكانت محشورة بين الجيشين الثانى والثالث وتحيط بها القوات المصرية من كل جانب ولم تكن قوات الثغرة موضوعاً تضغط به علينا إسرائيل بل كانت فى حقيقتها رهينة إسرائيلية فى متناول مصر ولم تكن خنجراً مغروساً فى كتفها أو ظهرها وكان يمكن القضاء عليها - وكانت خسارتها كبيرة جداً جداً - لولا تهديد أمريكا بالتدخل فى الحرب سافرة وقال كسينجر للسادات : "لو أنت حاولت أن تصفى الثغرة سيدخل البنتاجون ويضربك لأن هذه هى سياسة أمريكا المقررة" .

معركة السويس :

فى يوم ٢٢ اكتوبر أصدر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار بمجهود كبير من أمريكا حماية لإسرائيل ، وقبلته مصر وإسرائيل ، وفى الوقت الذى تصر فيه الولايات المتحدة على إصدار قرار وقف إطلاق النار نجدها تحث إسرائيل

على الزحف وتوسيع الثغرة والتقدم لحصار السويس وفعلاً حققت إسرائيل تقدماً واسعاً بعد قرار وقف إطلاق النار ودخلت مدينة السويس ولكنها أدركت أنها دخلت كميناً سقطت فيه القوات الإسرائيلية وانهالت عليها الصواريخ والقنابل والقذائف من كل جانب من الجيش الثالث ومن القوى الشعبية وكانت خسائر إسرائيل فوق احتمالها فأسرعت بالهرب من المدينة قبل غروب نفس اليوم ٢٤ اكتوبر ولكنها إستطاعت تحويل ترعة المياه عن المدينة إمعاناً فى الضغط ، فقد كان الجانب الإنسانى مفقوداً تماماً عند هؤلاء الجفاة الذين ليسوا من البشر .

معركة بورسعيد :

هاجمت إسرائيل بورسعيد بالطائرات لضرب مواقع الصواريخ أولا وضرب الأهالى لارغامهم على الهروب من البلد وإشاعة الرعب فيها وقد نجحت إسرائيل أولا فى ضرب مواقع الصواريخ واطمأنت لذلك ووجهت ستة عشر طائرة لضرب المدينة وسكانها وكانت القوات المصرية قد نجحت فى بناء مواقع جديدة للصواريخ وتم إسقاط إثنى عشر طائرة وهربت الأربع طائرات الباقية .

وأخيراً توقف القتال يوم ٢٥ اكتوبر وتم الإتفاق على خطوات فك الإشتباك الأول والثانى بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى بواسطة كيسنجر اليهودى وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية .

أمريكا والقنبلة الذرية لإنقاذ إسرائيل :

نشرت الصحافة المصرية فى ١٩٨٥/٧/٢٣ خبراً خطيراً نقلته عن نيويورك ووكالات الأنباء وهذا نصه :

إعترف الرئيس الأمريكى الأسبق نكسون بأخطر أسرار حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، قال أنه بحث إستخدام القنبلة الذرية الأمريكية لإنقاذ إسرائيل من الدمار أثناء حرب اكتوبر ٠

وقد جاء إعتراف نكسون بهذا السر الخطير فى تصريح لمجلة تايم الأمريكية

وهذه هى أمريكا وسياستها تجاهنا ٠٠ وعلّ العرب والمسلمون أن يعوا هذه الحقيقة ٠

وفى ختام هذا الفصل يحسن أن نتذكر قول الأستاذ إبراهيم راشد :

كل شئ ضاع على يد عبد الناصر : الأرض والهيبة والمال والرجال والسلاح ، ضاع كل هذا فى ساعات ٠٠ ضاعت سينا كلها بمن فيها وماعليها ٠٠ ضاعت آبار بترول سينا كلها ٠٠ حقول البلاعيم البحرية والأرضية ٠٠ ومنطقة أبو رديس كلها ٠٠ وحقول عسل وسدر ورأس مطارقة ٠٠ أكثر من ٨٥٪ من حجم الإنتاج المصرى كله سقط فى يد إسرائيل ٠٠

ثم جاءت حرب اكتوبر وعبر المقاتل المصرى الى سينا وإسترد أرضه ٠٠ وحرر وطنه ٠٠ وعادت إلينا حقول سينا كلها ٠٠ وعاد لنا الشرف والكرامة ٠

إن الجندى المصرى كما قال عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام

"خير أجناد الأرض" هو شجاع باسل صبور صلب ، كل مايحتاج إليه هو تدريب جيد ، وسلاح جيد يثق فيه ، وقائد يشعر به ٠ وجندى ١٩٧٣ هو نفس جندى ١٩٦٧ والفرق فى القيادة : قيادة خادعة قادت الالآف دون إستعداد فى سنة ١٩٥٦ وفى اليمن سنة ١٩٦٣ وفى سينا سنة ١٩٦٧ ٠٠ قادتهم الى الهلاك وستظل دماؤهم سخطاً على القائد الذى إنهار أمام إسرائيل وكان جباراً عاتياً على مواطنيه المصريين ٠٠ وقيادة واعية شجاعة استعدّت وأتمت حساباتها حتى أطمأنت فأقدمت ونجحت وانتصرت ٠

* * *

الفصل الرابع عشر

الحكومة الصهيونية العالمية

إنتهت حرب ١٩٧٣ وانتصرت مصر عسكريا وللأسف الشديد لم يتحقق الهدف منها وهو إنسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي إحتلتها سنة ١٩٦٧ بسبب سياسة القوتين العظميين فى هذا الوقت ولا بد أن نتعرف على أهدافهما ونواياهما :

أولاً : الولايات المتحدة الأمريكية

- هى التى غرست إسرائيل فى المنطقة العربية وهى التى تحميها ٠
- هى التى أمدت وتمد إسرائيل بالأسلحة والتأييد السياسى والإقتصادى ٠
- هى التى إكتشفت الثغرة وهى التى دفعت قوات إسرائيل وحمت تقدمها بالثغرة بعد وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ٠
- هى التى استعملت ضدنا أعنف وأشد الأسلحة التى لا يقرها القانون ٠
- هى التى هددت بضربنا مباشرة ٠
- هى التى أيدت عدونا إسرائيل فى المفاوضات ومازالت تؤيده حتى الآن٠

- وهى أشرس عدو لكل مصرى وكل عربى وكل مسلم لا يهدأ غلها أبداً
- يجب أن نتأكد - عرباً ومسلمين - ان امريكا تحت سيطرة إسرائيل ٠

ثانياً : الإتحاد السوفيتى :

- إتفق مع الولايات المتحدة على سياسة الوفاق وتأمين الإسترخاء العسكرى
- تقاعس عن مد مصر بالأسلحة اللازمة فى حرب ١٩٧٣ ٠
- لم يكن جاداً فى تأييد مصر مقابل تأييد أمريكا لإسرائيل ٠
- إضطرت مصر لإلغاء المعاهدة مع السوفيت مما زاد الفجوة بين البلدين٠

وإزاء كل هذا لا يجب الإعتماد على أى منهما فكلاهما شر وكلاهما ضد العرب والإسلام ولا بد من الإعتماد على النفس وعلى الله ، وان شاء الله سنصل الى ما نتمناه ٠

إنعدمت ثقة السادات بالإتحاد السوفيتى وأنه لن يسانده ويشد ظهره ، وأن الولايات المتحدة هى سند إسرائيل وهى التى تمدها بالسلاح والتأييد وكل أسبـــــاب الحياة ، وهى وحدها التى تستطيع أن تجد الحل العسكرى والسياسى لمشكلة الشرق الأوسط وكما كان يصرح دائماً أنها تملك ٩٩٪ من أوراق اللعبة ورأى أنه لا بد أن يتجه للولايات المتحدة ، وقد تعامل مع -

وزير خارجيتها اليهوى كيسنجر منذ بداية الحرب وإتفاقيتى فك الإشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية ، وكان هذا الإتجاه الجديد يستلزم تعديل السياسة المصرية لتأخذ بعض مظاهر الديموقراطية – وإن إحتفظ بأنياب الدكتاتورية – وإلغاء المعاهدة مع السوفيت ومزيد من التقرب للمعسكـــر الغربى ، فأعاد فى فبراير ١٩٧٤ العلاقات السياسية معها – وكانت قد قطعت عقب حرب ١٩٦٧ – وأطلق سراح المعقلين السياسيين وكون المنابر تمهيداً لقيام الأحزاب السياسية •

رحلة القدس :

كان بعض السياسيين الأمريكيين يوحون الى السادات بالإتصال بإسرائيل والسادات يعلم أن إتصالات قامت بين إسرائيل وعبد الناصر منذ مطلع الثورة فى اغسطس ١٩٥٢ ، فقد كان عبد الناصر يهتم بالتخلص من مصادر المتاعب الأجنبية فى المنطقة ليوسع نفوذه فى العالم العربى والعالم الإسلامى ففاوض فى السودان ونال السودان إستقلاله رغم الإتصال الوثيق مادياً وروحياً والإرتباط الطبيعى بينهما مما يجعل الإنفصال بينهما ضد قوى الطبيعة بل يصل الى حد الخيانة •

وأذكر فى هذه المناسبة كلمة الزعيم الجليل المغفور له مصطفى النحاس باشا حين قطع المفاوضات مع إنجلترا سنة ١٩٣٠ حين طلب منه المفاوض الإنجليزى الموافقة على فصل السودان عن مصر مقابل الجلاء فرفض طلب

إنجلترا وقطع المفاوضات وقال قولته المشهورة "تقطع يدى ولا أقطع السودان." وهكذا رجال زمان ! ... وبدأ إتصاله بإسرائيل منذ أغسطس ١٩٥٢ لتيخلص من الصراع معها بأى طريقة ولم تثمر هذه الإتصالات كما كان يظن عبد الناصر بالنسبة للطبيعة الإسرائيلية كثيرة الأطماع والتى تأخذ ولا تعطى والتى تتفق وتنقض وصدق الله العظيم الـــذى يقول : "أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم" .

وبعد هزيمة ١٩٦٧ أرسل موشى ديان وزير دفاع إسرائيل آنذاك رسالة الى عبد الناصر مع قدرى حافظ طوقان - الفلسطينى وعضو المجمع اللغوى المصرى - وملخص الرسالة : أن الروس لن ينفعوه والأمريكان كذلك لن ينفعوه ، ولن يستطيع الأمريكان أن يضغطوا على إسرائيل وأن أمريكا والإتحاد السوفيتى لا تهمهما مشكلة الشرق الأوسط ، بل ربما كان من صالحهما أن يستمر الصراع فى هذه المنطقة ، ولذلك فان إسرائيل تدعو عبد الناصر - على الرغم من كثافة الكراهية والشكوك أن يجرى التفاهم مباشرة مع إسرائيل ودون وسيط .

ولم يكن غرض إسرائيل تسوية الموقف إنما كان محاولة لتحويل الصراع داخلياً بين المصريين والعرب ومن يجرؤ على الجلوس مع إسرائيل على مائدة المفاوضات .

ومنذ رحلات كيسنجر المكوكية سنة ١٩٧٤ و ١٩٧٥ وإتفاقيتى فك

الإشتباك كان السادات مستعداً للإتصال المباشر بإسرائيل وقد شجعه على ذلك الرئيس الأمريكى كارتر وكان السادات يظن أن الطريق مفتوحاً لحل القضية • وراح يخبر خاصته بتفكيره فى الإتصال المباشر بإسرائيل والقيام بالرحلة الى القدس وإتجه السادات الى مجلس الشعب فى ١٩٧٧/١١/٩ وألقى خطاباً قال فيه : "إننى مستعد للذهاب الى آخر العالم إذا كان ذلك سيحول دون قتل أو جرح جندى واحد أو ضابط واحد من أولادى •• أقولها الآن : أنى مستعد للذهاب الى آخر العالم ، سوف تندهش إسرائيل عندما تسمعنى الآن أمامكم ، أنا مستعد للذهاب اليهم فى عقر دارهم ، الى الكنيست نفسه للتحدث اليهم"•

وكانت دهشة وصدمة المصريين للخطاب بالغة ، أما أعضاء مجلس الشعب فقد صفقوا للرئيس ، وعموماً فهم منتخبون ومجتمعون للتصفيق للرئيس ولكل رئيس••• أما العرب فقد رفضوا جميعاً هذه المبادرة من السادات •

وردت إسرائيل بعد أسبوع ووجه بيجن رئيس وزراء إسرائيل الدعوة إلى السادات فى ١٩٧٧/١١/١٥ لزيارة إسرائيل • وذهب السادات ومعه د• مصطفى خليل رئيس الوزراء ود• بطرس غالى وزير الخارجية وبعض رجال الصحافة فى ١١/١٩ وكان فى إستقباله رئيس إسرائيل وبيجن رئيس الوزراء وموشى ديان وزير الحربية وغيرهم من زعماء إسرائيل وبعد يومين دخل أنور السادات الكنيست ومر تحت لافتة كبيرة كتب عليها من النيل الى الفرات •• وألقى خطبة بليغة شملت أفكاراً رائعة عن السلام وحوت لقطات صادقة

من التاريخ ٠٠ ولكن للأسف الشديد كان الأثر عند الإسرائيلين فى منتهى السوء ، فقد خطب بيجن بعد السادات وأعلن أن لا عودة لحدود ١٩٦٧ ولا عودة فى توحيد القدس ولا عودة ليكون للفلسطينيين دولة على حدود إسرائيل ولا تقبل إسرائيل إجراء محادثات مع منظمة التحرير الفلسطينية ٠

بل ان المرحوم موسى صبرى يقول أنه سأل بيجن : ماذا تقدم للسلام بعد كل ماقدمته مصر ؟ سوف نعترف بإسرائيل ونعترف بحقها فى الحياة فى سلام مع جيرانها العرب ٠ وأجاب بيجن إجابة فظه قائلاً : نحن لم نطلب منكم الإعتراف ولسنا فى حاجة الى هذا الإعتراف فإسرائيل حقيقة دولية ٠

والعجيب أن السادات لم يتبين حقيقة صدى كلامه عند الإسرائيليين وظل يتغنى بأن رحلته كسرت الحاجز النفسى بين العرب وإسرائيل ولم يدر أن الحاجز النفسى لدى إسرائيل أقوى من الفولاذ وغاب عنه التعرف الحقيقى على شخصية اليهودى ، فالإنسان اليهودى معقد كثير الأطماع بل ان أطماعه لا تقف عند حد ، يتلاعب بالألفاظ ويدبر المكائد والمؤامرات تسأله فيجيب إجابة تحتمل عدة معانى ، وتحاول التفاهم معه فيرى ذلك ضعفاً ويتجه للإبتزاز، وإذا كنت تفاوض فرداً أدعى أنه يعيش فى جو ديموقراطي ويطلب مهلة لأخذ رأى الآخرين وهو فى الحقيقة يريد مهلة لمزيد من التشدد ٠ وإذا فاوضت جماعة فان منهم من يقبل ومنهم من يرفض فضلاً عن طبيعتهم فى الغدر والخيانة ونقض المواثيق ، ٠٠٠ وإقرأوا التوراة ٠٠٠ !

وعقدت إجتماعات بين السادات وبيجن وشكلت لجان إجتمعت فى الإسماعيلية وفى القدس وفى إنجلترا ولم تأت بأى نتيجة ، فان الصلف اليهودى والتعنت الصهيونى وتخريب بيجن لكل الآمال جعلت كل الجهود ومحاولات السادات تفشل • ولكن قيام الإضطرابات فى إيران وحرج موقف الشاه – رجل أمريكا فى الخليج – جعل أمريكا تفكر فى دعوة الجانبين لعقد إجتماعاتهما فى واشنطن فى محاولة للوصول الى إتفاق بين مصر وإسرائيل ليساعد على الإستقرار فى المنطقة ضماناً لمصالح أمريكا ، وعلى هذا أعلن كارتر أنه سيدعو الزعيمين السادات وبيجن الى إجتماع فى كامب ديفيد •

وتمت إجتماعات كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ وبعد جهد جهيد أمام التعنت الإسرائيلى وتنازلات السادات وخشية أمريكا من أن يفلت السادات من قبضة أمريكا أسفرت الإجتماعات عن إتفاقيتين أعلنتا فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ •

الإتفاقية الأولى حول إطار السلام فى الشرق الأوسط وهى دعوة للدول العربية للتفاوض مع إسرائيل لتحقيق السلام على أساس قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ورقم ٣٣٨ • ووضع ترتيبات لفترة إنتقال بالنسبة للضفة الغربية للأردن وقطاع غزة لتحقيق الحكم الذاتى فى هاتين المنطقتين •

والإتفاقية الثانية حول عقد معاهد سلام بين مصر وإسرائيل تشمل إنسحاب إسرائيل من سينا وإعتبار خليج العقبة ومضيق تيران مياها دولية مفتوحة

للجميع وحق السفن الإسرائيلة فى المرور فى قناة السويـــس علـــى أســـاس إتفاقيـــة القسطنطينية •

وقد كانت المفاوضات مع إسرائيل شاقة جداً ومعقدة جداً لأن الطبيعة الإسرائيلية بنيت على أساس أن تأخذ ولا تعطى وأن تتفق اليوم وتنقض ما إتفقت عليه فى الغد وتحظى تماماً بمساندة الولايات المتحدة وتأييدها فضلاً عن إنعدام العدل فى عالم تحكمه القوة ، وقد توقف السادات كثيراً خلال المفاوضات بل وحزم حقائبه وأراد العودة بدون الوصول الى الإتفاق وفى نفس الوقت كانت مشكلات إيران تتصاعد وأرغم الشاه على مغادرة البلاد – والشاه كان رجل أمريكا فى الخليج والمنطقة – وقام فى إيران حكم جديد معاد للغرب ، ومن هنا شعرت أمريكا بضرورة بذل مزيد من الجهود للوصول الى إتفاق بين الطرفين لتحقيق الإستقرار فى المنطقة ، وبناء على ذلك تدخل الرئيس كارتر بأقصى مايستطيع من قوة ونفوذ لتسوية الخلافات بين الطرفين ، وأخيرا إستطاع أن يصل الى نتيجة مقبولة وإتفق على عقد مؤتمر قمة ثلاثى فى واشنطن من الرئيس كارتر والرئيس السادات ومناحم بيجن فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ وتم توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل •

إتفاق أمريكى إسرائيلى :

وكما ذكرنا من قبل عن طبيعة الإنسان اليهودى وعن أن سوء النوايا وعقده النفسية مسيطرة عليه دوماً ، فبينما كانت إجراءات توقيع معاهدة السلام

تسير فى طريقها كانت المفاوضات لعقد إتفاق أمريكى إسرائيلى تسير فى الوقت نفسه ، وذلك بسبب عدم ثقة إسرائيل فى المعاهدة فهى لا تنوى أن توفيً بجدية بما إتفقت عليه ولا تطمئن على وفاء الآخرين أيضاً ، ومن هنا فقد ألزمت الولايات المتحدة فى الإتفاق بضمان تطبيق معاهدة السلام بما يحقق أمن إسرائيل وإلزام أمريكا بالتدخل لو خرقت المعاهدة أو حدث تهديد بخرقها • كما تلزمها بالإستجابة لإحتياجات إسرائيل العسكرية والإقتصادية وفرض قيود التسليح على الدول الأخرى •

وقد كان هذا الإتفاق مفاجأة غير سارة لمصر والعرب •• ولكن فى زمن المظالم وإنعدام العدل ماكل مايتمناه المرء يدركه •• ولكن لنتطلع للمستقبل ولله العادل القدير فالله يحب العدل ويحق الحق •

وخلاصة معاهدة السلام كما يلى :

١- إنهاء حالة الحرب وإنسحاب إسرائيل الى ماوراء الحدود الدولية على مدى ثلاث سنوات من تاريخ التصديق على المعاهدة على مرحلتين •

٢- إحترام الطرفين سيادة كل منهما على أرضه وعدم التهديد بالحرب وتسوية الخلافات بالوسائل السلمية •

٣- التـــزام الطرفين بعدم السماح بانطلاق الأعمال العدائية من أرضه ضد الطرف الآخر •

٤- بعد إتمام إنسحاب المرحلة الأولي تنشأ العلاقات العادية الودية وتشمل الإعتراف والعلاقات الدبلوماسية والثقافية وإنهاء المقاطعة الإقتصادية ورفع جميع الحواجز التى تعوق حرية الأفراد أو التجارة •

٥- وضع الترتيبات الخاصة التى تحقق أقصى درجات الأمن وتشمل إنشاء مناطق منزوعة السلاح ومناطق مقيدة التسليح ومحطات للإنذار المبكر وإنتشار قوات دولية على الحدود •

وكما كانت خطبة السادات التى مهدت لزيارة القدس صدمة للمثقفين المصريين وللعرب ، وكذلك كانت معاهدة السلام بما إشتملت عليه من تنازلات مصرية وقيود وشروط إسرائيلية صدمة شديد الوقع على المصريين والعرب خصوصاً الفلسطينيين •

جبهة الصمود والتصدى ومؤتمر بغداد :

بعد أيام من إعلان إتفاقيتى كامب ديفيد تكونت جبهة من ليبيا وسوريا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية سمت نفسها جبهة الصمود والتصدى وقررت رفض إتفاقيتى كامب ديفيد وقطع العلاقات السياسية والإقتصادية مع مصر والدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى • وتم عقد المؤتمر فى بغداد فى أول نوفمبر ١٩٧٨ وقرر المجتمعون أن الإتفاقيتين تتعارضان مع قرارات القمة العربية ولا تؤديان للسلام العادل وأرسلوا وفداً الى القاهرة لمناشدة السادات العدول عن الإتفاقيتين ولكن السادات رفض إستقبال الوفد ، وعلى

هذا قرر المؤتمر أنه إذا وقعت القاهرة إتفاقيتى السلام مع إسرائيل فان عضويتها فى الجامعة العربية تعلق ، ويتقل مقر الجامعة من القاهرة الى تونس ٠٠ وفعلاً تم للمؤتمرين ما أرادوا ٠

القدس مدينة موحدة وعاصمة لإسرائيل :

فى ٣٠ يوليو ١٩٨٠ أعلن الكنيست الإسرائيلى أن القدس القديمة (العربية) والجديدة مدينة واحدة وأنها عاصمة أبدية لإسرائيل ٠ ولا شك أن هذا يعد إنتهاكاً لإتفاقيتى كامب ديفيد ، كما أن بناء المستوطنات بالضفة الغربية وتوسيع المستوطنات القديمة إنتهاك مستمر لهذه الإتفاقيات ٠٠ ولكن متى كان اليهود يحترمون توقيعهم ويلتزمون بما تعاهدوا عليه ؟

إسرائيل تقصف المفاعل النووى العراقى وتثير الشبهة حول السادات :

فى ٤ يونيو ١٩٨١ إجتمع بيجن والسادات فى شرم الشيخ ، وفى نفس وقت الإجتماع كانت إسرائيل تخطط لضرب المفاعل النووى العراقى بالطائرات، وفعلاً تم ذلك بعد يومين من إجتماع شرم الشيخ ، ونشر الموساد إشاعات كاذبة عن أن بيجن أطلع السادات بضرب المفاعل العراقى رداً على مؤتمر بغداد ، وهذا كذب تماماً فالسادات – وله زلاته وأخطائه – مسلم وطنى مصرى وعربى بذل أقصى جهده ولم يكن يستطيع أن ينال أكثر مما تم ٠ وكان المقصود من هذه الإشاعة الكاذبة تدمير السادات بعد أن إستغلوه وعقدوا معه المعاهدة وبعد أن أدى الدور المطلوب منه ٠٠ أو بعد أن نجح وأخذ منهم

سينا ، وهذا هو خلق اليهود •

وتقدم العراق بشكوى إلى مجلس الأمن إزاء هذا الإعتداء والإستهانة بالقيم والأعراف الدولية •• وبتأييد أمريكا لم يستطع المجلس إلا أن يدين العدوان الإسرائيلى •

وفى سنة ١٩٨٢ غزت إسرائيل لبنان وأصدر مجلس الأمن القرار رقم ٤٢٥ يقضى بانسحاب إسرائيل ولم تنفذ إسرائيل الإنسحاب حتى الآن ومازالت تقصف الأراضى اللبنانية من حين لآخر وكلما تقدمت لبنان بالشكوى يكتفى مجلس الأمن بإدانه العدوان • ودبرت مذبحة «صبرا وشاتيلا» بالإتفاق مع حزب الكتائب فى لبنان وراح ضحيتها عشرات من الفلسطينيين ورجال المقاومة اللبنانية ونجت إسرائيل حتى من الإدانة بفضل التأييد الأمريكى حتى فقد العالم الثقة فى مصداقية منظمة الأمم المتحدة •

ولا يجب أن تدفعنا الصورة القبيحة للولايات المتحدة الأمريكية الى البحث عن صداقة أو مساندة الإتحاد السوفيتى فكلاهما شر وكلاهما يضمر أشد العداء للإسلام بل لا بد من الإعتماد على النفس وعلى وحدة الصف العربى والإسلامى ولنتذكر قول الله تعالى "هذه أمتكم أمة واحد" وسنصل بإذنه تعالى الى مانتمناه •

ولم تترك الولايات المتحدة ثغرة واحدة فى تأييد ومساعدة إسرائيل أشرس

عدو لكل مصرى وكل عربى وكل مسلم لا يهدأ غلها أبداً - يجب أن نتأكد - عرباً ومسلمين - ان امريكا تحت سيطرة إسرائيل • فالمعونة المالية الغير محدودة مستمرة والتأييد السياسي والحماية فى المنظمة الدولية والتسليح بأحدث ما أنتجته مصانع السلاح حتى صدق القول من الإبرة للصاروخ ولا يجب أن يدفعنا كل هذا الى اليأس وفقدان الأمل ولنذكر دائما قول الله تعالى فى ســـورة الاسراء :

بسم الله الرحمن الرحيم : "وقضينا الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيراً • فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً • إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها • فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا •"

ذكرنا من قبل قصة دولة إسرائيل الأولى فى جزء من فلسطين وتدميرها سنة ٥٨٦ ق•م على يد نبوخذ نصر ملك بابل ثم عودتهم فى عهد قورش تحت حكم الفرس ثم تحت حكم البطالمة فى مصر ثم تحت حكم الرومان فلم تكن لهم دولة وكيان سياسى بل كانوا يتمتعون بنوع من الحكم الذاتى ولما كانوا كثيرى الشغب ويثيرون الإضطرابات والمنازعات فيما بينهم ضربهم الإمبراطور الرومانى تيطس سنة ٧٠م ودمر مدينة أورشليم وأحرق الهيكل ••

وكثير من المفسرين والباحثين يعتبرون هذا التدمير هو التدمير الثانى ٠٠ وبمراجعة آيات سورة الإسراء نتبين أن التدمير الثانى تسبقه مرحلة "أمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفير" وهذه المرحلة لم تحدث على مدى التاريخ إلا فى عصرنا الحاضر : الأموال تنهال عليهم من أمريكا واليهود قادمون اليهم فى فلسطين من جميع أنحاء العالم ، وهم أكثر نفيراً أى أعلى صوتاً وأكثر عدة سلاحاً ، وعلى ذلك فانى أرى أن هذه المرحلة تسبق التدمير الثانى وهى التى نعيشها الآن ، ورغم قسوتها فوعد الله قائم لا يحتمل جدلا ولا مناقشة ومن سياق الآيات الكريمة فان الموعد قريب بإذن الله :"أتى أمر الله فلا تستعجلوه٠"

وإذا أمعنا الفكر ٠٠ الى من تعود جملة ليسوؤوا وجوهكم ٠٠ لا شك أنها تعود الى جملة "عباداً لنا أولي بأس شديد" الذين دمروا إسرائيل الأولى سنة ٥٨٦ ق٠م ٠ وأكد الله تعالى ذلك بقوله "وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ٠٠٠"

ولنا أن نفكر ونتساءل٠٠ ولكن كيف ؟ وأجيب : الله يخلق الأسباب٠

المتغيرات الدولية ، والحكومة الصهيونية العالمية

إن تطور الحوادث فى العالم فى سنواته الأخيرة خطيرة جداً وعظيمة التأثير٠ لم تكن متوقعة ولعل أخطرها هو إنهيار الإتحاد السوفيتى ، ثانى أكبر قوة عسكرية وسياسية فى العالم ٠٠٠ دون طلقة أو مواجهة أو ثورة ٠٠ وتخلف

عن هذا الإنهيار ظهور جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية كدول مستقلة وهى أصلاً ولايات إسلامية إستولت عليها روسيا القيصرية سنة ١٨٢٠ أثناء المد الإستعمارى الروسى فى القرن التاسع عشر ، ومن هذه الجمهوريات جمهورية كازاخستان وفيها مخزون ضخم من الأسلحة النووية والصواريخ والطائرات والمصانع من مخلفات الإتحاد السوفيتى السابق مما يسبب قلقاً كبيراً للولايات المتحدة الأمريكية والغرب كله ٠ وقد قام جيمس بيكر وزير خارجية أمريكا أثناء ولاية الرئيس السابق بوش بزيارة جمهورية كازاخستان واجتمع برئيس جمهوريتها "نور سلطان" ومناه بالمنح والقروض والمساعدات المختلفة لو وافق على تفكيك هذه الأسلحة والصواريخ – خوفاً من تسربها الى دول أخرى – وكان الرئيس نور سلطان ذكياً وقوياً فاشترط لموافقته أن تفكك الولايات المتحدة أسلحتها وطبعاً فشلت المهمة ٠٠ وقد قام الرئيس الفرنسى متران بزيارة كازاخستان لنفس الغرض فى نوفمبر ١٩٩٣ وأيضا لم تكلل زيارته بالنجاح ٠ هذا فضلاً عن أن بناء القوة لم يتوقف فى دول أخرى ٠

ومعلوم أن سياسة الغرب الصليبى الصهيونى كله بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية هى منع الدول العربية والإسلامية جميعاً من صناعة الصواريخ أو إمتلاكها وكذا الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل حماية لإسرائيل ٠٠ وليتهم كانوا يعدلون فيكتفون بمساعدة إسرائيل وحمايتها ويعملون على التوازن بين الطرفين ٠٠ولكنهم ساعدوا إسرائيل على تصنيع وإمتلاك الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل والصواريخ التى تطول أى بلد إسلامى من الباكستان شرقاً

حتى المغرب فى أقصى الغرب ويمدونها بأحدث ماتنتجه مصانعهم من أسلحة متطورة شديدة التدمير ويصرحون دائما بأن إسرائيل وجدت لتبقى وأنها يجب أن تكون أقوى من الدول العربية والإسلامية جميعاً ٠

الحكومة الصهيونية تحكم العالم :

بإنهيار الإتحاد السوفيتى إنفردت الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم وإنتهت حقبة الحرب الباردة فإنطلقت أبواق الصهيونية تنشر سمومها ٠٠٠ تنبه وتذيع فى العالم عن خطر الإسلام على الحضارة الغربية ٠٠ الإسلام المحكوم بأعدائه من العملاء والمحروم من إمتلاك أسباب القوة والذى يدعو الى التسامح والمحبة والعفة والإحتشام ٠٠ هو العدو الجديد لحضارة الغرب العدوانية الظالمة والفاحشة ٠٠ وكان أول بوق هو نكسون الرئيس الأمريكى الأسبق الذى فكر فى عام ١٩٧٣ فى إستعمال القنبلة الذرية ضدنا لإنقاذ إسرائيل والذى أصدر كتابه عن العدو الجديد "الإسلام" ٠

الحرب ضد الإسلام :

وإنطلقت هوجة هوجاء أثارها الغرب عن خطر الإسلام على الحضارة الغربية يرددها مسئولون كبار بدءاً من نكسون الى هلموت كول الى وزير دفاع المانيا ووزير دفاع إيطاليا ووزير دفاع اسبانيا ٠٠ كلهم يثيرون الفزع من الخطر المرتقب من الإسلام ٠٠ والدول الإسلامية منكوبة ومفككة لا يجمعها رابط ولا يضمها لواء ٠٠ بعضها تابع وبعضها عميل وكثير منها تحت خط الفقر

يتسول ٠٠ وإذا قلنا أن المقصود هو الجماعات الإرهابية التى تتمسح بالإسلام، فان هذه الجماعات ولدت على أيديهم بخداعهم ومكرهم ومكائدهم وتشجيعهم ٠٠ هم الذين صنعوهم ودربوهم وأنفقوا عليهم ليكون خطرهم علينا وعلى إسلامنا لانهم محسوبون علينا وهم ليسوا منا ٠٠ هم جماعات من الشباب ذوى الطموح ضلّلهم أعداء الإسلام مستغلين بعض عيوب الحكام ومروجين لإشاعات الفساد والإستغلال ٠

والصهيونية الآن لها من يمثلها فى جميع مستويات صنع القرار فى أمريكا وفى إنجلترا وفى جميع دول أوروبا وتسلطوا على المناصب الرئيسية فى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والبنك الدولى وصندوق النقد وجميع المؤسسات والمنظمات الدولية ولهم من يمثل مصالحهم حتى فى الدول العربية ذاتها وفى قلب الدول الإسلامية وفى أكبر صحفنا نفسها ٠٠ وهم يشنون الحرب على كل ماهو إسلامى وإقتلاع الروح الإسلامية من جذورها قبل أن تنتفض من جديد ٠ وماذلك إلا من تخطيط الحكومة الصهيونية العالمية – وهم يملكون المال والسلاح ووسائل الإعلام ٠٠ وذلك هو العلو ولكنه علو باطل وعد الله بنهايته وتدميره ٠ وعلى قادة وحكام الدول العربية والإسلامية الإعتدال والإعتصام بحبل الله ووحدة الصف ومجابهة الخطر والله يحذرهم بقوله تعالى : "وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم والله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو على كل شىء قدير ٠"

الاتحاد السوفيتى السابق

إن إنهيار الإتحاد السوفيتى السريع والمفاجئ جعل الغرب يترنح من نشوة النصر ويفقد الرؤية الصحيحة لواقع الأمور ، فالحرب الباردة وإن كانت قد إنتهت وزال معها إحتمال تفجرب حرب نووية إثر إختفاء القوة العظمى الثانية فان مخلفات ذلك الإنهيار من سباق سابق محموم من أجل تحقيق التفوق النووى مازال موجوداً فى صورة ترسانة نووية ضخمة ومواد مشعة وصواريخ وعلماء ومهندسين وفنيين فى مجال التكنولوجيا النووية ، ميراث تتنازعه دول الإمبراطورية المنهارة – خصوصاً الجمهوريات الإسلامية المستقلة (البعبع الجديد الإسلامى) – وتدعى كل منها الحق فى إستخدامها بالطريقة التى تحقق مصالحها القومية حتى ولو كان ذلك على حساب أمن وسلام العالم بأكمله ، فضلاً عن الخوف من تسرب هذا الرعب النووى الى بعض دول العالم الثالث التى تستطيع أن تدفع الثمن المطلوب •

ومن ناحية أخرى كان الإتحاد السوفيتى والكتلة الإشتراكية فى الماضى القريب يمنح بعض دول العالم الثالث التى عانت من الإستعمار الغربى والتخلف منحاً ومساعدات فنية لتنمية قدراتها الإنتاجية والإقتصادية مما كان يساعدها جزئيا على مواجهة مشاكلها ويعطيها الإحساس بأنها فى إطار التوازن العالمى تستطيع التقدم والنمو بدخلها القومى لتحقيق درجة من الرفاهية لشعوبها • أما مع إختفاء هذا الماضى القريب ، يختفى التوازن الدولى وتختفى الظروف القديمة التى كانت تسمح بهذه المعونات والمنح ويتبلور حاضر جديد بساحته العالمية

يفتقد التوازن الذى كانت تستفيد منه الشعوب النامية • كما كان هذا الماضى القريب يشكل سنداً جزئياً للشعوب النامية المقهورة •

وقد حلت روسيا الإتحادية مكان الإتحاد السوفيتى السابق فى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات والمؤسسات الدولية ولكن الأوضاع السياسية فيها لم تستقر بعد فرئيس الجمهورية بوريس يلتسن تعرض لهجوم شديد من البرلمان قضى عليه بالدبابات - باسم الديمقراطية - وأجرى إنتخابات جديدة جعلت موقفه أكثر صعوبة بين القوميين بزعامة اليهودى شديد التعصب فلاديمير جيرونفسكى ، وقدامى الشيوعيين الطامعين فى إعادة الإمبراطورية القديمة ، والقوات المسلحة التى مازالت تذكر ماضيها القريب وتحن اليه •• والرئيس يلتسن خاضع على باب الولايات المتحدة ينتظر الإحسان والمساعدة والمعونة ومازال الموقف يغلى لم يستقر بعد ، وغير معلوم الدور الذى قدره الله فى علمه لروسيا فى الصراع المقبل •

الولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها :

بعد إنهيار الإتحاد السوفيتى وتفكك أواصله أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى القوة العظمى الوحيدة وأصبحت تتحمل مسئولية أساسية فى بناء النظام العالمى الجديد فى عالم مابعد الحرب الباردة • هذا فضلاً عن الخوف من عودة التهديد الروسى مستقبلاً ، حيث مازالت روسيا تملك قوة ضاربة نووية عالية المستوى خاصةً مع تزايد إحتمالات تقلب السياسة الروسية سواء فى ظل

النظام الروسى الحالى أو التغيير الى نظام آخر معادى مما يثير القلق والمخاوف لدى الغرب ٠

ومصالح الولايات المتحدة متشعبة فى جميع أنحاء العالم ولكن أهم هذه المصالح فى منطقتنا ، ومنطقة الشرق الأوسط ، حيث إسرائيل التى غرستها فى قلب المنطقة وتمدها بكل أسباب الحياة وتتولى حمايتها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وحيث البترول عصب الصناعة فى العالم الصناعى المتقدم وحيث السوق البكر الواسع لتسويق صناعات أوربا وأمريكا وحيث الموقع الممتاز وسط العالم ٠

ولذلك سيتقصر بحثنا على دور الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط ، وقد بينا فى الفصول السابقة الدور الأمريكى فى خلق إسرائيل وتثبيتها فى قلب الوطن العربى ، وفى العدوان الثلاثى أمرت الدول الثلاث بالإنسحاب ليس حباً فى مصر ولكن لترث الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية ٠ وفى حرب ١٩٦٧ أرادت أن تؤدب الرئيس عبد الناصر حين تجرأ وأساء وهدد بضرب إسرائيل ومن وراءها وحين قال لتشرب أمريكا من البحر الأبيض والبحر الأحمر ، وأذكر أن أحد الصحفيين فى أمريكا سأل الرئيس جونسون عما قاله عبد الناصر فقال : I'l put his nose in the mud وترجمتها "سأضع أنفه فى الوحل" ٠ ولكنه فى الحقيقة وضع مصر كلها فى الوحل ٠٠ ودور أمريكا فى حرب

١٩٧٣ حين تدخلت بامكانياتها وبقواتها بزعم أنها إسرائيلية وحيث هدّدت بدخول الحرب رسمياً لو قررنا تصفية قوات الثغرة ٠٠ وهل ننسى تصريح نكسون الذى أدلى به لمجلة تايم بأنه فكر فى إستعمال القنبلة الذرية انقاذاً لإسرائيل ٠٠

إن التحدى الأمريكى للعرب وللمسلمين مستمر ٠٠ ومساندة إسرائيل أيضاً مستمرة مما حمل الرئيس أنور السادات على الإتصال بأمريكا والتحاور معها للوصول الى حل لإنقاذ مايمكن إنقاذه كما سبق وبيناه ، وبعد أن إطمأنت أمريكا على خروج مصر من الصراع وعلى كسر الطوق العربى المحيط بإسرائيل، إتخذ الدور شكلاً أخطر ٠٠ فأكثر مايهم أمريكا فى المنطقة هو البترول العربى ، فإستدرجت الرئيس العراقى لغزو الكويت ٠٠ ووقع الرئيس صدام فى الفخ ٠ فى أغسطس ١٩٩٠ ونجحت أمريكا فى تأليب الدنيا ضده، وضربه ووضعت يدها على منابع البترول العربية فى الخليج ٠٠ وخلقت واقعاً عربياً مؤلماً ، وفرقة عربية جعلت بعض العرب يكفرون بوحدتهم وعروبتهم ويلجأون لأعدائهم لحمايتهم من أشقائهم ٠ وتم تحطيم القوات العراقية تماماً - وكانت تعتبر القوة العربية الثانية بعد القوات المصرية - وربحت إسرائيل كسباً كبيراً وخسر العرب جيشاً قوياً ، وكانت الخسارة أكبر حين أنشقت دول الخليج العربية عن الجسد العربى وإتجهت لأعدائها وأعداء العرب والمسلمين أجمعين توقع معهم معاهدات للدفاع عنهم وكفرت بأخوة أشقائهم العرب ، وجاءت أساطيل أمريكا وإنجلترا وفرنسا فى مياه الخليج العربى ونزل الجنود

الأمريكيون على الأرض العربية يقيمون القواعد العسكرية وهم يضمرون الشر ويتحفزون لضرب العرب والمسلمين •• ووضعت أمريكا يدها على آبار البترول العربية •• وهل يملك عربى اليوم أن يمنع أو يقيد البترول عن إسرائيل أو حلفائها ؟ لقد إنتهت سيطرة العرب على بترولهم وأصبحت السيطرة لأمريكا •• بل إن وزير خارجية قطر صرح بأن قطر ستمد خط أنابيب الى إسرائيل يمدها بالغاز الطبيعى •• وإنتصر مكر أمريكا على الغافلين •

ولقد حطمت أمريكا العراق وأذلت شعبه وكبلته بالديون والتعويضات الباهظة ولكنها أبقت على حاكم العراق وساعدته بطرق خفية ليشدد قبضته على الشعب العراقى المقهور للأسباب الآتية :

١- أن يظل خطرا (بعبع) يخيفون به شيوخ النفط •

٢- أن يبقى حاجزاً بين إيران وسوريا •

٣- أن يكون مستعداً للقيام بأى تكليفات تصدر اليه لزيادة تشرذم شعوب الأمة العربية ، ولعل مايحدث فى اليمن اليوم من حرب مجنونة خير شاهد على صدق مانقول • وسيكون لهذه الحرب آثاراً مدمرة على المنطقة العربية كلها نتيجة تدخل أطراف كثيرة •

ولنعود بالذاكرة الى اليمن سنة ١٩٦٣ حين إستدرجت أمريكا عبد الناصر الى اليمن ليهدد السعودية ويتم الإستنجاد بأمريكا •• ولم تفلح المؤامرة لوجود

ملك عربى مسلم بعيد النظر المغفور له جلالة الملك فيصل عليه رحمة الله ورضوانه الذى لم يستنجد بأمريكا بل سلح بعض الفصائل لشغل القوات المصرية فقط ٠٠ !

وهكذا أصبحت سوريا ولبنان والأردن وحدهم أمام قوة إسرائيل وغطرستها تعتدى على من تشاء فى أى وقت تشاء بينما لا يملك المعتدى عليه إلا الشكوى الى مجلس الأمن حيث تتمتع إسرائيل بالحماية الأمريكية والفيتو الأمريكى وتنتهى الشكوى إما بقرار لا تنفذه إسرائيل أو الاكتفاء بالإدانة والشجب ٠

ثم طورت أمريكا من أسلوبها وأصبح هدفها هو ترسيخ إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط كأحدى دول المنطقة ، أقواها وأكثرها قوة وتطوراً فأخذت تغرى الدول العربية على عقد الصلح مع إسرائيل ٠٠ لقد تم الصلح مع مصر بمساعدتها ٠٠ وتم إنسلاخ دول الخليج العربية عن الجسد العربى وهم على إستعداد لقبول كل ما تأمر به أمريكا ٠٠ ولم يبق إلا سوريا ولبنا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية أو دول الطوق كما يحلو لبعض العرب تسميتها ٠

إسرائيـــــل :

لقد خططت إسرائيل للإستيطان فى فلسطين منذ مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ وأخذت تفرض سيطرتها ونفوذها حتى تمت لها السيطرة على مال

العالم ، وقطاع الأعمال ووسائل الإعلام ودور النشر وتمت لها السيطرة على القوى الكبرى • وإسرائيل تعتبر فلسطين أرضاً يهودية إستعادتها فالضفة الغربية أرض يهودية اسمها السامرا والقدس وماحولها اسمها يهوذا فهى تتحدث عن الأرض حديث المالك وليس حديث المحتل •

وإسرائيل تعامل الفلسطينيين العرب على أنهم سكان فى أرض إسرائيلية يحكمون أنفسهم إداريا تحت سلطة الحكم الإسرائيلى •

وإسرائيل تصر على أنهم عنصر يمتاز ويعلوا على جيرانه وتتجاهل تماماً أن هؤلاء الجيران هم أصحاب الأرض الأصليين • وهى تطلب التصالح معهم مع إستمرار سيطرتها عليهم ، ومطالب إسرائيل فى مفاوضاتها هى صورة بغيضة من صور الإبتزاز السياسى فمن مطالبها :

١- إنهاء حالة الحرب وإنسحاب إسرائيل خلال سنوات وعلى مراحل •

٢- إقامة علاقات عادية تشمل الإعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والتجارية والثقافية وإنهاء المقاطعة الإقتصادية ورفع الحواجز التى تعوق حرية حركة الأفراد والبضائع بمجرد التوقيع على الإتفاق وقبل اتمام الإنسحاب•

٣- تحديد مواقع معينة فى الأراضى العربية وتحديد نوعية وحجم الأسلحة بها •

٤- تحديد مناطق منزوعة السلاح فى الأراضى العربية •

٥- بقاء المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية مع بقاء قوات إسرائيلية لحمايتها •

٦- إقامة محطات إنذار مبكر على طول الحدود تدار بواسطة طرف ثالث محايد (امريكا !) •

٧- التزام العرب بالأ تصبح أرضهم منطلقاً لأى أعمال عدائية ضد إسرائيل•

٨- إنشاء لجان عربية - إسرائيلية •

وإسرائيل هاجمتنا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ولم نهاجمها إلا سنة ١٩٧٣ لإستعادة أرضنا وهى دولة عدوانية تعمل على إستيطان فلسطين بعد طرد أهلها منها •

والحروب تقوم بين الدول ويتم التصالح ويعود الود والتعاون بينها ، ولكن هذا النمط لا يمكن أن يتم بين إسرائيل وجيرانها لأن إسرائيل عالم وحدها •• تحرص على الغصب والسلب من الآخرين والضغط والقهر والقسوة ولا تعرف الود والوفاق •

خديعة الصلح مع إسرائيل

أخذت أمريكا تدعو الدول العربية للصلح مع إسرائيل وتمنيهم بالمساعدات والمنح والتطور بعد السلام ، وأصدرت مع روسيا - التى خضعت تماماً للدولار الأمريكى - مبادرة السلام ودعت الى عقد مؤتمر مدريد فى سنة

١٩٩٢ وإنعقد المؤتمر ثم قرر نقل الإجتماعات الى واشنطن وأخذت الإجتماعات تتوالى وتنفض وهكذا دون قرارات حاسمة ٠٠ بل تتفق إسرائيل فى جلسة ثم تنقض ما إتفقت عليه فى الجلسة التالية ، وبعد جهد جهيد تم الإتفاق على إعلان المبادئ والإنسحاب من غزة إريحا فى واشنطن فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ وتم الإتفاق فيه بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية على الحكم الذاتى للفلسطينيين فى قطاع غزة ومنطقة أريحا وأن يتم الإنسحاب فى ١٣ ابريل ١٩٩٤ وسرعان ماعادت إسرائيل الى طبيعتها وأخذت تراوغ ومازالت فى مساحة منطقة أريحا وعن موعد الإنسحاب صرح رئيس وزراء إسرائيل رابين أن ١٣ ابريل ليس موعداً مقدساً وحل الموعد ومضى وإسرائيل باقية تماطل وأمريكا تراوغ والعرب لا يحددون موقفهم فقد إنفرط عقدهم والكل يجرى وراء أمريكا يطلب العفو والعون ٠٠

وبينما إسرائيل تتغطرس وتشترط تسعى أمريكا لتثبيت إسرائيل وترسيخها إقليمياً وتدعو لإقامة سوق شرق أوسطية تجمع دول المنطقة العربية كلها بل وبعض الدول الإسلامية مع إسرائيل وتدعو الى إقامة نظام دفاعى يجمع بينهم جميعاً للدفاع الجماعى عن المنطقة ضد من ٠٠٠ ؟ ضد إيران الإسلامية التى ترفض الخضوع للنفوذ الأمريكى الخاضع بدوره للحكومة الصهيونية العالمية ٠٠ وتدعو الى إلغاء قرار الجامعة العربية بمقاطعة إسرائيل ٠

كل هذا وإسرائيل ترفض تنفيذ أى قرار دولى يطالبها بأى شئ ٠٠ فهى

ترفض الإنسحاب من الأراضى العربية التى إحتلتها سنة ١٩٦٧ : الضفة الغربية الفلسطينية وقطاع غزة والقدس الشرقية العربية والجولات السورية تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كما ترفض الإنسحاب من جنوب لبنان تنفيذاً للقرار رقم ٤٢٥ وترفض تنفيذ القرار رقم ٩٠٤ الخاص بعودة المبعدين الذين أبعدتهم فى شتاء سنة ١٩٩٢ كما ترفض حتى تنفيذ إتفاق المبادئ غزة – أريحا الذى وافقت عليه ويقول رئيس وزرائها المواعيد غير مقدسة وهو بالفعل يعنى أن الشئ الوحيد المقدس هو أطماع إسرائيل التوسعية ٠٠ والشعوب العربية الواعية تعجب لماذا التفاوض مع إسرائيل وهى بهذا التعنت والغطرسة وتنقض ما إتفقت عليه ؟ ٠

وأخيرا فى ٤ مايو ١٩٩٤ تم عقد إتفاق جديد فى القاهرة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل على تنفيذ إتفاق المبادئ الذى سبق أن وقعاه فى واشنطن فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ ٠٠٠ ويعلم الله ماتخبئه إسرائيل من مكر ونفاق ٠

إن طبيعـــة إسرائيـــل التى نشأت وتربت عليها أن تأخذ كل شئ ولا تعطى شيئاً ٠

لم يكن أمام الشعب الفلسطينى سبيلاً للمقاومة أمام جنود إسرائيل المدججين بالسلاح إلا أضعف الإيمان فكانوا يلجأون الى المظاهرات فتتصدى لهم القوات الإسرائيلية بعنف وقسوة وتقتل منهم الكثير وتصيب المئات وإعتدى

الإسرائيليون على المقدسات الإسلامية والمسيحية ولم يجد الفلسطينيون أمامهم إلا الحجارة يرشقون بها الدوريات الإسرائيلية غير مبالين بالتضحية بأنفسهم •

مذبحة المسجد الإبراهيمى

فى فجر يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤ وأثناء صلاة الفجر وجنود إسرائيل أمام المسجد تقدم المجرم الإرهابى باروخ جولدشتين وزملاؤه بالأسلحة الأتوماتيكية وضربوا المصلين أثناء سجودهم بالرصاص فقتلوا ٦٣ وأصابوا ٣٠٠ ، وإشترك معهم جنود إسرائيل الذين يحرسون المسجد بقتل كل من حاول الخروج من المسجد والهرب من المذبحة •

كانت المذبحة حدثاً فظيعاً هزت الضمائر •• ضمائر الشعوب •• أما الحومات والحكام فقد إنعدمت ضمائرهم ولا يهتمون إلا بمصالحهم •• والرئيس الأمريكى كلنتون إنسان بدت إنسانيته أول سماعه بالمذبحة وهزته المجزرة وتحمس وبدا لفترة أنه يدين إسرائيل •• وسرعان ماتحركت القوى الصهيونية التى تحكم بلده أمريكا وتخضع لأوامر الحكومة الصهيونية العالمية فأثاروا ضده فضيحة وايت ووتر وهى تتضمن إشتراكه وهو وزوجته أثناء ولايته كمحافظ لولاية اركانسو منذ ١٦ عام مضت فى شركة للأراضى والعقارات وحققا أرباحاً كبيرة ولم يدفعا الضرائب المستحقة عليهما وأن كلاً منهما كانت له فضائح جنسية غير مشروعة وشكلت لجنة فى الكونجرس لتحقيق هذه الإتهامات •

ولم يغب عن بال كلنتون ماحدث لسابقه نكسون سنة ١٩٧٤ حين إضطر للإستقالة من رئاسة الجمهورية قبل نهاية مدته بسنتين ونصف ٠٠ وسرعان ماتخاذل وتراجع الى درجة إعترافه بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل شرقاً وغرباً ، وتعطيل مجلس الأمن عن إتخاذ قرار إدانة إسرائيل فى هذه المجزرة لمدة ثلاثة أسابيع والضغط على منظمة التحرير الفلسطينية لتقبل الإستمرار فى المفاوضات مع إسرائيل قبل صدور قرار مجلس الأمن ٠

فى حين أنه لما رد الفلسطينيون على مجزرة المسجد الإبراهيمى بحادث عفوله فى ١٦ مارس ١٩٩٤ الذى راح ضحيته ٨ قتلى وعشرين مصاباً أدان الرئيس الأمريكى والحكومة الأمريكية الحادث فوراً وأدان مجلس الأمن فى اليوم التالى مباشرة ٠

وبهذه المناسبة أشير الى بروتوكولات حكماء صهيون : البروتوكول الثامن يقول : "٠٠٠ توصى البروتوكلات بملء المناصب الخطيرة الى الناس الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم ، كى تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم ، كذلك يوضع فى هذه المناصب الناس الذين إذا عصوا الأوامر توقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض من كل هذا أن هؤلاء سيدافعون بحماس عن المصالح اليهودية التى وضعتهم فى هذه المناصب وعرفت زلاتهم" ٠ وهكذا وجد كلينتون نفسه محصوراً بين نارين ٠٠٠

إن السياسة الأمريكية التى خططتها الحكومة الصهيونية العالمية هى ضرب

العرب الفلسطينيين بإستمرار لإجبارهم على ترك أرضهم والهجرة خارج فلسطين ومن يبقى منهم يرضى بحياة الذل كمواطن من الدرجة الثالثة فى خدمة اليهود ، أما الدول العربية فيجب أن تعيش تحت السيطرة الإسرائيلية وأن تكون سوقاً للبضائع الإسرائيلية وأن تكون إسرائيل هى سيدة المنطقة ٠ ٠٠٠ ولتأكيد هذا المعنى فى نفوس العرب أجمعين وبينما تسعى أمريكا لجر سوريا الى حلبة المفاوضات – التى لا تعنى إلا المماطلة وضياع الوقت – أمدت اسرائيل بـ ٥٠ طائرة اف ١٥ متطورة جداً وطويلة المدى تستطيع الوصول الى باكستان شرقاً والمغرب غرباً حاملة الموت النووى ، وهى أحدث ما أنتجته المصانع الأمريكية ولم تصل الى أى من حلفاء أمريكا ولكنها وصلت الى إسرائيل التى تحكم أمريكا ٠ وفى نفس الوقت محرم على الدول العربية إمتلاك الصواريخ لمنع أى تهديد عن إسرائيل "سيدة أمريكا" بـل "سيدة العالم" تحقيقاً لنص برووتوكولات حكماء صهيون ٠

العالم العربى تحت سيطرة اسرائيل :

١- كان العالم الإسلامى يعيش حتى قيام الحرب العالمية الأولى وحدة سياسية واحدة من عدة ولايات : مصر والشام والعراق والمغرب والحجاز ٠٠ الخ ولكن بعد نهاية هذه الحرب وهزيمة دولة الخلافة الإسلامية عمدت الدول المنتصرة – دول الغرب الصليبى – إنجلترا وفرنسا الى إستعمار هذه الولايات ومزقتها الى دويلات صغيرة فالشام الوطن الواحد تم تمزيقه الى اربع دويلات هى : سوريا ولبنان والأردن

وفلسطين ونشط العمل لفصل السودان عن مصر - وقد تم لهم ما أرادوا سنة ١٩٥٤ على يد عبد الناصر وزميله الصاغ الراقص صلاح سالم THE DANCING MAJORكما تم تقسيم المغرب العربى الى : المغرب والجزائر وتونس وليبيا وهى كلها ولايات لوطن واحد ورسمت الحدود ووضعت الحواجز وصار تقييد حركة الأفراد والبضائع وهذا مايجب ألا ننساه وان نلقنه لشبابنا والأجيال الجديدة حتى لا تضيع هويتنا الوطنية •• وحتى نعود كما خلقنا الله وطناً واحداً وكما خاطبنا رب العزة "هذه امتكم امة واحدة" •

٢- ومنذ صدور قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ بإنشاء دولة إسرائيل ، وإسرائيل تعمل على تقوية نفسها والإستيلاء على الأرض وتثبيت وجودها فى المنطقة وفى نفس الوقت تدبر المكائد وتثير الفتن بين جيرانها وخصوصاً أكبر جار "مصر" وقامت ثورة الجيش سنة ١٩٥٢ وصدرت الشعارات الجميلة التى تستهوى الجماهير ولا تعنى أى مضمون : "على الاستعمار ان يحمل عصاه على كاهله ويرحل" • و"أرفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد" • الخ بينما المعتقلات تستقبل الالآف من الوطنيين لمجرد كلمة نقد أو إبداء أقل معارضة حيث تجرى أقسى وأشد وسائل التعذيب لم يسلم منها حتى رئيس الجمهورية نفسه الذى قاد ثورة ١٩٥٢ المرحوم الرئيس محمد نجيب •

وأخذت وكالات الأنباء «رويتر والاسوشياتيد برس واليونايتدبرس ••• الخ » تردد هذه العبارات وتضخم الأعمال والنوايا وإنتقلت العدوى الى الدول العربية الأخرى وافتتت الجماهير العربية البعيدة عن عصا الطغاة بما يقال من شعارات فى مصر بينما الشعب فى مصر قد إبتعد عن رجال الحكم إلا جمهور الرعاع وعصبة المنتفعين الذين ساروا فى ركب السلطان يحجزون كل الأماكن لاقربائهم وأنسبائهم ومحاسبيهم وهم يتمتعون ببطون لا تشبع وعيون شرهة وألسنة تلهج بذكر ولى نعمتهم وهم يسرقون وينهبون ولا يخشون رقيباً أو حسيباً ، بينما غالبية الشعب حبست ألسنتهم داخل أفواههم يخشون الهمسة قبل الكلمة وأصبح جل همهم هو تأمين لقمة العيش لأولادهم ويسألون الله الحماية والستر• وإنتشرت قيم جديدة هى اللامبالاة وكأن الوطن لا أصحاب له ، والأنامالية وليحدث أى شئ مادام بعيداً عنى •• وإنعدمت العادات الأصيلة والأخلاق الحميدة وصفات النجدة والمرؤة والشهامة ، بينما شلة المنتفعين فى جاههم وحالهم غافلون •

حتى البرلمان عندنا كان غيره عند غيرنا من الأمم ، فالمجالس النيابية فى أى بلد تسأل الحكومة وتستجوب وتناقش خطتها وتبرز الأخطاء وتنقد التصرفات إلا مجالسنا فان الأعضاء إما صامتون فى غالبيتهم أو من يتكلم بلهج بذكر الحكومة • ولا ننسى رد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حينما كان وزيراً للأوقاف فى مجلس الشعب عن بعض التصرفات الغير سليمة حين قال كلاماً عجيباً يخص الرئيس السادات هو :

"والذى نفسى بيده لو كان الأمر بيدى لرفعت الرجل الذى إنتشلنا مما كنا فيه الى مكانة من لا يسأل عما يفعل"

وهكذا مجالسنا النيابية .. وهى النتيجة الطبيعية للطريقة الشاذة التى إتبعت فى تشكيلها فانقلبت من مجالس نيابية تحاسب الحكومة الى إدارات حكومية تسند الحكومة وتغطى على أخطائها . والأخطاء والمخالفات كثيرة وفى كل مجال .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .. وهل نملك غير هذا ؟

وماكان يحدث فى مصر يحدث فى معظم الدول العربية والإسلامية والقوارع تتوالى على الجميع والسبب هو غياب الديموقراطية .. غياب الشورى التى أمر الله بها نبيه عليه الصلاة والسلام حين أمره «وشاورهم فى الأمر» وكرر بقوله «وأمرهم شورى بينهم» الى أن قال سبحانه وتعالى «لست عليهم بمسيطر» .

غابت الشورى فغابت الحرية وغابت الكرامة وأستأسد الطغاة وسرقوا إرادة الأمة وسجنوها بالحديد والنار والمباحث والمخابرات والتعذيب حتى قتلوا فى نفوس الناس المقاومة والشجاعة والمرؤة وزرعوا مكانها الوهن والجبن والإستكانة حتى صدق قول الشاعر فى الأمة الاسلامية :

أمة عانت من الموت طويلاً ... فادفنوها لم تعد تجدى فتيلاً
أمعنت من زمن فى موتهـــا ... عبثاً من ميت ترجـو مقيـلاً

مشكلة القمح فى مصر :

إن إثنى عشر مليوناً من اليهود يسودون أكثر من مليار مسلم ٠٠ عجبى !

وتقول دكتورة نعمات فؤاد أن الحكومة الأمريكية تشترط عدم إستعمال القروض التى تمنحها لمصر فى عمليات إستصلاح وإستزراع الأراضى بل إنها ذكرت أن أمريكا تشترط على الحكومة المصرية عدم زراعة القمح بالذات حتى تظل أمريكا مسيطرة على لقمة عيش المصريين ٠

وقد سئل السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة وأمين عام الحزب الوطنى - حزب الأغلبية - سئل فى مجلس الشعب عن السياسة الزراعية ، فأجاب سيادته أنه يستخدم التكنولوجيا الأمريكية والإسرائيلية فى الزراعة وها هى النتيجة ظاهرة فى وفرة التفاح والموز ٠٠ ونسى سيادته أنه لو إختفى التفاح والموز ما إهتم الشعب ٠٠ ولكن ماذا يحدث لو إختفى رغيف العيش ؟

محاولة مد مياه النيل الى إسرائيل

إن العجائب فى بلدنا كثيرة ، وأعجبها ماصدر فى جريدة الأهرام يوم ١٩٩٤/٢/٢٥ نفس وقت إرتكاب مذبحة المسجد الإبراهيمى والمقال الرئيسى بقلم الأستاذ إبراهيم نافع رئيس التحرير ونقيب الصحفيين ، كتب سيادته يطالب بمد مياه النيل عبر سينا الى الضفة الغربية والأردن - ولم يقل أكثر

من ذلك – وقد رد عليه الدكتور مهندس عبد الهادى راضى وزير الأشغال العامة والموارد المائية يوضح للكاتب الكبير أن مصر ليس لديها وفرة مائية وأنها تعيش تحت خط فقر المياه ، فضلاً عن أنه ليس من حق مصر التصرف فى مياه النيل على هواها فهناك إتفاقات دولية تحدد وتنظم نصيب كل دولة من دول حوض نهر النيل ·· ونسى الكاتب الكبير أن بلده تحاول زراعة بعض الأراضى الصحراوية ولا تجد الماء الكافى لسد الفجوة الغذائية ومحاولة تشغيل بعض شباب الخريجيـــن العاطلين ·

كتب الكاتب الكبير مقالته تزلفاً الى إسرائيل «سيدة العالم» التى سرقت مياه الأردن ولبنان ويريد أن يشبع نهمها بمياه النيل أيضاً ·

وفى فجر نفس يوم ١٩٩٤/٢/٢٥م قام بعض اليهود وبمساعدة جنود إسرائيل بضرب المصلين فى المسجد الإبراهيمى بالرصاص وهم ساجدون بين يدى الله وكانت حصيلة المجزرة ٦٣ قتيلا و ٣٠٠ مصاب ·

وأعجب ··· ! كيف تكون المقارنة بين فكر اليهود شديدى التعصب لبلادهم وفكر الأستاذ الكبير نقيب الصحفيين ورئيس تحرير أكبر الجرائد فى العالمين العربى والإسلامى ··

القاتل يسلب الحياة من القتيل ··· والقتيل يمد القاتل بأسباب الحياة··· أإلى هذا الحد وصل بنا الهوان ؟

إن المجرم اليهودى الذى قاد المجزرة باروخ جولدشتين أصبح بطلاً بين شعبه يعلقون صوره فى كل مكان وإتخذوا من قبره مزاراً ٠٠٠ وماذا نحن صانعون ياترى مع الأستاذ الكبير "ابراهيم ٠٠٠ نافع ! "

إنها كارثة

إن مجرد التفكير فى مد مياه النيل الى إسرائيل تحت أى حجة وتحت أى مسمىً جريمة كبرى كبرى ٠٠٠٠ وخيانة عظمى عظمى ٠٠٠ لا يجوز التفكير فيها ، وإن ترعة السلام التى يروجون لها ليست ترعة سلام ، بل هى ترعة خراب كبير جداً لمصر ٠٠ وإن كانوا يريدون حقاً زراعة سينا فعندهم المياه الجوفية وليحاولوا تحلية مياه البحر وليقيموا السدود لحفظ مياه الأمطار والسيول الموسمية وهذا أوفر جداً من مد ترعة تحت قناة السويس ، وهذا أكثر أمناً واقتصاداً لمصر ٠

وأسأل الله أن يهدى قومى وينير بصيرتهم.

* * *

الفصل الخامس عشر

وأعدوا لهم مااستطعتم ..... صدق الله العظيم

نعيد ونكرر أنه تمت لإسرائيل السيطرة على العالم كما خططوا فى بروتوكولات حكماء صهيون وأصبحت فى علم الجميع - تسيطر تماما على القوى الكبرى خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية ، هذا فضلاً عن سيطرتها على هيئة الأمم المتحدة ومجالسها ومؤسساتها المختلفة ... وأصبح الجميع عبارة عن عرائس على المسرح العالمى تتجمع خيوطها فى يد الحكومة الصهيونية .

والولايات المتحدة الأمريكية غنية جداً وقوية جداً وهى تمد إسرائيل وتساندها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً مما يجعلنا لا نقوى على مواجهتها أو تحدّيها، وفى المقابل لا يمكن أن نطمئن على التفاهم معها أو الاعتماد على مواثيقها .. فسيدة العالم التى تسيطر عليهل لا تفى بعهد أو ميثاق والغدر والخيانة ونقض المواثيق من طبيعتها التى جبلت عليها ... والأمر كله فى يدها ... يد إسرائيل .

مصر قلب العروبة والاسلام

ومصر غير مرغوب من سيدة العالم الجديد ومن عرائس المسرح العالمى .. غير مرغوب أن تكون دولة قوية ، بل يجب أن تظل دائماً تحت خط الحاجة .. فأقل مظاهر القوة فى مصر تثير قلق الكبار لأن مصر جزء من كل

مصر هى قلب العالم العربى وهى قلب العالم الإسلامى ، مصر كانت هى القائد فى هزيمة التتار وكانت القائد فى الحروب الصليبية ••• والكل يتأثر بأحوال مصر سلباً وإيجاباً ، وعندما تكون مصر بعافيتها فإن الكل يكتسب العافية وعندما يخفت بريقها فالخمول والركود يصيب بقية الجسد • هذه حقيقة لا تغيب عن فكر الكبار يضعون حساباتهم على أساسها وهذه الحقيقة قديمة قدم التاريخ لا تخص الحاضر الذى نعيشه فحسب ولا تتعلق بالكبار المعاصرين فقط . لنراجع تقرير لجنة بانرمان سنة ١٩٠٧ ، الفصل الحادى عشر لنتذكر ونزيد يقيناً •

إن صحوة مصر ونهوضها تمد طاقاتها الى العالم العربى كله ، وإن الحلم القومى العربى قديم وعداء الدول الكبرى لهذا الحلم قديم ، والخوف منه يسيطر عليهم جميعاً ، ولهذا السبب كان موقف دول أوربا الكبرى المعادى لمشروع محمد على باقإمة دولة كبرى •

ولذلك تعمل الولايات المتحدة على إبعاد مصر عن التجمع العربى ونجحت جزئيا فى تحقيق هذا الهدف بتوقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، كما نجحت أيضاً فى تفكيك أوصال العالم العربى بحرب الخليج سنة ١٩٩٠ – ومازال فى جراب الحاوى مؤمرات أخرى – وتتطور علاقات مصر والولايات المتحدة ويزداد التعامل بينهما •• وأصبحت مصر خارج إطار التجمع العربى الذى تشرذم ••• ولكن هذا التطور والتعاون يعتبر إستثناء لأن مصر لها مصالح فى منطقتها تختلف تماماً عن مصالح واشنطن الخاضعة لإسرائيل •

إن نهاية الحرب الباردة وتكوين أوربا الموحدة قد دفعت كثيراً من المثقفين والقيادات الواعية الى ضرورة تقوية التعاون والإرتباط فيما بين الدول العربية الذى هو اليوم ألزم وأقوى مما كان فى أى وقت مضى • وإن مصر وهى دولة ضاربة فى جذور التاريخ وذات هوية ثقافية قوية لها ارتباط لا ينفصم بالعالم العربى لإعتبارات التاريخ والدين واللغة والجنس والتعداد البشرى تعتبر نفسها ويعتبرها الجميع القائد الطبيعى لهذا العالم العربى وإن مصر قد عادت الى موقعها الرائد بعد سنوات من إبعادها عن العالم العربى وعادت الجامعة العربية الى مقرها الطبيعى فى القاهرة فى ظروف يعيد فيها العالم كله بناء أوضاعه وسياساته وهو أمر ينبغى ألا يغيب عن بصيرة العرب عند وضع حسابات السياسات العربية على ضوء المستقبل والنظام الدولى الجديد •

السياسة الخارجية

أولاً: إن الشرق الأوسط ومنطقة الخليج يحظيان بأولوية عالية فى السياسة الخارجية الأمريكية يتفق مع أهمية مصالحها الإستراتيجية وينعكس هذا الأمر بوضوع فى سعى أمريكا الحالى لإنهاء الصراع العربى الإسرائيلى وإحلال السلام والإستقرار فى المنطقة ، الأمر الذى يؤثر تأثيراً مباشراً على المصالح الأمريكية الحيوية ، إلا أن الدور الأمريكى لم يأخذ صفة الشريك المحايد فى عملية السلام فما زالت أمريكا تتعامل مع أطراف النزاع بمعايير غير متوازنة تكون دائما لصالح إسرائيل حيث تعتبر أمريكا علاقاتها بإسرائيل علاقة استراتيجية أساسية خاصة جداً وهى بصراحة ووضوح خضوع أمريكا تماماً لتوجيهات الحكومة الصهيونية

العالمية .

والمصالح الأمريكية فى المنطقة فى مجالين أساسيين هما :

١- تأمين تدفق البترول من الخليج الى مراكز إستهلاكه فى أوربا وأمريكا .

٢- ضمان أمن إسرائيل وتحقيق وترسيخ إندماجها الإقليمى كإحدى دول المنطقة وتحقيق سيطرتها عسكرياً وسياسياً وإقتصادياً على منطقة الشرق الأوسط كله .

وبذلك يتحقق الاستقرار وضمان الحفاظ على المصالح الأمريكية الحيوية بالمنطقة ، وكذلك فقد تطور مفهوم السلام فى السياسة الأمريكية من إنهاء حالة الحرب الى نظام جديد فى الشرق الأوسط تلعب فيه إسرائيل الدور الأهم ويتغير فيه إقتصاد المنطقة لتحقيق نظام إقتصاد السوق شرق أوسطية .

وهكذا نرى أن الدور الأمريكى الحالى فى المنطقة مرتبط تماماً بالرؤية الإسرائيلية ولا يرى فى الموقف العربى عامة إلا أن يكون تابعاً .

ثانياً: التغيرات الدولية الجارية فى العالم حالياً تحمل تطورات بالغة الأهمية للمنطقة العربية . فإن سياسة الاستيطان الاستعمارية فى بلاد الغير فى انحسار دائم فى كل مكان وأن النظام العنصرى لا يمكن أن يصمد أمام رياح التغيير عاجلاً أو آجلاً .

٣- ان النظم الإستيطانية العنصرية جميعاً قد سقطت رغم كل محاولات القوى الكبرى ، فأى نظام غير طبيعى قد يطول ولكن لا يمكن أن يدوم ••• وهاهى الجزائر بعد أن إعتبرتها فرنسا امتداداً لها وبعد ١٣٠ سنة من تمليك أرضها للفرنسيين وقمع وطرد أهلها الأصليين سقط النظام الغير طبيعى وعادت الأرض لأهلها الأصليين ، وهاهو النظام العُنصرى الإستيطانى فى جنوب افريقيا يسقط بعد ٣٥٠ سنة وتعود الحقوق والأرض لأصحابها الأصليين ذوى البشرة السوداء والقلوب البيضاء •

ومن رؤية عربية فان قيام وسقوط النظام الاستيطانى العنصرى فى جنوب أفريقيا هو الحدث الذى لا يناظره سوى قيام النظام الإستيطانى العنصرى فى إسرائيل .

أما وقد تحقق الحدث وسقط نظام جنوب أفريقيا فعلى مراكز البحوث والدراسات العربية دراسة ومقارنة طبيعة نشأة وتكوين النظامين فى جنوب أفريقيا وإسرائيل وماكان يربط بينهما من تحالف غير مقدس حتى الشهور القليلة الماضية•

وإذا كانت أمريكا ترى فى تجربتها مع الهنود الحمر سابقة ناجحة تكررها فى فلسطين •• فالمقارنة غير سليمة إطلاقاً ، فالهنود الحمر كانوا يعيشون فى القرن السادس عشر بظروف العصر الحجرى ••• فهم بلا تاريخ ، وبلا حضارة •• قابلوا الأسلحة النارية والمدافع بالحجارة والحراب ، فحق عليه الفناء

•• أما عرب فلسطين فتاريخهم ملئ بالحضار والعلوم والمقاومة •• فقد عايشوا وشاركوا الامبراطوريات القديمة ، الفرعونية والأشورية والفينيقية والفارسية واليونانية والرومانية والحضارة الإسلامية وكان لهم دور فيها ، ووجودهم فى أرضهم منذ فجر التاريخ متصل ، فضلاً عن أن بلادهم هى مهد الأديان السماوية التى يدين بها معظم العالم •

٤– إسرائيل أصبحت حقيقة دولية والولايات المتحدة الأمريكية تسعى أن تجعلها حقيقة إقليمية أيضاً تمدها وتساعدها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً حتى أصبحت أقوى من الدول العربية والإسلامية جميعاً وبلغت أقصى العلو وهذا ما أخبر به الله تعالى وهى تسيطر تماماً على القوى الكبرى •• وقد قضى الله بنهايتها وقضاء الله أمر نافذ لا جدال فيه ولا مناقشة ، ولكن متى وكيف ؟ هذا أمر الله •• فكل إنسان يعلم أنه سيموت ، ولكن هل يعلم متى ؟ أو كيف ؟ ويخلق مالا تعلمون •

ولا أقول هذا يأساً أو دعوة للتخاذل والتواكل بل أردد قول الله تعالى واعملوا ••• واصبروا وصابرو •• وأعدوا لهم ما إستطعتم •• والباقى عند الله •

بيننا وبين إسرائيل معاهدة سلام •• هم يسمون مابيننا سلام بارد •• وسيبقى بارداً طالما بقيت أطماعهم فى أرضنا وثرواتنا •• وطالما تهديدهم لنا بالأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل باق •• ويجب أن نحذر عدونا وأن

نحافظ على مصالحنا وكرامتنا ونعمل جهدنا وإستطاعتنا ·· والله يخلق الأسباب ·

المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط كلها هى السوق الكبير لبضائع أوروبا وأمريكا وكان الواجب أن يحافظوا على أن تربط بيننا وبينهم أطيب وأحسن العلاقات ·· هم محتاجون لأسواقنا ومحتاجون لبترولنا ، ولا يخفون عدواتهم لنا ، ومهما حاولنا لتغيير هذه الحقيقة لن ننجح فالعداء متأصل فى نفوسهم ولذلك يجب مقاطعة بضائعهم ليشعروا أننا نستطيع أن نحافظ على مصالحنا وكرامتنا ، واذا كانت الحكومات لا تستطيع أو تتحرج فالشعوب تستطيع المقاطعة وتستطيع إجبار الحكومات ، وتستطيع نمور آسيا الجديدة والصين أن تغنينا عن بضائـع أوروبا وأمريكا .

والصين كانت حتى الأربعينات من هذا القرن من أكثر دول العالم تخلفاً وهى اليوم تحقق أعلى معدلات النمو بشهادة المؤسسات العالمية واليابان تحقق فائضاً تجارياً يقدر بمليارات الدولارات والنمور الآسيوية الصغيرة – وقد كانت خاضعة للإستعمار منذ خمسين عاماً فقط تنمو وتكبر وتبهر العالم كل يوم بشئ جديد ·

وبنظرة للجار القوى العملاق "اليابان" فانها مع الصين تمثلان قوة جبارة، فالصين صاحبة المليار نسمة والموارد الضخمة الغير محدودة ، واليابان صاحبة أقوى إقتصاد وقمة التكنولوجيا ، لو اتفقا معاً لانقذا العالم من شيطان الصهيونية·

وهل تنسى اليابان القنبلة النووية سنة ١٩٤٥ ٠٠ لقد ضربت لأنها شعب ملون ، شعب أصفر ٠٠ لحم أصفر رخيص ، ولم تضرب المانيا لأنها شعب أبيض ٠٠ لحم أبيض غالى ٠٠

الأمة العربية

إن حالة التفكك والهوان التى وصلت اليها الأمة العربية ، بل ومعظم شعوب الأمة الإسلامية فى الآونة الأخيرة هى حالة غير مسبوقة فى التاريخ القديم والحديث وهى حالة تدعو الى العجب الشديد والحيرة ٠٠ مما جعل أعداء الإسلام يرجعون ذلك الى الإسلام نفسه ٠٠ والإسلام برىء تماماً من هذه التهمة بل إن الإسلام يدعو الى الوحدة فى قول الله تعالى "هذه أمتكم أمة واحدة "٠

دول العالم كلها تعرف طريقها الى التقدم عدا بعض البؤر المتخلفة فى أفريقياوعدا تلك المجموعات التى يطلق عليها إسم الأمة العربية ٠

واوربا تسير بخطوات علمية ثابتة نحو الإتحاد لتتوازن فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية ونحن من دون العالم جميعا نزداد تفككاً ونزداد هواناً وتفريطاً ٠٠ هل السبب فى الإنسان العربى نفسه ؟ هل هذا الإنسان بطبيعته متخلفاً رافضاً للتقدم ٠٠٠ إن هذا الإنسان العربى إذا خرج من بيئته الى إحدى البلاد المتقدمة تجده نمطاً آخر ٠٠ ستجد فيه الذكاء والعلم والرغبة فى التقدم ويبرز على أقرانه وزملائه ٠٠ فما السبب ؟ السبب الحقيقى أنه لم يجد فى بلده

وبيئته النظام الذى يستطيع معه أن يحقق أفضل ماعنده ولم يجد القانون الذى يحمى حقوقه ٠

خذ مثلاً من أى بلد عربى وأجعله بعيداً فى ظل نظام متحضر متقدم وسترى العجب ٠٠ سترى العبقرية التى قهرت فى وطنها وإحتضنها العالم واعتز بها والأمثلة كثيرة والأسماء معروفة نتحدث عنها فى مجالسنا وصحفنا وعادة نكتفى بالحديث عنها ولا نسأل عما تعرضت له من قهر وظلم فى وطنها ٠٠ ولأضرب مثلاً واحداً هو الأستاذ الدكتور السير/ مجدى يعقوب الذى يشرف به الوطن العربى والذى تعتز به وتنفرد بعلمه وعبقريته المملكة المتحدة ، ومثله مئات بل آلاف نبغوا فى بلاد العالم المتقدم بعد أن ضاقت بهم أوطانهم ٠

السبب اذاً ليس فى الإنسان العربى إنما هو أساساً فى النظام العربى الذى لا يعدل ولا يوحد ٠٠٠ بل يدعو الى الفرقة حباً فى سلطة الحكم والتحكم٠

أمل الوحدة العربية

هل من المعقول أن يعيش الشام ، الوطن الواحد ، فى نهاية القرن العشرين فى أربعة أجزاء يسمونها دول خلقها الإستعمار الأوروبى بعد الحرب العالمية الأولى هى : سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ٠٠ وهل هو طبيعياً أن يحافظ المغرب العربى على التجزئة التى صنعها الإستعمار الأوروبى فرنسا وإيطاليا ؟ ولو عدنا الى مراجعة لجنة "بانرمان" لعرفنا أننا مازلنا نعيش تحت تخطيط الإستعمار الأوروبى والحقد الصليبى الصهيونى ٠

إن الشعوب العربية تواقة الى الوحدة والتقدم ... ولكن نظم الحكم تواقة الى السلطة والتسلط ... تحافظ على التجزئة وتحكم بلادها على هوى رؤوس السلطة .. تقاوم أى تطلع للتقدم وتسمى تسعات الإنتخابات شرعية ... !

إن هذه النظم العربية هى التى أدت الى مانحن فيه من تفكك وتصدع وصل قمته فى كارثة ١٩٦٧ ثم تلك المحاولة الطائشة الخائبة لغزو الكويت تحقيقاً لأوهام عبثية إنتهت الى تعميق الفرقة وإذلال شعب عربى وتحطيم قوة عربية كانت رصيداً للمستقبل ..

الإنسان العربى :

إن الوحدة والتقدم ينبغى أن تبنى على نظام يرتكز على دعامتين أساسيتين هما الإنسان الذى خلقه الله وكرمه وجعله خليفة له فى الأرض

"لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم "

والعلم الذى هو أساس هذا الكون العظيم الذى خلقه الله فأبدع صنعه "إنما يخشى الله من عباده العلماء" وعلى هاتين الدعامتين يقوم أسلوب الحياة ومنهجه أو "نظام الحكم ".

الإنسان الذى له حقوقه وله ضمانات تلك الحقوق وله الإحساس العميق بكرامة الإنسان .. وليس هو الإنسان الذى يستمد قيمته من أنه يملك كذا ،

أو أنه ابن فلان أو أنه محسوب فلان ، أو انه مع الحكومة ٠٠٠ والعلم هو نتاج العقل البشرى بدءاً من إستخدام الحجر حتى ارتياد الفضاء الكونى ٠

المهم أننا نملك أسباب التقدم ٠٠ ولكن فرامل قوية توقف حركتنا ٠٠ والأيام سريعة الحركة وماكان يتم فى سنين يتم اليوم فى أيام ٠٠ والقرن الحادى والعشرين على بعد ستة سنين هى فى عمر الزمن ست لحظات فكيف سنعبر الى القرن الجديد ؟ ٠

إن اللـــه قد أجابنا بقوله تعالى : "إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم" ٠ والتغيير المطلوب هو تغيير نظم الحكم بما يحقق العدل والحرية ويدفع الى التقدم ٠٠ فالناس على دين ملوكهم ٠

والصورة ليست شديدة القتامة والأمل فى الصحوة الإسلامية المستنيرة كبير، وقد يكون مانعانيه اليوم هو آلام المخاض لميلاد جديد ٠٠ فالثورة الإسلامية فى إيران فى طريقها الى الاستقرار والثبات ٠٠ ونجاح حزب الرفاه فى تركيا فى الإنتخابات الأخيرة وفوزه بمنصب العمدة فى كل من إستانبول وأنقره إنما يدل على أن تركيا قد تبينت هويتها الإسلامية الأصيلة ، والحدثان بشير بالخير والإصلاح ٠٠ والله يخلق الأسباب ٠

الإصلاح :

ولإصلاح الحال أرى تنظيم البيت المصرى أولاً وستنتقل العدوى فوراً الى

باقى البيت العربى الكبير فهذه سنة الحياة ومنطق التاريخ وقد قال الله تعالى :
"هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم" ٠

وأرى أن أول مانبدأ به الديموقراطية ٠

وأعجب لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بها منذ أربعة عشر قرناً ولم نتعامل بها إلا فى سنوات الراشدين - لقد أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله "أمرهم شورى بينهم" و "وشاورهم فى الأمر" و "لست عليهم بمسيطر" ٠٠٠ الخ والشورى هى أعلى مراتب الديموقراطية أمرنا الله بها ٠ بينما كان عالم اليوم المتقدم يعيش فى ظلام الكهوف ، ولنستمع قول الخليفة الأول الصديق أبو بكر بعد بيعته ، قال : "أيها الناس ، انى وليت عليكم ولست بخيركم ، إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم٠٠" ٠

وسلوك الخليفة الثانى عمر بن الخطاب وعدله يملأ صفحات التاريخ :
وقد حدث يوماً وهو يخطب ويدعو الناس للسمع والطاعة أن قاطعه أعرابى قائلاً "ليس لك علينا طاعة ياعمر" فلما سأله عن السبب قال له أنه وزع على كل عربى فى المدينة خمسة أذرع من قماش وهى تكفى لصنع قميص بينما عمر يلبس جلباباً جديداً - وكان عمر جسيماً طويلاً - فنادى عمر على ابنه

عبد الله وقال له أن يجيب الرجل على تساؤله ، فأخبره عبد الله أنه تنازل لأبيه عن الخمسة أذرع نصيبه ، وقال الرجل : "الآن لك علينا السمع والطاعة ياعمر" •

نموذجان فى البشرية لم يتكررا

أدعو الى ديموقراطية حقيقية كاملة يقابلها مسئولية كاملة ، فكل مواطن له الحق فى أن يقول مايشاء وأن يفعل مايشاء وفى المقابل يكون مسئولاً عن أى قول يصدر منه وأى فعل يأتيه • وبهذا نعيد للناس اطمئنانهم وصفو نفوسهم وحبهم للصدق والحق ونزيل من قلوبهم الخوف والنفاق •

وهذا يستلزم إصدار دستور جديد نجمع له أصدق رجال القانون والفقه الإسلامى وصفوة رجال الدين المسيحى وممثلون عن جميع الهيئات والنقابات لسن دستور يستند الى الشريعة الإسلامية وأحدث نظريات الديموقراطية يحقق حقوق الإنسان وحقوق الوطن ويتفق مع سلام العالم •• وليس مع هوى أى حاكم •

سيادة القانون

يجب أن يكون القانون مطبقا بصدق على جميع المواطنين فلا يكون هناك كبيراً على القانون أو صغيراً نحرمه من حقه القانونى وأى مخالفة لهذا المبدأ تقابل بالعقاب الشديد •

كما يجب إلغاء القوانين سيئة السمعة والقوانين المانعة من التقاضى ٠

إن الديموقراطية وسيادة القانون وإحترام كرامة الإنسان والإهتمام بالعلوم هى دعائم بناء الإنسان السوى المستقيم وبناء الوطن القوى المتحضر ٠٠٠٠ هذه هى الدعائم التى ترسى العدل والتقدم ٠

فلنصلح من أنفسنا لنستحق نصر الله الذى وعدنا به ، وإن الله على ذلك لقدير .

وإن هذا بعض ما أرى ٠٠ والمتخصصون لديهم الكمال والله أدعو أن يهدينا سبل التقدم والرشاد ٠

* * *

دعـــــاء

اللهم أصلح حال بلاد الإسلام

وأصلح أحوال المسلمين

وولى عليهم خير عبادك

واجعل منهم خير أمة أخرجت للناس

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعبدونك كما أمرت

كما قلت فى كتابك الكريم ... يا أصدق القائلين

اللهم ...... آمين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾

اللهم تقبل منى واشملنا برحمتك

يوسف محمود يوسف

المراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- اليهودية — دكتور أحمد شلبى
- موسوعة التاريخ الإسلامى جزء ٩ ، ١٠ — دكتور أحمد شلبى
- القدس — المرحوم الأستاذ محمد صبيح
- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية عبد الله التل
- النبوءة والسياسة ـ السيدة غريس هالسل وترجمة محمد السماك
- السلام الضائع فى كامب ديفيد — أستاذ محمد إبراهيم كامل
- معجزرة الأبرياء — أستاذ وجيه أبو ذكرى
- التغيير أو الضياع — د. محمد حلمى مراد
- صناعة الجهل — د. نعمات فؤاد
- بروتوكولات حكماء صهيون — إصدار المجلس الأعلا للشئون الإسلامية
- من التلمود — إصدار المجلس الأعلا للشئون الإسلامية
- قصة موسى — أستاذ أحمد الجبالى
- إعتراف جولدا مائير — إصدار دار التعاون للطبع والنشر
- ديان يعترف — إصدار دار التعاون للطبع والنشر

محتويات الكتاب

الموضـوع	صفحـة

الموضـوع	صفحـة

الموضـوع	صفحـة

الموضـوع	صفحـة

هذا الكتاب

يحكى قصة إسرائيل من البداية بدءاً من سيدنا إبراهيم – عليه السلام – جد العرب وجد اليهود – حتى النهاية كما أخبر الله تعالى فى سورة الإسراء .

فقد جاء فيها أن بنى إسرائيل سيكون لهم دوله مرتين وسيفسدون فى المرتين وستتحطم الدولتان ... فبعد خروجهم من مصر مع موسى – عليه السلام – ودخولهم أرض فلسطين أمكنهم تكوين دوله على جزء منها بعد حروب طويلة مع الفلسطنيين ولكن أغار عليهم نبوخذ نصّر ملك بابل وحطم دولتهم – وكانت هذه هى الدوله الأولى – وعاشوا بعدها فى ذلة وإنكسار الى أن كتب الله عليهم الشتات سنة ١٣٥م وتشتتوا فى جميع أرجاء الأرض . ولم تقم دولتهم الثانية إلا سنة ١٩٤٨.

وها هى الأموال تنهال عليهم من أمريكا وأوربا واليهود يتجمعون فى فلسطين من جميع دول العالم . وهم يملكون مال العالم وكبرى الأعمال وجميع وسائل الإعلام ويملكون توجيه الرأى العام العالمى فهم أعلا صوتاً ويسيطرون على صانع القرار السياسى فى القوى الكبرى حتى أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية – القوة العظمى الأولى – موظفة لدى الحكومة الصهيونية العالمية تأتمر بأمرها وتعمل لخدمة مصالح اليهود وتحقيق أهدافهم ، وهذا قمة العلوّ ، كما قال الله تعالى : " ولتعلنّ علواً كبيراً " وهو نذير بقرب وعد الآخرة.. التدمير الثانى :" أتى أمر الله فلا تستعجلوه . " صدق الله العظيم